قراءة نفسية لمنتخبات من القصة الأردية القصيرة مع الترجمة

جيهان صلاح الدين السيد ابراهيم الشبل*
Dr.Gehan Salah_eldin Elsayed

ملخص

إن العلاقة بين الأدب وعلم النفس علاقة مميزة ووطيدة، وهى علاقة تقرها العلوم الإنسانية، فعلم النفس أقرب العلوم إلى الأدب، لأن هناك مؤثرات وعواطف لابد من توضيح أثرها في العمل الأدبى؛ لذا يستهدف موضوع بحث " **قراءة نفسية لمنتخبات من القصة الأردية القصيرة مع الترجمة**"مقاربة عدد من القصص الأردية القصيرة اعتمادا على المنهج التحليلى النفسي .

فالقراءة النفسية هى قراءة خاصة تُخضع النص الأدبى للبحوث النفسية وتحاول الانتفاع من النظريات النفسية في تفسير النصوص القصصية، حيث اتجه الأدباء إلى الاتجاه النفسي الذي يعنى بالتجربة الشخصية للفرد ، فيكشف عن المكنونات النفسية وما فيها من عقد غريزية ورغبات اللاوعى ، وعقد ذهنية ومتاعب وصراعات نفسية ، وصار الأدب بالنسبة للأديب هو ثمرة كل ذلك.

ويتناول البحث موضوعات؛ العقد النفسية، الصراعات النفسية،المشكلات النفسية التى تمثل أدوات التحليل النفسي للقصص القصيرة موضوع الدراسة .

الكلمات المفتاحية: المنهج التحليلي النفسي، القصة الأردية القصيرة، العقد النفسية، الصراعات النفسية، المشكلات النفسية.

*أستاذ مساعد بقسم اللغات الشرقية شعبة اللغة الأردية - كلية الآداب – جامعة عين شمس

المقدمة

الأدب هو نص تصنعه نفس تتحدث به إلى نفس عن نفس، فهو نشاط وجدانى ونتاج من إنتاج النفس البشرية، وإفضاء وجدان إلى وجدان، ورسالة روح إلى روح بلغة هى في أصلها لغة رموز النفس وسجاياها تفصح للآخرين وتمتعهم، "والعلاقة بين الأدب والنفس علاقة وطيدة وحتمية لا تحتاج إلى إثبات لارتباطها بالإنسان منذ وجوده، فالأدب صدى النفس وترجمانها، فتتجمع أطراف الحياة لكى يُصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكى يضئ جوانب النفس، إنها دائرة لا يفترق طرفاها، إلا لكى يلتقيا، وهما حين يلتقيان يصنعان حول الحياة إطارًا فيصنعان لها بذلك معنى" (عز الدين اسماعيل، ١٩٨١ م : ص ١٣)

يتقاسم الأدب وعلم النفس بعض المفردات والمعانى مما يدل على الصلة الوثيقة بينهما كالشعور والانفعالات والعواطف والوجدان والتخيل وغيرها، ويعد الأدب بمثابة الرحم الذي يحتضن النفس الإنسانية بحالاتها وانتفاضاتها ونوازعها، لذا فإن الأدب وعلم النفس يصبان في نهر واحد لأن الحديث عن الأدب يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الحالات والقضايا النفسية .

ويمكن القول أن النقد في بدايته كان نفسيًا وانطباعيًا، بمعنى أن كل ناقد حاول أن يعبر في نقده لما يرتاح إليه ذوقه النفسي، ومعرفته البسيطة، وكل يقدم رأيه حسب تصوره وقناعته إلى أن جاء الطبيب النمساوى سيغموند فرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩ م) ورأس نظرية علمية في مطلع القرن العشرين جمع فيها بين الأدب وعلم النفس، فلا يكون فهم الأدب إلا بالمنظار النفسانى .

وليس منا من ينكر إسهام التحليل النفسي في الحركة النقدية المعاصرة، وذلك أن تحليل الأدب والفنون بشكل عام من وجهة نظر نفسية غدا أمرًا شائعًا خارج الحقل العيادى والطبي، ولم يكن الأدب الأردى بمعزل عن تلك العلاقة الوطيدة بين علم النفس والأدب، وبخاصة القصة القصيرة، ذلك الجنس الأدبي الذي يستطيع استنطاق ذاتية الإنسان وما يعتلج بداخله؛ "حيث عمد كتاب القصة الأردية القصيرة إلى الكشف

في أعمالهم عن المكنونات النفسية وما فيها من عقد وصراعات واضطرابات نفسية متبعين فى ذلك رؤية ومنهج فرويد" (سليم اختر،١٩٨٦ : ص٢٧٢)، "واهتموا بالجوانب الخاصة بأنماط الشخصيات وسماتها، ودوافعها، وانفعالاتها، وأفكارها، واتزانها واضطرابها ومثاليتها، وغير ذلك من الجوانب التى يحفل بها التحليل النفسي" (غلام حسين ،١٩٨٠ : ص٤٥٧ ـ ٦٠٦).

وفي ظل هذا كله أصبحت هناك ضرورة ملحة إلى نقد وتحليل القصة الأردية القصيرة من هذه الوجهة النفسية المتبعة للمنهج النفسي والمبنية على أسس ومعطيات علم النفس في معالجة النص القصصي، وهذه المعطيات تقوم على نتائج الدراسات التى نهض بها علماء النفس .

من هنا وقع الاختيار على موضوع البحث الذي ارتأيت أن يكون عنوانه "قراءة نفسية لمنتخبات من القصة الأردية القصيرة مع الترجمة "، والقراءة النفسية واحدة من القراءات النقدية التى استهدفت قراءة النص الأدبي وتنطلق من منهج نقدى نفسي من خلال استخدام الأدوات المناسبة من أجل الوصول إلى الغاية المرجوة من النص، وقد ظهر حديثًا مصطلح القراءة في مقولات الباحثين والنقاد؛ حيث يعد القارئ هو الغاية في قصدية المؤلف لحظة الإبداع الأدبي، وأن عمل الناقد الأدبي هو إبراز الأثر المتبقي في عملية القراءة ذاتها، وإظهار استجابة القارئ في إدراكه للنص المقروء، فتحليل النص يعنى أن نتسائل عن كيفية قراءة النص، ومن الجدير بالذكر أن مصطلح القراءة غدا مفهومًا يتضمن تقص المساحات المفتوحة التي تحمل في طياتها مزيدًا من التأويل .

ومع ظهور مصطلح "القراءة" أصبح القارئ مشاركًا في إنتاج النص إنطلاقًا من تحليله وسبره وتأويله، " فالقارئ ليس مجرد أداة استقبال بل هو مفصل حيوى يصب فيه الطريق القادم من النص ليتولد عنه طريق آخر يعود إلى النص ثانية، ولا يتخذ هذا الطريق وجهًا واحدًا بل يسلك اتجاهين متعاكسين، يغذي إحداهما الآخر، ينمو به وينميه في آن معًا ".(احمد جعفر العلاق ، ٢٠٠٢م : ص ٦٤).

ولا نعنى هنا بالقراءة ذلك المسح البصري الساذج أو قراءة السطوح التى تحيل على مفردة أو جملة فيها إلى ما يساويها في المعنى.(حاتم الصكر، ١٩٩٧ م:ص ١٠)

وغاية القراءة النفسية لدى الباحث أن يزيل غموض النص بتفسيره، وأن يمنحه إضاءة جديدة، فلجأ إلى رحاب الفرويدية لاستخدام الأدوات النفسية لكشف الإبداع، وقد يكتشف الباحث / القارئ سمات نفسية وموضوعات وقضايا في سياق النص لا تكون ماثلة إلا أمام عينيه، بمعنى أن قارئًا آخر يمكن أن يفسرها تفسيرًا آخر، فلكل قارئ رؤيته وأدواته ومنهجه .

كذلك فإن القراءة النفسية للنص الأدبي تقع ضمن منظومات القراءات المتعددة التى جربت أدواتها النقدية في دراسة النص، وهى ليست معزولة عن غيرها، بل ثمة تداخلات مهمة بين تلك القراءات، إذ أن القراءة النفسية غير معزولة في سيرورتها عن القراءات الأخرى . (إيمان ملال ، ٢٠١٧ م : ص ١٢٦)

فصحيح أن لكل قراءة من القراءات حدودًا فاصلة وأدوات خاصة، إلا أن التداخل بين القراءات أمر تقره طبيعة التفاعل؛ لذا من الممكن أن تشير الدراسة إلى قضايا أخرى انطوى عليها النص الأدبي بجانب القضايا النفسية.

ولقد دفعنى لدراسة القصة القصيرة من منظور المنهج النفسي؛ ما لهذا المنهج من أهمية وأثر على النقد وما يدور حوله من نقاش، ولعدة أسباب منها :

ـ قلة الدراسات التى قاربت القصة الأردية القصيرة بالمنهج النفسي – على حد علم الباحث – مقارنة بالمناهج الأخرى .

ـ قلة تطبيق نقادنا للمفاهيم السيكولوجية على اختلافها على نصوصهم .

ـ أن أغلب الدراسات النقدية التى اعتمدت على المنهج النفسي في الأدب الأردي والعربي – على حد علم الباحث – تناولت دراسة نفسية الكاتب، وبذلك اعتمدت منهجًا خارجيًا ينطلق من دراسة حياة الكاتب لتفسير أعماله، وهو منهج أقرب إلى المنهج التاريخى منه إلى المنهج النفسي، ولذلك فإن المنهج النفسي الأكثر موضوعية

وجدوى هو الذي ينطلق من النص الأدبي نفسه، وإن كان الناقد يجهل جهلاً تامًا كل ما يتعلق بمرجعيات النص الخارجية، وهذا المنهج هو ما أُعتمد في هذه الدراسة، حيث يتم التحليل من داخل النص، "وغالبًا ما يكون اهتمام المحللين بمكنونات النص وخفاياه أكثر من اهتمامهم بقصدية مبدعه، وهذه قضية مهمة في صيرورة الاتجاه النفسي بشكل عام، إذ أن النص يرسل أطيافًا إلى ذهن قارئه ربما لم يكن مؤلفها قاصدًا إياها "(جان بيلمان نوبل ، ١٩٩٧ : ص ٩).

ـ إعجاب الباحث الشخصي بهذا المنهج لاهتمامه بالجانب النفسي، ورغبة في التعرف على هذا المنهج عن كثب من أجل إغناء المعرفة حوله، والتوسع في ما جاء به أكثر عن طريق العودة إلى علم النفس وميدانه الرحب والاستفادة منه في التطبيق على القصة القصيرة .

أما فيما يتعلق بصعوبات البحث، فقد واجهت الدراسة منها قلة المراجع التى تعتمد منهج التحليل النفسي كمقاربة نفسانية، فما وجد كان عبارة عن مقالات متناثرة، عدا بعض الكتب التى عنيت بالتعريف بالمنهج النفسي والتأريخ له، ولم تتطرق كثيرًا إلى التطبيق، كما كان هناك أيضًا معاناة في استيعاب بعض النظريات النفسية، ومعاناة أخرى في تصنيف القصص وفقًا لموضوعاتها النفسية، ومن ثم وضع عناوين علمية سليمة ـ بقدر الإمكان ـ لعناصر البحث والتى يندرج تحتها دراسة القصص القصيرة وتحليلها .

وقد وقع الاختيار على سبع قصص أردية قصيرة، جاء ثلاثة منها للكاتب "ممتاز مفتى •" الذي اهتم عامة وبشكل ملحوظ بالجانب النفسي في قصصه، وهى

• ممتاز مفتى : ولد فى ١١ ستمبر عام ١٩٠٥م فى بٹالہ بالبنجاب، وكان له فى طفولته اسمان "ممتاز حسين"و "مقبول حسين"، تلقى تعليمه الابتدائى فى امرتسر، وحصل على شهادته العليا من الجمعة الإسلامية عام ١٩٢٩م،عمل فى العديد من المحطات الإذاعية فى الهند وأيضا فى صناعة السينما فى بومباى ، هاجر إلى باكستان عام ١٩٤٧ م وعمل هناك فى وظائف ومناصب حكومية هامة، وتوفى عام ١٩٩٥م، ومنذ عام ١٩٣٢م وهو يقرأ فى الأدب وعلم النفس فاستهوته القضايا والموضوعات النفسية، فجاءت معظم قصصه تتناول هذا الجانب حيث تدور حول الغرائز والمشاعر والتناقضات الداخلية التى تتكون بين العالم الداخلى النفسي والعالم الخارجي الاجتماعي فنسمع الأصوات المقموعة والرغبات والاحتجاجات المكبوتة، ويمكن تقسيمها إلى مرحلتين ؛ المرحلة الأولى " ١٩٣٦ – ١٩٦٥"، المرحلة الثانية " ١٩٦٦ – ١٩٨٩" للاستزادة أنظر : نذير احمد : فكشن نگار ممتاز مفتى، دستاويز مطبوعات،لاهور، ط١، ١٩٩٦ء.
: ريحان حسن : ممتاز مفتى حيات اور ادبى خدمات، چيرمين ادبى كميٹى، پاكستان آرٹس كونسل كراچى، ٢٠١١ء .

"ساری بات ـ الأمر بأسره" (ممتاز مفتی ، ١٩٩٣ ء : ص ٢٠ ــ ٢٦)، "چٹ کپڑی ـ قطعة القماش" (ممتاز مفتی ، ١٩٩٣ : ص ٢٦ ــ ٣٥) ، "پیارا پالتو ـ الأليف المحبوب" (ممتاز مفتی ، ٢٠٠٠ : ص ٢٩٧ ــ ٣١٥) وقصة "وہ بوڑھا ـ ذلك الشيخ"(صغرا مہدی ، ١٩٨٨ : ص ١٥ ــ ٢١) لـ "صغرا مهدى •"، وقصة "سبزوادی کا خواب . حلم الوادی الأخضر" (ولی محمد چودھری ، ٢٠٠٥: ص ١٠١ ـ ١٠٨) لـ "ولی محمد چودھری •" ، وقصة "گھونسلا ـ العش" (شوکت حیات ، ١٩٩٢: ص٥٣ ـ ٥٩). لـ " شوکت حیات •" ، وقصة "مردم گزیدة ـ أهل الشر"(مشتاق مؤمن ، ١٩٨٤: ص ٦٤ ـ ٧٠) لـ "مشتاق مؤمن •" .

ورأى الباحث أنه من الأفضل ترجمة القصص ترجمة كاملة، استنادًا على مبدأ الضرورة الذي تطرحه القراءة النفسية وهو الفهم العميق للنص، والسعي إلى فك شفرته النفسية، بخاصة أن هناك بعض المسائل النفسية لا تظهر بشكل واضح، وإنما تكون خفية ولا يُفصح عنها في النص، وإنما تتراءى للقارئ في التفسير والتأويل .

ولما كان هذا المنهج يقتضي إلمامًا واسعًا ودقيقًا بمعطيات التحليل النفسي، لذلك كان لزامًا ـ من الناحيتين الموضوعية والمنهجية . أن نمهد لهذا المنهج بإضاءة

•صغرا مهدى : ولدت بدهلى فى الهند عام ١٩٣٧م، وتوفيت عام ٢٠١٤م، لها ٩٣ مؤلف فى القصة والرواية والنقد وأدب الرحلات ، تبرز فى قصصها مسائل إنسانية دقيقة حيث تعبر عن القضايا الإنسانية الحرجة والشائكة التى تتعلق بالنفس البشرية والتى لا يكون للإنسان دخل فيها ولا يكون حرا تجاهها ، فهى لا تحس فقط بالمشاعر الدفينة لكنها تعرضها أيضا بطريقة ماهرة " للاستزادة أنظر : صغرا مہدی : جو میرے وہ راجا کے نہیں، سابق، ص٧ .

•ولی محمد چودھری :" اسمه بالكامل ولى محمد چودهرى احمد الدين ، كتب مجموعة "تپش"القصصية والتى تحوى ١٥ قصة قصيرة جاء جلها يتناول الموضوعات الاجتماعية والنفسية " أنظر: ولی محمد چودھری : تپش (افسانے) ،سابق .

•شوكت حيات : اسمه الكامل سيد شوكت حيات، ولد أول ديسمبر ١٩٥٠م، حصل على شهادة الماجيستير فى الآداب، وحصل على عدة جوائز؛ منها جائزة القصة الوطنية والقصة كانت باسم "گنبد کے کبوتر- حمام القبة"، جائزة الإنجاز مدى الحياة المقدمة من أكاديمية الأردية من ولاية بهار، ودرع الشرف المقدم من جامعة چودهرى چرن سنگھ على قصة "بکسوں سے دبا آدمی – الإنسان المخنوق من الصناديق"، وتتميز قصصه بجودة غير عادية فى الأسلوب والبيان، ويتميز نثره بصفة عامة بتناوله القضايا الإنسانية، بخاصة النفسية والاجتماعية، وأهم ما يميز تلك القضايا هى الواقعية، كما أنه يهتم باستدعاء العناصر الرمزية والأسطورية فى قصصه، وتعد مجموعة گنبد کے کبوتر من أهم مؤلفاته" للاستزادة أنظر : شوكت حيات : گنبد کے کبوتر (افسانوں کا مجموعہ، سابق .

• مشتاق مؤمن : هو من كتاب القصة القصيرة الجدد، ويهتم فى قصصه بعرض نماذج مختلفة من الشخصيات بحيث تحمل طباع وصفات نفسية مختلفة، حتى أنه يقول فى مقدمة مجموعته القصصية وراء كل قصة فى المجموعة شخصية خفية ملامحها غير واضحة، وعلى القارئ أن يتأملها بعمق حتى يفهمها ويعرف كنهها" للاستزادة أنظر : مشتاق مؤمن : رت جگوں کا زوال، سابق ، ص٣

تتضمن أهم مرتكزات التحليل النفسي، لذا تم تقسيم البحث إضافة إلى المقدمة والخاتمة وثبت المصادر والمراجع والترجمة إلى :

أولاً : التمهيد : يتم فيه التعريف بالمنهج النفسى ومكونات الجهاز النفسي .

ثانيًا : العقد النفسية (الأمبيدوكل ـ النقص ـ الرهاب من الالتزام) .

ثالثًا : الصراعات النفسية (الازداوجية ـ آليات الدفاع النفسى "الإزاحة") .

رابعًا : المشكلات النفسية(الحرمان البيئى ـ الهجرة والنوستاليجيا).

وينبغى الإشارة إلى أن العناصر الثلاثة في البحث والتى يتم من خلالها التحليل النفسي للقصص؛ أى العقد والصراعات والمشكلات ـ علميًا ـ كل منهما يؤدى إلى الآخر، والفروق بينها فروق طفيفة ترجع لتفسيرات علمية، ولكن جميعها تتعلق بالنفس الإنسانية ، لذلك فكل منها يرتبط بالآخر ولا ينفصل عنه.

أولًا : التمهيد

المنهج النفسي :

يمثل المنهج النفسي أهمية كبيرة وشاملة كونه مرتبطًا بجميع ميادين الحياة وخصوصًا الإنسان، فهو يدرس كل ما يتعلق به وبسلوكه وتصرفاته وأفعاله، وهو من المناهج النقدية الأساسية في قراءة النصوص الأدبية في العصر الحاضر، ذلك أن البنية النفسية هى أكثر المرجعيات تماسًا مع النص الأدبى، ولا سيما النص القصصي.

والمنهج النفسي النقدى في أبسط تعريفًا هو: " ذلك المنهج الذي يخضع النص الأدبي للبحوث النفسية ويحاول الانتفاع من النظريات النفسية في تفسير الظواهر الأدبية، والكشف عن عللها وأسبابها ومنابعها الخفية وخيوطها الدقيقة وما لها من أعماق وأبعاد ممتدة ". (يوسف وغليسي ، ١٤٣٠ هـ : ص ٢١)

ويستمد المنهج النفسي آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي ذات الفعالية المستثمرة إلى يومنا هذا، وهى في جوهرها تدين بالفضل لمؤسسها "سيغموند فرويد" رائد التحليل النفسي، وله مكانة كبيرة بين المنشغلين بعلم النفس والطب النفسي .(محمد حسين ، ١٩٨٠ : ص (ز))

مكونات الجهاز النفسي

وقد قسم " فرويد " الجهاز النفسي الباطنى إلى ثلاثة مستويات أو أقسام :

١/ ما قبل الشعور Preconscient :

وهى منطقة من العقل لا تكون موجودة عندما يولد الشخص، ولكنها تتطور مع استمرار تفاعل الفرد مع بيئته، وقد ينظر لها على أنها تفصل بين الشعور واللاشعور أى تقع في مكان وسط بينهما، ومن وظائفها تعمل كمراقب، وهى تؤخر إطلاق الغرائز، فحينما تبتعد الفكرة عن الشعور حينها تكون موجودة في "ما قبل الشعور"، حيث تضم جميع التصورات والمواقف التى يكمن فيها الوعي، وعلى الرغم من ذلك فهى قابلة أن توعى في أى وقت". (سيغموند فرويد ، ١٩٨٢ : ص ١٥)

٢/ الشعور Conscient :

يرى فرويد أن الشعور له وظيفة أعضاء الحس من حيث الإدراك، فهو ذلك القسم من العمليات النفسية التى نشعر بها وندركها في وقتها، ولفظ " شعور" من جهة أولى إنما هو لفظ وصفي بحت يعتمد على إدراك حسي ذي طابع مباشر ويقيني جدًا ويبين الخبرة من جهة ثانية ". (سيغموند فرويد ، ١٩٨٢م : ص ٢٦)

كما نجد له تعريفًا آخر أكثر توضيحًا وهو" أنه موطن الأفكار والتجارب العقلية التى يشعر بها الإنسان في حالة اليقظة، فنحن نشعر بحرارة الجو، وقد نشعر بالفرح أو نشعر بالكتاب الذي نقرأ فيه، وهذه كلها أفكار وتجارب عقلية تمثل منطقة الشعور عند الإنسان " . (وليد قصاب ، ٢٠٠٧ م : ص ٥٥)

فالشعور إذن هو معرفة مباشرة وإدراك عفوى للعالم الداخلى والخارجى، فهو وعى نفسي يكشف به الإنسان بطريقة مباشرة لما يجري في نفسه وعقله من أفكار وعواطف وأحاسيس .

٣/ اللا شعور Incancience :

اللاشعور أو العقل الباطن "هو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي جميع العمليات النفسية اللاشعورية؛ حيث توجد بعض العمليات النفسية التى تستطيع أن تحدث في النفس جميع الآثار التى تحدثها الأفكار العادية بدون أن تكون هى نفسها شعورية، وهى تحتاج إلى الكثير من المشقة والجهد لكى تصبح شعورية، ويحوى اللاشعور الدوافع الغريزية البدائية الجنسية والعدوانية التى غالبًا ما تُكبت في مجتماعاتنا المتحضرة تحت تأثير المعايير الخلقية والدينية والاجتماعية التى ينشأ فيها الفرد، وتفرغ الدوافع والرغبات المكبوتة في اللاشعور من أجل الإشباع والظهور في الشعور، وهى كثيرًا ما تلجأ في سبيل ذلك إلى طرق شاذة ملتوية كما نشاهد مثلاً في الأمراض العصبية " . (سيغموند فرويد ، ١٩٨٢: ص ١٥)

فالاشعور إذن مجموعة من العوامل والعمليات والدوافع المؤثرة في سلوك الفرد وفي تفكيره وعقله ومشاعره دون أن يكون عالمًا أو مدركًا بها أو بكيفية حدوثها .

ويرجع الفضل إلى "فرويد" في اكتشاف حقيقة أن جزءًا كبيرًا من حياتنا العقلية لا شعورى، وأن لهذا الجزء اللاشعورى تأثير كبير على سلوكنا ومشاعرنا سواء في حياتنا السوية أو فيما نتعرض له من اضطرابات وأمراض نفسيه(شمشاد حسين : ٢٠٠٠: ص١٢-١٩)، "حيث يرى فرويد أن اللاشعور والعقل الباطنى هو مستودع الرغبات والصراعات والدوافع المكبوتة التى تتفاعل في الأعماق بشكل متواصل، ولكن لا تطفو إلى الشعور إلا إذا توافرت لها الظروف المحفزة لظهورها، فالأدب والفن عنده ما هما إلا تعبير عن اللاوعى / اللاشعور". (صلاح فضل ، ١٤١٧ هـ : ص ٦٤ ــ٦٥)

وهكذا ليس من شك في ما لـ "الشعور" و "اللاشعور"، أو قل "العقل الواعى" و "العقل الباطن" من أهمية عند علماء النفس في عملية التفكير الإنسانى، ذلك أن "الشعور" ليس إلا المنطقة السطحية في عملية التفكير، أما معظم دوافع التفكير البشري وأهم الأسس التى تتحكم في سلوك المرء وتصرفاته، فمرده إلى "اللاشعور"، تلك الخزانة الهائلة التى يحتفظ الإنسان فيها على وعى منه بكل غرائزه وذكرياته وتجاربه، "مما دعا فرويد إلى القول بأن "العقل الباطن" هو أصل كل نزوع نفسي، أى أنه هو الذي يوجه الإنسان في تصرفاته، وإن بواعثه هى التى تتحكم في سلوكه، ذلك أن شواغل النفس التى لايقوى الإنسان على مواجهتها جهارًا ينحيها من طريقة جانبًا، فيتشاغل عنها ويتناساها هربًا منها، ويتخيل أنه بذلك قد تخلص من هذه الشواغل، غير أنها تظل قابعة ساكنة في قرارة عقله الباطن، تتحين الفرص للإعراب عن نفسها، بدفع صاحبها بأن يأتى من الأعمال ما فيه راحتها وإشباعها، وعلى ضوء هذه الحقيقة العلمية، يمكن تفسير كثير من تصرفاتنا التى تصدر في الظاهر على غير وعى منا أو بغير إرادتنا ". (سيغموند فرويد ، ١٩٨٨: ص ٢٠ ــ ٤٥)

ويعد هذا المستوى / اللاشعور هو الفريضة الأساسية التى تقوم عليها نظرية التحليل النفسي، وينقسم بدوره إلى ثلاث قوى متصارعة تمثل جوانب الشخصية الإنسانية وهى ؛الأنا، الأنا الأعلى، الهو :

ـ الأنا Ego :

هو الشخص نفسه، ويستخدم هذا المصطلح أحيانًا لمرادف " الذات ـ self"، فالأنا هى الذات كما يدركها صاحبها أي تصور الشخص لذاته، وهى مركز الشعور والإدراك الحسي والعمليات العقلية المشرفة على جهازنا الحركى والإرادى (سامى يوسف أبو زيد : ٢٠١٢ م ، ص ٤٢)، أى أنها تمثل الجانب السيكولوجى أو الشعور، وهى المسئولة عن التعامل مع الآخرين، فهى واجهة الشخصية وتتولى أيضًا مسئولية إشباع إحتياجات الذات، وتمتنع عن تجاوز قيود المجتمع وأعرافه، فتحاول ما أمكن التوفيق بين التقاليد وبين الطلبات وملذات الدنيا، ولذلك فهى في صراع مستمر

مع التصرفات الشاذة، ويستمد "الأنا" طاقته من الهو، لكنه يكبح جماح الهو في طريق تطبيق الأوامر الخلقية للأنا الأعلى . (سيغموند فرويد ، ١٩٨٨: ص ١٤ ، ١٥)

ـ " الهو Id " :

ويمثل الجانب البيولوجى الذي يحوى كل ما هو موروث وما هو موجود منذ الولادة، وما هو ثابت في تركيب البدن، وهو يحوى الغرائز التى تُبعث من البدن كما يحوى العمليات النفسية المكبوتة التى فصلتها المقاومة عن الأنا، فالهو إذن جزء فطري وجزء مكتسب، ويطيع الهو مبدأ اللذة، ولا يراعي المنطق أو الأخلاق أو الواقع، واللاشعور هى الكيفية الوحيدة التى تسود في الهو. (سيغموند فرويد،١٩٨٢ : ص٢٩)

فالهو غير معنى بالمجتمع وقيمه ومثله العليا، بل أنه يسعى دائمًا إلى إشباع رغباته وميوله، سواء أكانت متوافقة مع المجتمع أم لا، ولعل هذا هو الذي يجعله في صراع دائم مع " الأنا " . (مسلم حسب حسين ، ٢٠١٩ : ص ٢٣)

ـ الأنا الأعلى Super Ego :

ويمثل الجانب الاجتماعي أو الأخلاقي؛ حيث يسعى إلى تحقيق المبادئ الأخلاقية والكمال، فهو الجانب المثالي لا الواقعي الذي يمثل الرقابة الأخلاقية للفرد، وهو يتشكل في إطار "الأنا" في بداية الأمر، لكنه ينفصل عنه ليكون قوة رقابية أخلاقية ضاغطة على "الأنا"، لكونه ممثلًا لسلطة الوالدين التى تتجلى في مجمل الأوامر والنواهى التي يتلقاها الفرد عبر عملية التطبيع الاجتماعي التى يمارسها الوالدان إذاء الفرد في مرحلة الطفولة، وبذلك تتحول سلطة الوالدين إلى سلطة نفسية داخلية في نفس الطفل تعمل على مراقبته وتصدر إليه الأوامر وتنقده وتهدده بالعقاب، وهو ما يعرف بـ"الضمير"، ويمثل الأنا الأعلى كل ما هو سامٍ في الطبيعة الإنسانية . (سيغموند فرويد،١٩٨٢: ص ٣٣)

وقد فسر فرويد من خلال نظرية التحليل النفسي السلوك الإنسانى برده إلى منطقة "اللاشعور" والقوى الثلاث المتصارعة بداخلها، "وخص فرويد الأدباء بمكانة

ومنزلة حتى أنه يرى أنهم المكتشفون الحقيقيون للاوعى / اللاشعور عند الإنسان، حيث اعترف بأنهم هم الذين ألهموه نظريته في التحليل النفسي، لأنهم يعيدون قصة الغرائز في لغة ساحرة مؤثرة، لكنهم لا يفصحون عن ماهيتها، وبذلك يوفرون لعالم النفس مادة غزيرة حيث يصورون المشاعر العنيفة تصويرًا مؤثرًا ويكسبونها دلالة شاملة، فالأدب إذن يقدم الأنماط العامة أو المادة الخام في النفس الإنسانية فتنتفع بها مصطلحات التحليل النفسي. (أحمد حيدوشي ، ١٩٩٤ : ص ١٤)

هكذا يضئ التحليل النفسي الأدب، ويضئ الأدب التحليل النفسي، وما تجدر الإشارة إليه أن المقاربة النقدية للنصوص القصصية موضوع الدراسة تتبنى آليات المنهج النفسي الفرويدى، الذي يفسر آليات الإنتاج الأدبي على أنها شبيهة بالآليات النفسية التى يخضع لها السلوك الإنسانى، نظرًا إلى ما تتضمنه من بنية رمزية تحيل إلى دوافع نفسية لاشعورية هى حصيلة الصراع بين قوى النفس الثلاث.

ولم يكن التحليل النفسي الذي وضع فرويد أسسه الفكرية وآلياته المنهجية نظرية علمية عنيت بدراسة البنية النفسية والظواهر المرضية الفردية فحسب، بل كان فكرًا شموليًا يتضمن أيضًا الظواهر الإنسانية والاجتماعية، فالجانب النفسي هو جزء فردى يتضافر مع بقية الأجزاء لبناء الإنسان، وتكوين شخصيته الإنسانية ، كذلك يساعد في أن يبصر القارئ بعالم النص ويكشف عن مكوناته في سبيل فهم نفسي أوسع للنص، وفيما يأتى عرض لأهم هذه الأدوات .

ثانيًا : العقد النفسية :

العقدة هى كلمة ترددها العامة بغية التعبير عن مشكلة نفسية تبقى جذورها غامضة لكنها تظهر في ردود الأفعال لدى بعض الشخصيات، ومن وراء هذه الكلمة التى أصبحت بسيطة ومتداولة تجمعت كميات من الأبحاث النفسية والتحليلية راصدة الافتراضات والإحصاءات حول كل العقد الممكنة مع تفسيرات لها، دون أن يتوصل الباحثون إلى اتفاق أو إلى تركيب بعينه .

ويرجع تاريخ كلمة عقدة إلى فرويد؛"حيث قد أطلق كلمة عقدة على الفكرة الثابتة شبه الواعية • ". (روجيه موكيالي ، ١٩٨٨ م : ص١٥)

وقد تحددت معانى العقد منذ عام ١٩٠٠ م كذكريات من الماضي أو نوع من التمثيلات البيانية المشحونة بالانفعال وغير الواعية، أو نوع من الانفعالات الثابتة القابلة للنمو بعيدًا عن الأنا الواعى، وجاعلة ردود الفعل على الموقف الراهن مضطربة بشكل محدد . (روجيه موكيالي ، ١٩٨٨ م : ص١٥)

كما تعرف على أنها مجموعة من مشاعر وأحاسيس واعية ومثبتة وراسخة، يتجلى تأثيرها على الشخص من خلال صفات جسدية ونفسية محددة، مسببة توترات واضطرابات• نفسية داخلية قد تترك أثرًا عميقًا على مراحل تطور الشخصية . (Analyticalpsychologg.word press . com) (٢٠٢١/٣/١٢م)

تعتبر العقد النفسية واحدة من أكثر الأشياء التى تفسد على الإنسان حياته، خاصة إذا كانت تلك العقدة تحمل أصولًا قديمة، فعندما يتعرض الشخص لأى موقف سئ فإن مشاعره وذكرياته التى تشكلت في ذلك الموقف يتم تخزينها بصورة لا إرادية داخل اللاوعى، ثم تظل هكذا دون أن يشعر الإنسان بها حتى يتعرض إلى موقف مشابه، وهنا تحدث عملية الصراع وتختلف الاستجابة للموقف المشابه بسبب الذكريات القديمة. (العقد النفسية /www/.ts3a.com/majhool/)(١٦/٤/٢٠٢١م)

وتتعدد أنواع العقد النفسية، وبمرور الوقت بات اكتشاف العقد الجديدة أمر شبه عادى، وتتناول الدراسة واحدة من هذه العقد في قصة "وه بورها ـ ذلك الشيخ" لـ "صغرا مهدى "، وهى :

• الفكرة الثابتة شبه الواعية : أطلق جانيه (١٨٨٦ م) خلال عمله الوحيد في مجال الأمراض العقلية كلمة " الفكرة الثابتة شبه الواعية " على حدث مرضي يكمن حسب قوله في "انفعال مجمد يتجاوز الوعى"، ويعود في أصله إلى حدث سببه صدمة نفسية أو خوف أصبح ذكره شبه واع أو ربما قد حلت محله بعض الأعراض " للاستزادة انظر : روجيه موكيالي ، العقد النفسية ، ترجمة : موريس شربل ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨ م ، ص ١٤ .

• الاضطرابات : " الاضطراب:اللفظ يستخدم للتعبير عن وجود جملة من الأعراض أو التصرفات التي يمكن تفسيرها سريريًا " إكلينيكيًا " والتى تكون مصحوبة في معظم الحالات بتشوش في الوظائف الشخصية " أنظر : المراجعة العاشرة ، التصنيف الدولى للأمراض، تصنيف الإضطرابات النفسية والسلوكية، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمى لشرق المتوسط

١. عقدة "أمبيدوكل":

في هذه العقدة العجيبة نجد الشخص محملًا بطاقة إيجابية لدرجة لا تُتخيل، فهو يكون دائمًا راغبًا في مساعدة الآخرين وتحمل الأذى منهم دون أن يشتكى أو يفكر حتى في فعل ذلك، كما أنه يكون مستعدًا للتضحية في أى وقت وبأى شئ، وقد سميت هذه العقدة بهذا الاسم نسبة إلى آلهة أثينا القدامى، وتعتبر عقدة "أمبيدوكل" أننا في نظام الكون ينبغي أن نكون الموقد الذي يضئ سبيل الآخرين " . (روجيه موكيالى ، ١٩٨٨: ص ٤٣)

وتحكى قصة "وه بورها - ذلك الشيخ "عن ذلك الشيخ الذي عاش طوال حياته في سبيل خدمة الآخرين وإسعادهم، وكان هذا هو مبدأه في الحياة وهو أن يبدل الخراب عمرانًا، لكنه في آخر مرحلة في حياته أو بالأحرى في آخر لحظات حياته ملقى في صحراء قاحلة وحيدًا بدون معين أو مساعد، ولا يرغب في أن يموت في هذا الخراب، ولديه ثقة ويقين كعادته أنه سيقطع الصحراء بدون مساعدة أحد، وإذا به وهو في جهاده هذا يلتقي بشاب يتجول بغرض الصيد، فيساعده ويجلسه تحت شجرة يستظل بظلها ويسقيه، ويخبر الشيخ الشاب أنه لا يعرف من تركه هنا، لكنه يعرف أنه يبحث عن مثل هؤلاء الذين يرثون مبدأه، ويكملون أعماله من أجل الغير كتعمير الخراب وإضاءة الظلمات، لكنه لم يجد مثل هؤلاء الناس الذين يرتضون لأنفسهم تحمل المشقة والعناء من أجل الآخرين، فهؤلاء الناس الذي عمر الخراب وذلل كل الصعوبات من أجلهم لم يعبأوا بكلامه ولم يعيروه اهتمامًا، فبعضهم كان مشغولًا للغاية فلم يمنحوه من وقتهم، والبعض كان يفكر في تحقيق مزيد من الراحة والرفاهية، ومنهم أيضًا من اعتبر الشيخ مجنونًا واعتبروا رغبته هذه عبثًا وهراء، وفي النهاية شعر الشيخ أن هذا الشاب الذي التقى به في الصحراء سيحفظ إرثه ويحمل نفس اللواء، وفي أثر هذه الفكرة مات مطمئنًا في هدوء .

فهنا يتضح أن محور القصة هو شيخ مسن أمضى حياته بأكملها معانيًا من هذه العقدة الغريبة، حاملًا على عاتقه أن يخدم الآخرين ويكون شمعة تحترق من

أجلهم، ولا يطلب مساعدة من أحد، ولا يكل ولا يمل عن المضي في نفس الطريق وعلى نفس النهج فتستهل الكاتبة قصتها قائلة :

" تلك الصحراء الجرداء حيث لا يوجد بها إنسان، يلفها الهواء من كل ناحية، كان ذلك الشيخ يمشى، يهتز ويرتجف، يسقط ويتماسك، قدمه مجروحة من أحجار وأشواك الطريق، يغطى عينيه حجاب من الغبار، الظهر محنى من ثقل السن، على الجبهة خطوط لا حصر لها، على وجهه المثقل بالتجاعيد ألوان الفكر والتأمل، العزم واليقين، الأمل واليأس، اقترب منه، سمع الشيخ يقول شيئًا، فأنصت إليه فسمعه يقول :

سأعبر هذه الصحراء

سأخرج منها

لا أرغب أن أتنفس آخر نفس فى حياتي فى هذا الخراب، فهل كنت قد عمرت الخراب من أجل ذلك؟ أنا ....أنا، ثم ثقلت أنفاسه، وأخذ يلهث، بدأ يفكر: من هذا الشيخ؟ أين يذهب شيخ ضعيف وهزيل والذى يعيش على أنفاس محدودة، أى عمران ... أى خراب .... ما الفرق فالموت مؤكد له، وبينما كان يفكر التفت الشيخ خلفه وشاهده، فقال مسيطرًا على أنفاسه :

من أنت يا سيد ؟ إلى أين تذهب ؟

نعم ؟ أنا ؟ أنا فقط قد خرجت للصيد، ضللت الطريق وجئت إلى هنا، والآن أعود إلى منزلى

ابتسم الشيخ وقال : أنت تحب الصيد ـــ

لأساعدك ـــ

لا ... لا ... لست بحاجة للمساعدة، أستطيع أن أمشى بنفسى بدون مساعدة أحد، لتنظر أنا أمشى، وبينما كان يقول هذا بدأ يتعثر، ولو تقدم بسرعة دون مساعدة حتما سيقع ... هكذا فى ذلك الوقت بدأ يساعده وبدأ يمشى ولا يشعر أنه يمشى

بمساعدته، ظلا يمشيان، وفى النهاية قدر الله وظهرت شجرة، كان الشيخ قد تعب، وأنفاسه كانت كالمنفاخ ".١(صغرا مهدى، ١٩٨٨: ص ١٥ ، ١٦)

ولأن العقد ليست أشياء غريبة موضوعة في أعماق الكائن وقابلة للصعود إلى سطحه، بل هى أنظمة سلوك حاضرة بشكل دائم مثل الموهبة كالموسيقى مثلًا، أو بالأحرى هى قطع من السلوك، وهذه التصرفات المعزولة المجزأة تستمر وعلى استعداد تام للانطلاق" (روجيه موكيالى، ١٩٨٨ : ص ٤٥)، فهذا ما توضحه الكاتبة أيضًا لتبرز أن سلوك الشيخ لم يكن طارئًا أو مرتبطًا بوقت بعينه، ولكنه كان سلوكًا حاضرًا بشكل دائم حتى أصبح شيخًا مسنًا، فتقول على لسان بطل القصة :

" يا سيدى! من أنت ؟ وأين تذهب ؟

أنا عبد الله .

لماذا أتيت إلى هنا؟ بحثًا عن السكون وطمأنينة القلب .... ؟

سمع الشيخ هذا وابتسم، وكانت تلك الابتسامة تبدو جميلة للغاية على وجهه.

---

١) " وہ لق ودق صحرا جہاں آدم نہ آدم زاد، ہر طرف ہوا کا عالم، وہ بوڑھا چلا رہا تھا، لڑکھڑاتا ٹگمگاتا گرتا اور سنبھلتا، پیر راستے کے سنگ ریزوں اور خاروں سے فگار، آنکھوں پر بھاری پپوٹوں کا پردہ پڑا ہوا کمر عمر کے بوجھ سے خم، فراخ پیشانی پر ان گنت لکیریں، جھرّیوں سے بھرے چہرے پر غور وفکر، عزم ویقین، امید وناامیدی کے ملے جلے رنگ وہ اس کے قریب آیا۔ اس نے سنا کہ بوڑھا کچھ کہہ رہا تھا، کان لگا کر سنا تو وہ منہ ہی میں کہہ رہا تھا:

میں اس صحرا کو پار کر لوں گا

میں اس سے نکل جاؤں گا

میں اپنی زندگی کی آخری سانس اس ویرانے میں نہیں لینا چاہتا۔ کیا میں نے ویرانوں کو اس لیے آباد کیا تھا؟ میں ـــــ میں ۔ اور پھر اس کا سانس پھولنے لگا، وہ ہانپ رہا تھا۔ وہ سوچنے لگا کہ یہ بوڑھا کون ہے؟ کہاں جا رہا ہے۔ ظعیف ولاغر بوڑھا۔ جو گنتی کی سانسوں پر جی رہے ہیں، ان کے لیے کیا آبادی ـــــ کیا ویرانہ ـــــــ کیا فرق پڑتا ہے کہ انہیں تو مرنا ہی ہے۔ وہ یہ سوچ رہا تھا کہ بوڑھے نے پیچھے مڑ کر اسے دیکھا اور اپنی سانس قابو میں کر کے بولا:

میاں صاحبزادے تم کون ہو، کہاں جاتے ہو؟

جی؟ میں؟ میں تو بس یوں ہی شکار کھیلنے کو نکل آیا تھا، بھٹک کر ادھر آ گیا اب اپنے گھر کو جاتا ہوں

تو تم شکار کرنے کا شوق ـــــــ بوڑھا مسکرا کر بولا

آپ میرا سہارا لے لیجے ـــــــ

نہیں، نہیں مجھے سہارے کی ضرروت نہیں ۔ میں خود ہی چل سکتا ہوں، بغیر کسی سہارے کے۔ دیکھو دیکھو مَیں چل رہا ہوں ۔ وہ کہہ رہا تھا کہ اسے ٹھو کر لگی اور اسے اگر جلدی سے بڑھ کر سہارا نہ دیتا تو وہ گِر پڑتا ـــــ اور اب بوڑھے کو اس طرح سہارا دے کر چلنے لگا کہ اسے یہ احساس نہ ہو کہ وہ اس کے سہارے چل رہا ہے۔ وہ چلتے رہے، آخر خدا خدا کر کے ایک درخت نظر آیا۔ بوڑھا تھک گیا تھا۔ اس کی سانس دھونکنی کی طرح چل رہی تھی ۔"

يا بنى! الزهاد والرهبان هم من يحظون بطمأنينة القلب وسلام النفس فى الغابات والصحارى وليس البشر العاديين .

أنا بذلت حياتى بأكملها من أجل تعمير الخراب، أضأت المصابيح فى الظلمات، قد بحثت عن طرق جديدة، بحثت عن طمأنينة النفس فى العمران بين الناس ووجدتها.

إذن فماذا تفعل هنا؟

تحدث إلى الشيخ وشرع يحاول أن يشتت انتباهه رغبة فى أن يمنعه من السير ـــ

لا أدرى من جاء بى إلى هنا وتركنى ..... لا أتذكر أيضًا، لو أحسب عمرى بالسنين يبدو طويلًا جدًا وإذا أفكر بتلك الأعمال التى تسكن فى قلبى حسرة على عدم القيام بها فيبدو العمر قصيرًا للغاية، أربعة أيام .... فقط أربعة أيام، نعم، ماذا كنت أقول .

قال بسرعة : كنت تتحدث عنك .

نعم كنت أخبرك أننى أفنيت حياتى بأكملها فى تعمير الخراب، عمرت القرى، بحثت عن طرق جديدة، أضأت المصابيح فى الطرق المظلمة، ظللت أفعل هذا ثم عندما رفعت رأسي وبدأت أحسب شهور وسنين حياتى، أدركت أن الوقت المتبقى الآن قصير جدًا، والآن نظرت حولى فى كل الجهات، وشرعت أبحث عن مثل هؤلاء الناس .... بدأت أنفاس الشيخ تتثاقل مرة أخرى، وكان يبدو ضعيفًا للغاية ".١(صغرا مهدى، ١٩٨٨ : ص ١٦)

---

١) " بڑے میاں آپ کون ہیں اور کہاں جاتے ہیں؟
میاں اللہ کا بندہ ہوں
آپ یہاں کیوں آئے ہیں؟ سکون اور من کی شانتی کی تلاش میں ـــــ
یہ سن کر بوڑھا مسکرا دیا، اس کے منہ پر وہ مسکراہٹ بڑی بھلی لگ رہی تھی ۔
میاں صاجزادے ویرانوں اور جنگلوں میں من کی شانتی دل کا سکون رِشیوں مُنیوں کو ملتا ہے عام انسانوں کو نہیں ـــــ
میں نے زندگی بھر ویرانوں کو آباد کرنے کی کوشش کی ہے۔ اندھیروں میں دیے روشن کیے ہیں ۔ میں نے نئی شاہراہیں تلاش کی ہیں ۔ میں نے من کی شانتی آبادی میں کھوجی انسانوں کے بیچ رہ کر اس کو تلاش کیا ہے اور وہ مجھے ملی ۔

ويبقى هذا النظام من السلوك قائمًا ومستمرًا رغم أنف الأنا، فالسلوك العقدى يظهر دفعة واحدة وهو دائمًا نفسه، حيث تتمتع العقدة باستقلالية مميزة تشبه مخلوقات مستقلة تحيا حياة طفيلية داخل النفس، فالعقدة جزء من الشخصية تمتلك مركبًا متميزًا، وذاكرة خاصة " (روجيه موكيالى، ١٩٨٨ : ص٥٠ – ٥٣).، لذا لم يستطع الشيخ التخلى عن هذا الجزء من شخصيته حتى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، فهو يريد أن يجد من يكمل مسيرته من بعده ويرث هذا الجزء من شخصيته، وعندما طمأنه الشاب بأنه سيكون مثله مات في سلام :

" كان الشيخ يقول شيئًا ما، تظاهر أنه لم يسمع ، فكان عليه أن يصل إلى المنزل بسرعة، مهما لازمته هذه المشكلة .

عبرت هذه الصحراء، أليس كذلك؟ لماذا يا سيد، ألم أقل أننى سأخرج من هذه الصحراء، فتوقف وكان قلبه قد تعلق بالشيخ .

ألا تتحدث يا سيدى!، لماذا أنت صامت ، لم يستطع المضي قدمًا، فأتى عنده وقال:"يا سيدى! لقد جئتَ إلى العمران، وتخرج من الصحراء"، نعم، هذا ما كنت أقوله، هؤلاءأيضًا وأولئك كذلك وأنت أيضًا، كلكم تقولون نفس الذى أسمعه، ألست وحيدًا! لا بالطبع لا ـــــ العمران ـــــ الخراب ـــــ المصباح ـــــ وبدأ الشيخ يلفظ أنفاسه، نعم يا سيدى، نحن جميعًا نقول الذى تسمعه، نحن سنعمر الخراب مثلك، وسنضئ الطرق المظلمة، فى تلك اللحظة كانت على وجه الشيخ ابتسامة، وصار

تو پھر آپ یہاں کیا کر رہے ہیں؟
وہ بوڑھے کو باتوں میں لگا کر اس کا دھیان بٹانے کی کوشش کرنے لگا کہ اسے چلنے سے باز رکھنا چاہتا۔۔۔۔۔۔۔
مجھے نہ جانے کون یہاں لا کر چھوڑ گیا ـــــــ مجھے یاد بھی نہیں ۔ میں اپنی زندگی کا حساب اگر برسوں سے لگاؤں تو وہ بہت لمبی بہت طویل لگتی ہے اور ان کاموں کے بارے میں سوچتا ہوں جن کے نہ کرنے کی حسرت میرے دل میں ہے تو بیحد مختصر لگتی ہے۔ چار دن ۔ بس چار دن ۔ ہاں آں تو میں کیا کہہ رہا تھا۔
آپ اپنے بارے میں بتا رہے تھے۔ اس نے جلدی سے کہا۔
ہاں تو میں تمھیں یہ بتا رہا تھا کہ میں نے زندگی بھر ویرانوں کو آباد کیا۔ بستیاں بسائیں، نئی نئی شاہراہیں تلاش کیں، اندھیرے راستوں میں چراغ جلائے۔ میں یہ کرتا رہا اور پھر جب سر اٹھایا اور زندگی کے ماہ وسال کا حساب لگایا تو معلوم ہوا کہ اب مہلت بہت کم ہے۔ اب میں نے چاروں طرف نظر دوڑائی ۔ ایسے لوگوں کو کھوجنا شروع کیا ـــــــــ بوڑھے کی سانس پھر پھولنے لگی تھی ۔ وہ بہت کمزور لگ رہا تھا۔"

مطمئنًا تمامًا، كانت ألوان الثقة والاطمئنان تلوح على وجهه"[١](صغرا مهدى، ١٩٨٨ : ص ١٨)

والفرد المعقد لا يعي عقدته إلا في حالة واحدة فقط، وهى عندما يكون منزعجًا وواعيًا لمتاعبه، وعندما يشعر بكبت، بشدة أو بحصر في بعض المواقف أو بطريقته العامة في وجوده في العالم، مما يمنعه من التصرف كما يشاء(روجيه موكيالى، ١٩٨٨ : ص ٥٢)، فيقع في صراع مرير مع الأنا، لأن العقدة تسعى إلى تأكيد وجودها، والأنا ترفضها، وهذا ما تبرزه الكاتبة في ثنايا القصة :

" فسأل هو الشيخ : كنت تبحث عن من؟

عن أولئك الناس الذين يعمرون الخراب مثلى ويواصلون هذه السلسلة من الأعمال.

هل أتوا ؟

لا يا عزيزى كانوا مشغولين، لم يكن لديهم فرصة من الوقت لسماع كلامى أنا الشيخ، كان وقتهم ملكهم، ووقتى أنا ضاع منى.

ألم يأت أحد؟

كأنهم لم يأتوا، أتى البعض لكنهم قالوا : نحن نعيش فى العمران وبالبقاء هنا لن نوفر لأنفسنا مزيدًا من الرفاهية، وما الفائدة من تعمير الخراب من أجل الآخرين ؟

وصفنى بعض الناس بالجنون، وفى رأى البعض كانت رغبتي هذه عبثًا لا طائل منه، والبعض كان يحب سرعة الوصول إلى الهدف، كان البعض سعداء

---

[١] " بوڑھا کچھ کہہ رہا تھا۔ اس نے سنی اُن سنی کر دی ۔ اسے جلدی گھر پہنچنا تھا۔ خواہ مخواہ یہ مصیبت گلے پڑی ۔

میں نے اس صحرا کو پار کر لیا نا؟ کیوں میاں صاحبزادے۔ میں نہ کہتا تھا کہ میں اس صحرا سے نکل آؤں گا۔ وہ رک گیا۔ اس کا دل بوڑھے میں پڑا ہوا تھا۔

میاں صاحبزادے بولونا! تم چپ کیوں ہو اور وہ آگے نہ بڑھ سکا۔ اور اس کے پاس آکر بولا۔ بڑے میاں آپ آبادی میں آگئے ہیں، صحرا سے نکل آئے ہیں ۔ ہاں اں ۔ یہی تو میں کہہ رہا ہوں ۔ یہ بھی ہیں وہ بھی ہیں اور تم بھی ہو۔ تم سب وہی کہہ رہے ہو نا جو میں سن رہا ہوں ۔ میں تنہا تو نہیں ہوں نا!۔ نہیں بالکل نہیں ۔ آبادی ـــــــ ویرانے ـــــــ چراغ ـــــــ اور بوڑھے کی سانس اکھڑنے لگی ۔ ہاں بڑے میاں ہم سب وہی کہہ رہے ہیں جو آپ سن رہے ہیں ۔ ہم آپ کی طرح ویرانوں کو آباد کریں گے۔ اندھیرے راستوں کو روشن کریں گے۔ اب بوڑھے کے چہرے پر مسکراہٹ تھی ۔ اب وہ پُر سکون تھا۔ اس کے چہرے پر اطمینان اور یقین کے رنگ کھیل رہے تھے۔"

بالجلوس في منازلهم لمجرد أنهم يجلسون في المنازل ـــ وبعد كل هذا جاءت راكضة نحوي .

من ؟

تلك التى لم أعيرها اهتمامًا قط، وأكدت أنه لن يستمع لى أحد، ولن تستمر هذه السلسلة من الأعمال، لم أعيرها اهتمامًا، فأتت وشرعت تهمس فى أذنى التى أصغت إليها كثيرًا :أنت الذى أفنيت عمرك الغالى فى تعمير الخراب، وبددت الظلام بإشعال المصابيح، ولم تعبأ بالعواصف والأعاصير، والآن أيضا تفكر فى أن يستمر هذا العمل بعدك، لم أعترف بكلامها كالعادة، فجاءت وشرعت تقول: الذى يمكنك فعله فعلته والآن لا تفكر فى ماذا يحدث بعدك، الآن اجلس وانتظر الموت، قد صرتُ منهك القوى بسبب تلك الصدمات المتواصلة، فإذا به يدعمنى ويساندنى كالمعتاد، وقال : لا، هذا خطأ ستبقى هذه الأعمال من بعدك، وبالضرورة سيكون هناك مثل هؤلاء الناس الذين سيكونون أمناء على هذه الأمانة، وسيتحملون على عاتقهم هذه المعاناة، ولكن متى جرني إلى هنا؟ وكيف؟ "١(صغرا مهدى، ١٩٨٨: ص ١٧)

---

١) " آپ کو کس کی تلاش تھی؟ اس نے بوڑھے سے سوال کیا۔
ان لوگوں کی جو میری طرح ویرانوں کو آباد کریں اور اس سلسلے کو باقی رکھیں ۔
تو وہ آئے؟
نہیں، میرے عزیز وہ مصروف تھے۔ ان کے پاس مجھ بوڑھے کی بات سننے کی فرصت نہیں تھی ۔ ان کا وقت ان کے ساتھ تھا۔ میرا وقت مجھ سے بچھڑ رہا تھا۔
کوئی بھی نہیں آیا؟
نہیں ایسا تو نہیں، کچھ آئے مگر انھوں نے کہا کہ ہم آبادی میں رہ رہے ہیں اور یہاں رہ کر ہم اپنے لیے زیادہ سے زیادہ آسانیاں نہیں فراہم کریں گے؟ دوسروں کے لیے ویرانوں کو آباد کرنے سے حاصل؟
کچھ لوگوں نے مجھے خبطی بتایا اور کچھ کے نزدیک میرا یہ شوق فضول تھا ا ۔کچھ کو منزل پر پہچننے کی جلدی تھی ۔ کچھ اپنے گھر میں بیٹھ کر خوش تھے کہ وہ تو گھروں میں بیٹھے ہیں ـــــــ اور یہ سب کر وہ میرے پاس دوڑی آئی ۔
کون؟
وہی جسے میں نے کبھی منہ نہ لگایا۔ اس نے یقین دلایا کہ میری بات کوئی نہیں سنے گا کوئی اس سلسلے کو باقی نہیں رکھے گا۔ میں اس سے نمٹ ہی رہا تھا کہ وہ آ کر میرے کان میں سر گوشی کرنے لگی جسے بہت جتن سے میں نے زیر کیا تھا۔ یہ تم ہو جس نے اپنی عمر عزیز ویرانوں کو آباد کرنے، اندھیروں میں دیے جلانے میں برباد کر دی ۔ تم نے آندھیوں کی پروا کی نہ طوفانوں کی اور اب ۔ اب بھی تم اس فکر میں ہو کہ تمھارے بعد یہ سلسلے جاری رہے۔ میں نے ہمیشہ کی طرح اس کی بات بھی نہیں مانی تو وہ اگئی اور لگی کہنے، تم سے جو ہو سکا تم نے کیا اب تمھارے بعد کیا ہوگا، اس کی فکر چھوڑو اور اب بیٹھ کر موت کا انتظار کرو۔ میں ان پے در پے حملوں سے نڈھال ہو رہا تھا کہ اس نے ہمیشہ کی طرح مجھے سنبھال لیا۔ اس نے کہا نہیں یہ غلط ہے تمہارے بعد یہ سلسلے باقی رہے گا، ضرور کچھ ایسے لوگ ہوں گے جو اس امانت کے امین ہوں گے، جو اس دردِ سر کو اپنے سر لے لیں گے۔ مگر پھر مجھے وہ کب یہاں گھسیٹ کر لے آئی ۔ کب کیسے؟"

ومن الملاحظ مما سبق أن قصة "وه بورها ـ ذلك الشيخ" قصة جديدة وشيقة، حيث جعلت مسألة نفسية دقيقة موضوعًا لها، كما تقود القراءة النفسية للقصة إلى قراءات أخرى إنسانية واجتماعية، فهى تحمل فى طياتها قيمًا ومعانٍ أخرى، فهى أولًا تعرض بشكل واضح الصراع بين القيم القديمة والجديدة، والتى يمكن أن نطلق عليه الفرق في الفكر والنظرة للحياة بين جيلين، فالشيخ والشاب يمثلان وجهتين مختلفتين في الحياة، فأحدهم غايته العمل من أجل راحة وسعادة الآخرين، والآخر غايته هو تحقيق سعادته الشخصية فلا يؤمن بالعمل من أجل الآخرين، وبتدقيق النظر يلاحظ أن نظرية الأخير هى عرف المجتمع المعاصر الذي نعيشه اليوم، فالفرد فيه لا يفعل سوى الشئ الذي يفيده فقط ويحقق مصلحته الشخصية، وقد تجلى هذا واضحًا في أقوال الناس الذين ساعدهم الشيخ وعمر لهم الخراب، وأيضًا في آخر القصة من خلال حديث الشاب لنفسه:

" ووقف يفكر هل يذهب إلى العمران ويوصل رسالة الشيخ هذه للناس .

هل سيستمع الناس إلى حديثه؟

أوه ... لا ...هل هذا قليل أن استطاع الشيخ أن يموت مطمئنًا بسبب ذلك .

ياه ! كم أصبح الظلام حالكًا، بدأ يتقدم بسرعة نحو العمران، العمران حيث كان منزله المريح، حيث كان الهدوء، وكانت العافية، وكانت الراحة، وحيث يجلس ويستطيع التفكير فى تدبير مزيد من الراحة له، لكن ـــ العمران ـــ الخراب ـــ الطرق الجديدة و ـــ ذلك الشيخ ـــ " [١](صغرا مهدى، ١٩٨٨: ص١٩

وهكذا عن طريق هذا الجانب النفسي / العقدة تكشف القصة عن الصراع الفكري بين الأجيال، وكيف تتدهور القيم والمبادئ فيتحول الإيثار إلى أثره والأمبيدوكل

[١]) " اور کھڑا سوچ رہا تھا کہ کیا وہ آبادی میں جا کر بوڑھے کا یہ پیام لوگوں تک پہنچائے!
کیا لوگ اس کی بات کو سنیں گے؟
اونہہ ـــــــ یہی کیا کم ہے کہ بوڑھا اس کی وجہ سے سکون سے مَر سکا۔
ارے کتنا اندھیرا ہوگیا ہے۔ وہ تیزی سے آبادی کی طرف بڑھنے لگا۔ آبادی جہاں اس کا آرام وہ گھر تھا، جہاں سکون تھا، عافیت تھی، آرام تھا اور جہاں بیٹھ کر وہ اپنے لیے مزید آرام کی تدبیریں سوچ سکتا تھا۔ مگر ـــــــ آبادی، ویرانے ـــــــ نئی شاہراہیں اور ـــــــ وہ بوڑھا ـــــــ"

إلى نرجسية وحب الذات، فنلمس أيضًا بصمات الزمن في تغيير نفوس البشر، فقد يتواجد في الماضي مثل هذا الشخص الذي يتفانى من أجل الآخرين، لكن بمرور الزمان تحل بالإنسان سلوكيات وطباع نفسية مختلفة، فيعتقد الناس أن حاملى عقدة الأمبيدوكل مجانين.

وتوضح الكاتبة أيضًا أن حزن الشيخ العميق وهمه الأعظم هو الحفاظ والبقاء على هذا الإرث من القيم والمبادئ التى يؤمن بها، وهذه هى الفطرة الإنسانية، فالإنسان يرغب دائمًا في الحفاظ على إرثه وتوسيعه، هذا الإرث الذي لا يعنى شيئًا للجيل الجديد، فلا يفرق مع الشاب أن يموت الشيخ في العمران أو في الخراب، أن تصل رسالته للناس أو لا تصل .

وتبرز الكاتبة مأساة العصر الحاضر عندما تجعل آخر لحظات في حياة هذا الشيخ المصلح في صحراء قاحلة لتبرز من ناحية متناقضات الحياة، فمن يعمر الخراب يموت في الخراب، ومن ناحية أخرى لتشير إلى أن صحراء الحياة واسعة لا يمكن عبورها، فعلى الرغم من ثقة الشيخ أنه سيقطع الصحراء ويعمرها، إلا أنه أُجبر على أن يلفظ أنفاسه الأخيرة في الصحراء .

وتنتقل الدراسة إلى عقدة أخرى في قصة "سارى بات ـ الامر بأسره " لـ "ممتاز مفتى"، وهى :

٢. **عقدة "النقص" :**

قد أطلق علماء النفس عدة أسماء لعقدة الشعور بالنقص منها " عقدة الدونية "، "عقدة الإحساس بالضعة"، "عقدة الإحساس بالضعف"، وتعد من أكثر العقد التى تهدد سلامة الإنسان وأمنه النفسي، "وهى شعور الإنسان بالنقص أو العجز العضوى أو النفسي أو الاجتماعي أو إحساس بعدم الاكتمال سيكولوجيًا، كان أم اجتماعيًا، مما يشعره بعدم الأمن وعدم الكفاية بطريقة تؤثر على سلوكه ". (ايمان نعيم شعير محسن العفراوى ، ٢٠٠٩ م : ص ٢١٥)

هكذا تعنى عقدة النقص شعور المرء المستمر بأنه أقل شأنًا من الآخرين، أو بأنه ليس شخصًا جيدًا بما يكفي مقارنته بمن حوله، ويمكن أن ينجم هذا الشعور عن سبب معين منطقي أو يمكن الشعور به دون وجود سبب محدد . (روجيه موكيالى، ١٩٨٨ : ص ٩٩)

ويعرض "ممتاز مفتى" قصة "سارى بات – الأمر بأسره" على لسان بطلتها "امنا"، ويطلعنا في بداية القصة أن "امنا" زوجة لـ "ملك فاروق" تجلس أمام الطبيب النفسانى، وقد مر على زواجها عامان، وحالتها المادية ميسرة، وتعيش حياة مرفهة، والخدم يحيطون بها، لكنها تشعر بخوف مجهول يحيق بها، لذا ذهبت إلى الطبيب لتشكو إليه من حالة الخوف التي يعتريها، فيسألها الطبيب عن سبب هذا الخوف، ويطلب منها أن تحكى له كل شئ، لكنها تمتنع أن تحكى للطبيب عن الأمر الذي يؤرقها، فى حين أنها تطلع القارئ على ما يدور بوعيها فيعرف القارئ حكايتها التى لا يمكنها أن تحكيها للطبيب، فـ "امنا " هى البنت الكبرى، ولها أخت صغرى هى "رمنا"، والاثنتان بلغتا سن الشباب، ولكن لم تظهر عليهما علامات جمال الشباب، فملامحهما عادية، ولونهما عادي، وتفاصيل الجسد أيضًا عادية، فلم يكن فيهما ما يجذب الأنظار ويسترعى الاهتمام مقارنة بأقرانهما، كانا والدا "امنا" يرغبان في أن تحظى ابنتهما بعلاقة زوجية جيدة كمثيلاتها في العمر، وسعيا باستمرار للحصول على زوج مناسب لابنتهما، فترددوا على أماكن المجتمع الراقية، ووضعوا الخطط للتعرف على العائلات الراقية حتى تتسنى الفرصة لـ "امنا" أن تستقطب قلب الرجل المناسب، فتعرفت على العديد من الرجال؛ آصف، سعيد وأمجد، وفعلت ما يمكن فعله، فتجملت وتزينت وسلكت كل السبل، لكن لم يحدث شئ.

في هذه الأثناء أصيبت الأم بحالة مرضية سيئة، وخيم الحزن على الأسرة لمدة ست سنوات، وأصبحت "امنا" مضطرة أن تفعل أى شئ من أجل الارتباط، وظهرت عائلة ملك فاروق، وتعلقت "امنا" بـ "امان" بن "ملك فاروق"، وكان يدرس في آخر سنة بكلية الهندسة، ذا مظهر حسن، فأعجبت "امنا" بوجاهته الرجولية، وكان أبوه أيضًا "ملك فاروق" شخصًا دمث الطبيعة، حسن المظهر، ينم شكله عن أنه يبلغ من

العمر ثلاثين عامًا وليس خمسين، وكانت زوجته قد توفيت، فتعلق "ملك فاروق" بـ "امنا"، ولكن قلب "امنا" كان متعلقًا بـ "امان"، وذات يوم قررت أن تأخذ خطوة تحسم بها الأمر، فذهبت إلى "امان" بمفردها، ووضعت رأسها في أحضانه، لكنه دفعها بطريقة سيئة، وسخر من جسدها وشكلها، فتركته مقررة في تلك اللحظة أن تنتقم، فتوجهت إلى غرفة "ملك فاروق" وصارت زوجة له .

هكذا تبرز القصة عقدة نفسية هامة يتعرض لها الكثير من الفتيات اللاتى يبلغن مرحلة الشباب ويشعرن بالنقص، والرفض، ومدى الضغط النفسي الذي يسببه، لدرجة أن "الفتاة" لم تستطع أن تفصح للطبيب عن سبب أزمتها النفسية .

ويجلى الكاتب سبب الشعور بالنقص، حيث يقول على لسان الشخصية المحورية "امنا" : " كنا بنتين؛ أنا ورمنا، كنت أنا الكبيرة، لهذا كان جل الاهتمام منصبًا على، آنذاك لم يكن فينا نحن الأختين ما يلفت الأنظار أو يسترعى الانتباه، ملامح مألوفة، لون عادى، جسد عادى، أتى الشباب فصار خفيًا أيضًا، فلم أعرف أنه قد جاء.

لم يعثر أحد أيضًا على سر الشباب، فيأتى للبعض من الخارج، وللبعض من الداخل، كانت صديقتى أثمة ذات وجه ذابل نحيف،هكذا بعدما تفتق الشباب وبمجرد رؤيتها بدى الشباب كأنه معرضًا، فظهرت الزهور والأوراق وصارت النبتة الصغيرة مرجًا مزهرًا، وأصبح الشباب كله مكدسًا ظاهرًا فى الخارج، ودقت مثل هذه الترانيم التي تعلن من بعيد أن الشباب قد جاء .

ثم كانت هناك نادرة أيضًا، لم يحدث شئ بالخارج، وبالداخل كانت مثل هذه الدوامات تدور والتى يصبح الجلوس صعبًا بعد توقفها ، وكانت هى لا تظهر عدم الارتياح، لكن المسكينة كانت غير مطمئنة، وهناك أيضًا مثل هؤلاء الذين يتلونون من الخارج والداخل كليهما، فمن الخارج تتفتح الزهور ومن الداخل تتفجر الأحجار .

وبالنسبة لى فلم يحدث شئ أيضًا، فلم تتفتح الأزهار من الخارج، ولم تتفجر الأحجار من الداخل، بالضرورة كان هناك فوران بالداخل، وفى الخارج أظل جافة،

فلماذا لا تصاب الأم البائسة بقرحة؟ ولماذا لا تستمر دائرة التوتر، الخطط التي وضعها والداى من أجلى لم يحصلا فيها على قليل من التشجيع ."١(ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ص ٢٢ ، ٢٣)

فهنا يبرز الكاتب مدى التفاوت في الجمال بين الشابات، وكيف أن "امنا" وشقيقتها "رمنا" لم يكن لهما نصيب من الجمال، فكان هناك الجمال الخارجى حيث جمال الوجه وتناسق أعضاء الجسد مثل "أثمة" التى كانت ذا وجه ذابل نحيف، لكن بعدما بلغت الشباب، تجلى الجمال الخارجى واضحًا حيث تفتحت الزهرة من الخارج، وهناك أيضًا الجمال الداخلى، حيث ينبعث الشوق والشغف في عيون الفتيات فيخطفن الناظرين، وهناك مزيج من الجمالين حيث يجتمع الجمال الخارجى والداخلى، لكن "امنا" كان ينقصها كلا الجمالين، فلا زهرة تفتحت من الخارج ولا شغف وشوق وجاذبية من الداخل ، فكان جفافًا من الداخل والخارج، ما نجم عنه شعور بالنقص الجسدى الذي ألهب الشعور بالنقص وحوله إلى عقدة نقص لديها جعلتها قاصرة بالقياس إلى غيرها، وأصيبت الأسرة بالتوتر والقلق النفسي .

والشعور بالنقص يجعل صاحبه "لا يرى في أفق ذاته إلا كتلة تسيرها الظروف المحيطة ومصادر القوة، ودائما يقارن نفسه بغيره، فلا يشعر بالاطمئنان، ويكون لديه استعداد للخضوع والقبول لما يملى عليه أو يتبنى وجهات نظر الآخرين دون تفكر أو تبصر"(ايمان نعيم شعير محسن العفراوى، ٢٠٠٩ : ص ٢١٦)، وهذا ما حدث مع "امنا"، حيث تقول : "طيلة عمرى كان على أن أعيش كلوحة مزينة، وكان

---

١) "ہم دو بہنیں تھیں ۔ میں اور رمنا۔ میں بڑی تھی ۔ لہذا ساری توجہ مجھ پر مرکوز تھی ۔ وقت یہ تھی کہ ہم دونوں بہنوں میں کوئی ایسی بات نہ تھی کہ نظروں پر چڑھ جاتیں یا توجہ طلب کرتیں ۔ عام سے خد وخال، عام سا رنگ، عام سے جسم ۔ جوانی آئی تو وہ بھی مدھم مدھم ۔ پتا ہی نہ چلا کہ آئی ہے۔
جوانی کا بھی کسی نے بھید نہیں پایا۔ کسی کو باہر آتی ہے، کسی کو اندر۔ وہ میری سہیلی آثمہ تھی ۔ سوکھی چر مُکھ ۔ یوں جوانی ٹوٹ کر آئی کہ دیکھتے ہی دیکھتے میلہ لگ گیا۔ اتنی پھول پتیاں نکلیں کہ بوٹے سے چمن بن گئی ۔ ساری جوانی باہر ہی ڈھیر ہوگئی ۔ ایسی شہنائیاں بجیں کہ دور سے پتا لگتا تھا کہ جوانی آئی ہے۔
پھر وہ نادرہ تھی ۔ باہر کچھ بھی نہ ہوا، اندر ایسی چکریاں چلیں کہ ٹک کر بیٹھنا مشکل ہوگیا۔ ایک بے چینی نہیں دیتی تھی ۔ بے چاری کو قرار نہیں آتا تھا۔ کچھ ایسی بھی ہیں جن کا اندر اور باہر دونوں رنگے جاتے ہیں ۔ باہر پھول کھل جاتے ہیں، اندر لٹو پھوٹتے ہیں ۔
۔ مجھے تو کچھ بھی نہ ہوا۔ نہ باہر پھول کھلے، نہ اندر لٹو پھوٹے۔ اندر پھوارسی ضرور پڑی تھی ۔ باہر سوکھی کی سوکھی ہی رہی ۔ اس پر بے چاری امی کو السر کیوں نہ ہوتا بھلا۔ انگزائٹی کی چکری کیوں نہ چلتی ۔ میرے متعلق جو منصوبے امی ابا نے بنائے تھے، ان میں ذرا بھی تو بڑھاوا نہ ملا۔"

هذا هو طلب أمى أن أصبح لوحة ملونة طوال الوقت وأنتظر إشارتها لقدوم الفرصة، وبمجرد أن تعطى إشارتها أقدم نفسى، تظل أمى تزيننى كل الوقت، وتضع فى الطبق الفستق واللوز، وتزينه بالورق الفضى، وتتفحص كل شئ فى بشدة، ارتدى هذا ولا ترتدى ذاك، ارتدى هكذا ولا ترتدى كذلك، انهضى هكذا واجلسى هكذا، ابتسمى هكذا، تحدثى هكذا، قدمى المشروبات هكذا، إصنعى الشاى هكذا، قدمى التنبول هكذا، أنظرى هكذا، إضحكى هكذا."[١](ممتاز مفتى،١٩٩٣ : ص ٢٢)

وتقول في موضع آخر: " تم تغيير المسالك مرارًا وتكرارًا، وتجريب أساليب متنوعة، بدأت الألعاب المنزلية فى غرفة النوم، وطولعت الكتب، واستمر تناول الوجبات الخفيفة، واحتساء أكواب الشاى والقهوة، ولُعبت موسيقى البوب، ووُضعت برامج للتنزه، لكن لم يحدث شئ، وبقى الأمر على ما هو عليه، فقط كان الوقت يخرج من أيدينا، وكان العمر يمر، ويزداد توتر أمى، ويتفاقم ألم القرحة، وهكذا مر ستة أعوام، والبيت تغلب عليه أجواء من اليأس ."[٢](ممتاز مفتى،١٩٩٣ : ص ٢٣ ،٢٤)

ويعرض الكاتب أيضًا الموقف الذي أشعر"امنا" بالعجز وقلة الحيلة والفشل ومشاعر الدونية، مما دفعها إلى العدوانية والرغبة في الانتقام كنوع من الدفاع عن النفس؛ "حيث أنه من سمات الشخص المصاب بعقدة النقص أنه قد يقع في صراع عنيف يدفعه إلى العدوان عله يجد فيه الأمن والأمان، لكنه أمن صناعى مزيف لا يلبث أن ينهار أمام أى موقف يثير القلق والتوتر المستمر" (ليث الحيدري : ٢٠٠٥ م، ص ٧) ؛ حيث يقول الكاتب على لسان امنا : "بعد الالتقاء بعائلة ملك، بزغ بصيص أمل في عيون أمي، وصارت عيناها تراقبنى، كان فيها تضرع؛ تضرع عاجز؛ دعاء :

[١] " ساری عمر مجھے بنی سجی پلیٹ بن کر جینا پڑا۔ امی کا یہی مطالبہ تھا کہ ہر وقت بنی سجی پلیٹ بن کر رہوں اور موقع آنے پر اس کے اشارے کی منتظر رہوں ۔ جوں ہی وہ اشارہ کرے، خود کو پیش کر دوں ۔ امی ہر وقت مجھے بناتی سجاتی رہتی ۔ پلیٹ پر پستے بادام لگاتی رہتی ۔ چاندی کے ورق سجاتی رہتی ۔ میری ہر بات پر کڑی نظر رکھتی ۔ یہ پہنو، وہ نہ پہنو ۔ یوں پہنو، یوں نہیں ۔ یوں اٹھو، یوں بیٹھو۔ یوں مسکراو، یوں بات کرو۔ یوں ڈرنکس سرو کرو ۔ یوں چائے بناؤ۔ یوں پان پیش کرو۔ یوں دیکھو۔ یوں مسکراؤ۔"

[٢] " کنڈی ڈالنے کی جہگیں بار بار بدلی گئیں ۔ طرح طرح کے ہتھکنڈے آزمائے گئے۔ بیڈروم میں ان ڈور گیمز کی بازیاں لگیں ۔ کتابوں پر تبصرہ کیے گئے۔ سنیکس چلے۔ چائے اور کافی کے پیالے چلے۔ پاپ میوزک چلی ۔ پکنک کے پروگرام بنائے گئے ۔ مگر کچھ بھی نہ ہوا۔ بات جہاں دھری تھی، وہیں دھری رہی ۔ صرف وقت ہاتھ سے نکلتا گیا۔ عمر گزرتی گئی ۔ امی کی انگزائٹی بڑھتی گئی ۔ السر ابھرتا گیا۔ یوں چھ سال گزر گئے۔ گھر پر مایوسی کی فضا مسلط ہوتی گئی ۔"

"امنا! الآن قد دار هذا القارب، والمجداف فى يديك"، كان هناك الكثير من التوسل في نظرات أمي لدرجة أنني اتخذت خطوة لم أكن لأتخذها أبدًا، في تلك الليلة كنا نجلس في غرفة نوم أمان نلعب المونوبولى؛ حيث أمان، أنا وآرا، دقت الساعة التاسعة، فبوغتُّ: " لقد تأخرت كثيرًا، ستظل أمى فى انتظارى، جهان آرا! لتتصلى بأمى على الهاتف كى ترسل لى السائق" نهضت جهان آرا ومشت، وبقينا أنا وأمان بمفردنا، فتقدمت نحوه خطوة، وكنت متعبة فوضعت رأسى فى حضن أمان .

ألقى أمان برأسى، نهض مضطربًا : "هل أنا وسادة؟" كان فى صوته غضب شديد، ثم وقف أمامى وخاطبنى قائلًا:"هل نظرتِ فى المرآة من قبل ؟"

جملته هذه قطعتنى كأنه بصق على وجهى، صارت بداخلى رغبة عارمة فى الإفساد والتحطيم، فخرجت من الحجرة كالمجنونة، وهرعت نحو الهاتف، كنت أرغب فى تحطيمه، الانتقام، الانتقام، وتوقفت فجأة، كانت حجرة ملك فاروق أمامى، ففتحت الباب ودخلت ."١ (ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ص ٢٥)

ومتى ما اشتدت وطأة عقدة النقص على الشخص مال إلى كبتها، فتظهر عليه العديد من العلامات، ومن أبرزها الانعزال عن المجتمع، والخوف الشديد الذي يهدد مكانته؛ لأنه يشعر باستمرار أنه أقل من الآخرين، وهذا ما عانت منه "امنا" واضطرها إلى الذهاب إلى الطبيب النفسي، لكنها فضلت ألا تبوح له بالعقدة الكامنة وراء ما تشعر به محاولة كبتها لترضى أناها العليا، حيث تقول في مستهل القصة :

---

١) " ملک فیملی سے میل جول کے بعد امی کی نگاہ میں امید کی کرن روشن ہوگئی ۔ ان کی نگاہیں مجھ پر مرکوز ہوگئیں ۔ ان میں منت تھی، بے بسی بھری منت، التجا "امنا، اب اس کشتی کی تو ہی کھویا ہے۔ پتوار تیرے ہاتھ میں ہے۔" امی کی نگاہوں میں اتنی التجا تھی کہ میں نے وہ قدم اٹھا لیا جو شاید کبھی نہ اٹھاتی ۔ اس رات ہم امان کے بیڈروم میں بیٹھے مناپلی کھیل رہے تھے، امان، جہاں آرا اور میں ۔ گھڑی نے نو بجا دیے۔ میں چونکی "بہت دیر ہوگئی ۔ امی انتظار کر رہی ہوں گی ۔ جہاں آرا، ذرا امی کو فون تو کر دے کہ ڈرائیور کو بھیج دیں"۔ جہاں آرا اٹھ کر چلی گئی ۔ میں اور امان اکیلے رہ گئے اور میں نے وہ قدم اٹھا لیا ۔ ہے، میں تو تھک گئی کہ کر اپنا سر امان کی گود میں رکھ دیا۔
اس نے میرا سر نیچے پٹخ دیا۔ تڑپ کر اٹھا۔ "میں کیا سرہانہ ہوں؟ اس کی آواز میں غصہ تھا۔ پھر وہ میرے سامنے آ کھڑا ہوا۔ مجھے مخاطب کر کے بولا "آئینہ دیکھا ہے کبھی؟"۔
اس کی اس فقرے نے مجھے کاٹ کر رکھ دیا۔ جیسے میرے منہ پر تھوک دیا ہو۔ اندر بھڑوں کا ایک چھتا چھڑ گیا ہو۔ دیوانہ وار میں کمرے سے باہر نکل آئی ۔ فون کی طرف بھاگی ۔ میرا جی چاہتا تھا کہ توڑ پھوڑ کر رکھ دوں ۔ انتقام، انتقام ۔ دفعتہً میں رک گئی ۔ سامنے بڑے ملک فاروق کا بیڈ روم تھا۔ میں نے دروازہ کھولا اور اندر داخل ہوگئی ۔"

"لا، هذا الطبيب لن يفهم، بينما أتحدث يظل ينظر ناحيتى ببلاهة، لا يفهم كلامى، أقول مرارًا : يا دكتور! تنتابنى حالة من الخوف، لتعطنى أى دواء يخلصنى منها أو يقلل من التوتر الناتج عنها، هو لا يجيب بشئ، وتظل أطناب خوفى تشتد، وهناك توتر كل يوم، والضيق الذى يتزايد باستمرار، يسأل الطبيب : هل هناك خوف غير منطقى ؟ انظر! لابد أنه سيكون غير منطقى، إذا كان منطقيًا فلا بأس، بعد رؤية الثعبان أخاف فهذا جيد ـ حينها ـ ينبغى الخوف، لو أنظر إلى الخط المتعرج فأخاف، يكون من الواضح أنه ثمة مشكلة، تبدو هناك عقدة ما، من ثم جئت للحصول على المشورة .

يسألنى : مما تخافين ؟ أقول : "أنا لا أنسى هذا الأمر أينما كنت" فسأل : ما الذى لا تنسيه ؟ أقول: "لا أنسى من أكون أنا، وما هى مكانتى فى المنزل، ما هو شأنى"، صار متحيرًا تمامًا لهذا الأمر، يصمت لفترة ثم يقول: "أخبرينى الأمر بأسره يا سيدتى!" .... الآن كيف أخبره الأمر بأسره ."١ (ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ص ٢٠)

وتقول أيضًا في نهاية القصة : "لا، الطبيب لن يتفهم أمرى"

يسأل: "أى خوف؟ " أقول: "من هذا الأمر الذى لا أنساه أينما كنت؛ وهو من أكون أنا ؟ ما هى مكانتى فى المنزل، ما هو شأنى"، فيشعر بالحيرة بشأن هذا، ثم يقول : سيدة فاروق! لتخبرينى الأمر بأسره، الآن كيف أخبره الأمر بأسره؟ ".٢ (ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ص ٢٠)

---

١) "نہیں، یہ ڈاکٹر نہیں سمجھے گا۔ بات کرتی ہوں تو پٹر پٹر میری طرف دیکھتا رہتا ہے۔ میری بات اس کی سمجھ میں نہیں آتی ۔ بار بار کہتی ہوں: ڈاکٹر مجھ پر خوف طاری ہے۔ کوئی ایسی دوا دیجیے کہ یہ دور ہو جائے یا اس کی ٹینشن میں کمی آجائے۔ وہ کچھ جواب نہیں دیتا۔ میرے خوف کی طنابیں تو کستی ہی جا رہی ہیں ۔ روز بروز ایک ٹینشن ہے۔ جکڑن جو بڑھتی ہی جا رہی ہے۔ ڈاکٹر پوچھتا ہے: کوئی اِر ریشنل فیٹر ہے کیا؟ لو! وہ تو لازمًا اِر ریشنل ہوگا۔ ریشنل ہو تو کوئی بات ہی نہ ہو۔ سانپ کو دیکھ ڈر جاؤں تو ٹھیک ہے۔ ڈرنا ہی چاہیے۔ لکیر کو دیکھ کر ڈروں تو ظاہر ہے کوئی گھنڈی ہے۔ کہیں گرہ لگی ہے ۔ تبھی تو مشورے کے لیے آئی ہوں ۔

مجھ سے پوچھتا ہے: کس بات کا خوف ہے؟ کہتی ہوں: اس بات کا کہ کہیں میں بھول نہ جاؤں ۔ اس پر وہ پوچھتا ہے: کیا بھول نہ جاؤ؟ کہتی ہوں: یہ بھول نہ جاؤں کہ میں کون ہوں ۔ گھر میں میری کیا حیثیت ہے۔ کیا مقام ہے۔ اس پر وہ بالکل ہی کنفیوزڈ ہو جاتا ہے۔ کچھ دیر چپ رہتا ہے، پھرکہتا ہے: ساری بات بتائیے، بیگم صاحبہ ۔" اب میں اسے ساری بات کیسے بتاؤں ۔"

٢) " نہیں، ڈاکٹر میری بات نہیں سمجھے گا۔

هذا الخوف الذي تشعر به امنا "هو شكل المرض النفسي الناجم عن العقدة، تظهر معالمه ـ كما يقول علماء النفس ـ حين لا تستطيع الأنا تسوية الضغط النفسي بداخلها، فتواجه قسوة الواقع والإحباطات الخارجية وتقع في دائرة تصورات خيالية لا أساس لها في الواقع " . (سيغموند فرويد : ١٩٩٨ م ، ص ٩٥)

ومما تجدر الإشارة إليه أنه بجانب القراءة النفسية للقصة، يتجلى جانب آخر اجتماعي جدير بالاهتمام؛ حيث تعكس القصة البيئة الاجتماعية متمثلة في أسرة "امنا" ومساعيها لأن تجد الفتاة الرجل المناسب الذي ترتبط به حيث يكون ثريًا وأنيقًا، وفي الحقيقة أنه أمر اجتماعى يؤرق كل أسرة، بخاصة في المجتمعات الشرقية، فبمجرد أن تصير الابنة شابة، يصبح زواجها هو الشغل الشاغل للأسرة، وهذا أيضًا ما وضحه الكاتب في ثنايا قصته :

" كانت لدى أمى رغبة واحدة فقط، وفكرة وحيدة كانت تضنيها هى متى يتوج أحدهم رأسه ويضع إكليلًا حول رقبتها، لا، ليس هناك مثل هذه الرأس ـــــ مثل هذه الرأس التى توجت من قبل بتاج الثروة والمكانة، إذا كان الأمر يتعلق بأى رأس، فلن يأخذ الأمر شوطًا طويلًا، لا أعرف ماذا يحدث فى مثل تلك الأوضاع، على كل حال لا يحدث مثل هذا الشئ الذى حدث ."١ (ممتاز مفتى،١٩٩٣ : ص ٢١،٢٢)

" كان والداى على دراية كبيرة، كانا يعرفان من جاء في الأوساط الراقية ومن ذهب، كان شرطًا أن يكون من الطبقة العليا أو من رجال الأعمال، كان لديهما علم ببيانات كل وافد جديد، خاصة أولئك الذين لديهم شباب في منازلهم، كانا يقومان بزيارات اجتماعية لمنازل كل وافد جديد بعناية كبيرة، كانا يذهبان بمفردهما فى المرة الأولى، وفى المرة الثانية يصحبوننى معهما، وإذا كانت الظروف مواتية كانا يدعوان

پوچھتا ہے: کیسا خوف؟ کہتی ہوں: اس بات کا کہ کہیں میں بھول نہ جاؤں کہ میں کون ہوں ۔ گھر میں میری کیا حیثیت ہے، کیا مقام ہے۔ اس پر وہ کنفیوزڈ ہوجاتا ہے۔ پھر کہتا ہے: بیگم فاروق، ساری بات بتائیے۔ اب میں اسے ساری بات کیسے بتاؤں؟"

١) "امی کی بس ایک ہی خواہش تھی ۔ ایک ہی فکر میں گھلی جاتی تھی کہ کب کوئی سر نوائے اور پھول مالا اس کی گردن میں ڈال دے۔ نہیں، کوئی سا سر نہیں ـــــ ایسا سر جس پر پہلے سے ہی دولت یاسٹیٹس کا تاج دھرا ہو۔ کسی ایک سر کی بات ہوتی تو اتنا لمبا چکر نہ پڑتا۔ پتا نہیں ان حالات میں کیا ہوتا۔ بہر حال، یہ کچھ نہ ہوتا جو ہوا۔"

أبنائهم الشباب بحيلة ما، فى هذا اليوم كانت أمى تعتنى بى عناية خاصة، وتضع فى الأطباق الفستق واللوز."[١](ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ،ص٢٣)

وتنتقل الدراسة إلى عقدة أخرى فى قصة "پيارا پالتو ـ الأليف المحبوب"، وهى :

٣. عقدة "الرهاب• من الالتزام":

وهى حالة من الخوف الشديد التي يشعر بها الفرد سواء رجل أم امرأة ويصاحبها اضطراب وخوف من الالتزام وخوف من فكرة تحمل المسؤولية، وخوف من فقدان الحرية أو نمط الحياة القديم الذي اعتاد عليه الفرد والذي في الأغلب يكون نمطاً مريحاً للفرد ولا يريد التفريط فيه أو تغييره لنمط آخر. (علاء فرغلى، ٢٠٠٥ : ص٤١)

وتحكى القصة عن شاب يدعى "سليمان" يعمل أستاذًا في الجامعة يحب قراءة الكتب، ولا يميل إلى النظام أو الالتزام في شئ، كان يعيش بمفرده مع خادمه "تنهي" ومع ببغائه الذي يحبه، ثم قررت أمة أن تأتي للعيش معه، وكان سعيداً بذلك فى البداية وسعت أمه أن تنظم له حياته؛ فنظمت له حجرته ووقته وكتبه وطبعت حياته بالاستقرار والنظام، حتى أنه كان يشعر في بعض الأحيان أنه يريد أن يبعثر كتبه ويفسد نظام حجرته حتى يشعر أنها حجرته التي اعتاد عليها.

وكانت أمنية أمه التي تتوق إليها هى تزويج ابنها، وكثيراً ما كانت تتحدث لسليمان بأنه لماذا يدمر حياته بين الكتب واحتساء الشاي، ولماذا لا يحضر عروسًا تريحه فتكون السعادة من نصيبه، لكن سليمان لم يهتم بمثل هذه الأحاديث؛ فلم يكن لديه رغبة في الزواج، وكأنه يخشى أن يسلبه حريته.

---

[١] "میرے ابا امی بڑے باخبر تھے۔ پتا رکھتے تھے کہ اونچے حلقوں میں کون آیا، کون گیا۔ شرط یہ تھی کہ اونچے گریڈکا ہو یا کاروباری ہو۔ ہر نئے آنے والے کے کوائف کا انھیں علم ہوتا تھا، خصوصًا جن کے گھر نوجوان بیٹے ہوں ۔ وہ بڑے اہتمام سے ہر نو وارد کے گھر سوشل وزٹ کرتے۔ پہلی مرتبہ اکیلے جاتے۔ دوسری بار مجھے ساتھ لے جاتے۔ حالات سازگار ہوتے تو کسی نہ کسی بہانے نوجوان بیٹے کو اپنے ہاں بلاتے۔ اس روز امی کی خاص توجہ مجھ پر مرکوز ہوتی ۔ پلیٹ پر نئے پستے بادام لگائے جاتے۔" ممتاز مفتی : سمے کا بندھن، سابق، ص٢٣ .

• الرهاب أى " الفوبيا " وهو خوف لا منطقى وشديد وغير مبرر من مواقف أو أحوال أو أماكن أو أشياء أو ارتباط أو حيوانات أو حشرات " للاستزادة أنظر: علاء فرغلى،المرض النفسي بين العلم والخرافة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، ٢٠٠٥ ، ص ٤٦ .

وفي النهاية يضيق سليمان ذرعًا بمشاعر أمه نحو تغيير حياته وصبغها بالالتزام والنظام في كل شيء فلم يتحمل نصائح أمه وتدخلها بتنظيم حجرته ووقته ومأكله وملبسه، فإذا به يعرب لها عن عدم سعادته، فيخرج الكتب من الخزانة ويقوم ببعثرتها هنا وهناك، ويقلب الكراسي ويرمى الوسائد، وفتح القفص وأجبر الببغاء الأليف الذي يحبه على الطيران، فقلقت أمه بشده وتساءلت لماذا جعل هذا الأليف المحبوب يطير؟!

ويصف الكاتب "ممتاز مفتى" في القصة شخصية سليمان بتلك الصفات التي تدل على عقدة رهاب الالتزام، فيقول :

" كانت طبيعة سليمان متحررة من الضغوط، تتخلى عن القواعد والمجاملات والتقاليد؛ فهو قد أمضى ثمان سنوات متتالية في فضاء حر، ست منها فى الصعود الدراسى عندما كان يدرس بالكلية، وسنتين منذ أن كان أستاذًا، الآن هو ملتزم فقط بالذهاب للكلية، وهو ليس التزامًا صارمًا أيضا لأنه إن يدرس أو لا يتوقف هذا الأمر على رغبته هو، وبالطبع كانت طبيعته تفتقد تمامًا الوعى بالالتزام، فيبدأ في الدراسة وقتما يرغب، مرات عديدة يظل يقرأ باستمرار صباحًا ومساءًا، وفى بعض الأوقات لا يفتح كتابًا في الصباح أو المساء لأسابيع، إذا راحت نفسه لتناول الشاى يحتسى ستة أكواب شاى في اليوم .

كان يتناول الشاى بمقدار عدد حبوب الشاى، ويحب مثل تلك الحياة الحرة، ولكن على الرغم من ذلك فإن هذه الحرية الجامحة في بعض الأحيان كانت توخزه في بعض أركان قلبه، فنفسه تريد أن يوجد مثل هذا الشخص الذي يخلق المتعة في حياته، والذى برفقته تتلون حريته بلون آخر، وفى الأوقات التى تطغى فيها أمواج الفرح والسعادة على إحساسه بالحرية، يكون هناك في إحدى زوايا قلبه وخز يزعجه، وكان ينهض لينسى هذا الشعور الخفى، ويفتح الكتاب أو يبدأ التجول في الغرفة، فإذا به ينشغل فى الحديث مع متهو وينادى على ننهى من أجل إعداد الشاي ويغنى قليلًا وعندما يأتى الخادم بصينية الشاي فيسأله مندهشًا :"الآن موعد الشاي، الآن الساعة

الثالثة" ..... وبعدما يرى قلق ننهى يبتسم ويتذكر معه أنه هو نفسه كان قد ناداه لطلب الشاي : "اوه" يبتسم : "حسنًا يا ننهى! ضعه علي المنضدة".١(ممتاز مفتى، ٢٠٠٠ : ص ٢٩٩ ، ٣٠٠)

فهنا يبرز الكاتب عدم التزامه بأي قواعد أو نظام لوقته، ومحاولته للهروب من شعوره بأن هناك شيئًا ينقصه ويفسد سعادته، حيث يخشى الالتزام في أي جانب من حياته، ثم يقدم الكاتب صورة أيضاً لحجرته ونمط حياته:

" تمطى سليمان ثم فتح عينيه ونظر حوله وكان ذلك الحذاء ملقى على الفراش معه، وكانت توجد بعض الوسادات تحت رأسه وأوراق وكتب تحت خصره، وكانت هناك أكوام من الكتب والأوراق مبعثرة في كل مكان على الفراش؛ فى الناحية الأولى كانت تختلط بعض الكراسي، وكانت هناك ملابس ملقاة علي بعض الكراسي، وعلى أحد الكراسي كانت الوسادات تقع فوقه وتحته وكأنها موجودة في سلة خبز .

تفحص الحجرة بأكملها وهو ملقى على الفراش ونظر لهذه الفوضى وابتسم، ثم تمطى مرة أخرى مناديًا على خادمه " ننهى! يا ننهى! " ثم شرد في النظر إلى متهو وهو يغنى أغنية درامية، كان متهو حيوانًا أبيض اللون، والذى كان قد أخذه على سبيل الهدية من أحد أصدقائه، على الرغم من أنه لم يكن لديه شغف بالحيوانات، لكن بعدما رأى هذا الببغاء الأبيض تعلق قلبه به، فصنع قفصًا لهذا الببغاء والذي كان من معدن

---

١) سلیمان کی طبیعت بلا کی آزاد تھی ۔ رسموں، تکلفوں اور اصولوں سے بے نیاز۔ متواتر آٹھ سال اس نے آزاد فضا میں گذارے تھے، چھ بوڑڈنگ میں جب وہ کالج پڑھتا تھا اور دو سال جب سے وہ پروفیسر تھا۔ اب اسے صرف کالج جانے کی پابندی تھی ۔ وہ بھی کڑی نہیں ۔ کیونکہ پڑھانا یا نہ پڑھاتا اس کی اپنی مرضی پر منحصر تھا اور طبعًا اس کی طبیعت میں پابندی کا احساس قطعی مفقود تھا۔ جب ہی چاہتا پڑھنے لگ جاتا۔ کئی مرتبہ وہ مسلسل مطالعہ کرتا رہتا۔ صبح وشام، صبح وشام اور بعض اوقات ہفتوں کتاب تک نہ کھولتا۔ چائے پینے پر طبیعت آ جاتی تو دن میں چھ چھ چائے دانیاں پی جاتا۔

وہ چائے چائے دانیوں کے حساب سے پیا کرتا تھا۔ اسے ایسی آزاد زندگی بیحد پیاری تھی ۔ لیکن اس کے باوجود کبھی کبھار یہ بے مہار آزادی اس کے دل کے کسی کونے میں کھٹکتی ۔ اس کا جی چاہتا کہ گھر میں کوئی ایسا فرد ہو جو اس کی زندگی میں دلچسپی پیدا کرے جس کی رفاقت اس کی آزادی کو اور بھی رنگین بنا دے۔ ایسا اوقات جب اس کا احساس آزادی مسرت کی لہریں بن کراس پر چھایا ہوتا تو اس کے دل کے کسی کونے میں ایک ٹھیس سی اٹھتی اور اسے پریشان کر دیتی ۔ وہ اس مبہم احساس کو بھلانے کے لئے اٹھ بیٹھتا۔ کتاب کھول لیتا یا ویسے ہی کمرے میں ٹہلنے لگتا۔ ورنہ مٹھو سے باتین کرنے میں لگ جاتا اور ان جانے ننھے کو چائے بنانے کے لئے آواز دیتا۔ کچھ گنگناتا اور جب ننھا چائے کا ٹرے لے کر آتا تو حیران ہو کر پوچھتا۔ "ہیں، ابھی سے چائے۔ ابھی تو تین ہی بجے ہیں" ..... ننھے کی پریشانی دیکھ کر اسے ہنسی آ جاتی ۔ اور ساتھ ہی یاد آتا کہ اس نے خود ہی چانے کے لئے آواز دی تھی ۔ "اوہ" وہ مسکراتا۔ "اچھا ننھے میز پر رکھ دو۔"

أبيض لامع خفيف، ومنذ ذلك اليوم أصبح هو ومتهو أصدقاء، في كثير من الأحيان كان يجلس وينظر لمتهو أو يتحدث معه، لكن المشكلة هى أن متهو لا ينطق، كان يصرخ أحيانًا ويجذب انتباه سليمان ناحيته ثم يجلس صامتًا يستمع لحديثه، كان عدم حديث الببغاء يروق لسليمان أيضًا، لأنه كان قد شاهد مثل تلك الببغاوات التى تصرخ طوال الوقت : سيد متهو سيد متهو وتأكل الرأس، أكبر ميزة لهذا الببغاء والتي أحبها سليمان هى أن أسلوب جلوسه كان فريدًا، أحيانا يكون حزينًا وأحيانًا يضيع في التفكير مثل الفيلسوف أو ينظر إليه وهو جالس فيشعر كأنه سينهض ويبدأ في الرقص، كانت كل أساليبه مشحونة بالتعبير، كثيرًا ما قال سليمان : "هذا الببغاء كتلة تعبير"، إضافة إلى ذلك كان لديه جودة جمالية في كل نمط جلوس، ربما لهذا السبب تولد الراحة في قلبه عند رؤية الببغاء، ويبدأ يشعر كما لو أن هذا الببغاء يعيش بالمعنى الحقيقى، ويحاول أن يخلق هذه الحالة فى نفسه وربما لهذا السبب اعتاد أن يعيش سعيدًا فى كل وقت.

وقف رجل بدين يحمل قبعة تشبه السفينة عند الباب :" هجوـــــ ! "

بوغت وقال عندما رأى ننهى واقفا عند الباب :" نعم . ماذا ـــــ؟ "

نظر الخادم ناحيته بقلق : " هجور! هجور، قد استدعيتنى "

" اوه !" ابتسم : " حسنا أنا قد ناديتك .. نعم .. حسنا .. حسنا ـــــ أحضر لي الشاي"

"الشاي" قال الخادم وهو يومئ برأسه ثم نظر صوب الساعة وكأنه بدأ يقول لنفسه :" إنها الساعة الثالثة الآن ! "

" نعم إنها الثالثة الآن" ابتسم سليمان ونظر للساعة :"إنها الثالثة الآن، حسنًا سنحتسى الشاي في الثالثة والربع، إذهب، خرج الخادم وهو يومئ برأسه مجيبًا، ضحك سليمان مقهقهًا ثم تمدد على الفراش وشعر وكأنه حاكم ولاية ما"[١](ممتاز مفتى، ٢٠٠٠ : ص٢٩٨،٢٩٧)

[١]) سليمان نے انگڑائی لی اور آنکھیں کھول کر اردگرد دیکھا۔ وہ بوٹ سمیت کاؤچ پر پڑا تھا۔ سرتلے دو ایک گدیاں رکھی تھیں ۔ کمرتلے کاغذ اور کتابیں پڑی تھیں ۔ فرش پر جابجا کتابوں اور کاغذوں

فهنا يشعر البطل بأنه يملك في غرفته كامل حريته، حتى لو تسبب في إفساد ترتيبها وتنسيقها، لكنه يريد مكانه كما هو، لأنه إذا تغير فهو لا يملك البعد النفسي للمكان وبالتالي يجب أن يحافظ عليه كما هو حتى يشعر بالسعادة والحرية وكأنه حاكم ولاية.

ويقول أيضًا واصفًا عدم التزامه حتى في ملبسه:

" بعد الانتهاء من تناول الشاي، بدأ يفكر فيما عليه أن يفعل الآن، لأنه قبل ذلك كان قد اعتاد أن يشرب الشاي ويتأخر عن الالتحاق بالجامعة، وكان يرتدى أى سروال من هنا وهناك، ويلبس معطفًا، ويستعد بسرعة، ربما لهذا السبب على الرغم من أن ملابسه تكون نظيفة لكن لا يظهر ذلك الأمر في هندامه، على كل حال الآن كان

کی ڈھیریاں سی بنی تھیں ۔ پہلی طرف دو تین کرسیاں گڈمڈ ہو رہی تھیں ۔ وہ ایک کرسیوں پر کپڑے پڑے تھے۔ ایک کرسی پر گدیاں یوں نیچے اوپر رکھی تھیں جیسے چنگیر میں روٹیاں ۔

اس نے کاؤچ پر پڑ پڑے کمرے کا جائزہ لیا ۔ اور اس گہما گہمی کو دیکھ کر مسکرا دیا پھر ایک اور انگڑائی لیتے ہوئے اپنے نوکر کو آواز دی ـــــ "ننھے ـــ اوننھے!" پھر کوئی فلمی دھن گنگناتے ہوئے وہ مٹھو کو دیکھنے میں کھو گیا، مٹھو سفید رنگ کا جانور تھا۔ جو اس نے کسی دوست سے بطور تحفہ لے لیا تھا۔ اگرچہ اسے جانور رکھنے کا شوق نہ تھا۔ لیکن اس سفید طوطے کو دیکھ کر اس کا دل للچا گیا۔ اس نے طوطے کے لئے ایک پنجرہ بنوایا جو کسی ہلکی، سفید اور چمکیلی دھات کا تھا۔ اس روز سے وہ اور مٹھو ساتھی بن گئے۔ اکثر بیٹھے بٹھائے وہ مٹھو کو دیکھنے یا اس سے باتیں کرنے لگتا۔ مصیبت یہ تھی کہ مٹھو کو بولنا نہ آتا تھا۔ وہ کبھی کبھارہ چیخ مار کر سلیمان کی توجہ اپنی جانب مبذول کر لیتا اور پھر خاموش بیٹھا اس کی باتیں سنا کرتا۔ سلیمان کو طوطے کا نہ بولنا اور بھی پسند تھا۔ کیونکہ اس نے کئی ایک ایسے طوطے دیکھے تھے جو ہر وقت میاں مٹھو میاں مٹھو چلا چلا کر سرکھا جاتے۔ اس طوطے کی سب سے بڑی خصوصیت جو سلیمان کو پسند تھی یہ تھی کہ اس کی نشست کے انداز نرالے تھے۔ کبھی اداس ہو جاتا اور کبھی کسی فنا سفر کی طرح سوچ بچار میں کھویا ہوا۔ یا اسے بیٹھے دیکھ کر ایسا محسوس ہوتا گویا وہ ابھی اٹھ کرنا چنے لگے گا۔ اس کا ہر انداز اظہار کیفیت سے بھرا ہوا تھا۔ سلیمان اکثر کہا کرتا۔" یہ طوطا ترآل اکسپریشن ہے۔" اس کے علاوہ اس کے ہر انداز نشست میں جمالی کیفیت موجود رہتی ۔ شاید اسی لئے طوطے کو دیکھنے سے اس کے دل میں راحت سی پیدا ہوتی ۔ اور وہ محسوس کرنے لگتا گویا یہ طوطا صحیح معنوں میں جی رہا ہے۔ وہ اپنے آپ میں وہ کیفیت پیدا کرنے کی کوشش کرتا اور شاید اسی لئے ہر سمے خوش باش رہنے کا عادی ہو گیا۔

ایک موٹا سا آدمی کشتی نما ٹوپی سنبھالتا ہوا دروازے میں آ کھڑا ہوا۔ "بجو ـــــ!"

وہ چونک پڑا اور ننھے کو دروازے میں کھڑے دیکھ کر بولا۔ "ہوں ـــ کیا ہے ـــ؟"

"بجور!" ننھے نے پریشانی سے اس کی طرف دیکھا ـــــ "بجور، آپ ہی نے بلایا ہے۔"

"اوہ!" وہ مسکرایا۔ "اچھا تو میں نے بلایا ہے۔ ہوں ۔ اچھا، اچھا ـــــــ تو چائے ہی بنا لاؤ۔"

"چائے۔" ننھے نے سرکھجاتے ہوئے کہا اور پھر گھڑی کی طرف دیکھ کر گویا اپنے آپ سے کہنے لگا۔ "ابھی تو تین ہی بجے ہیں ۔"

"ہوں ۔ تو تین بجے ہیں ۔" سلیمان نے مسکرا کر گھڑی کی طرف دیکھا۔ "ابھی تین بجے ہیں ۔ اچھا تو ہم سوا تین بجے چائے پئیں گے۔ جاؤ۔"

ننھا سرکھجاتا ہوا باہر نکل گیا۔ سلیمان کھلکھلا کر ہنس پڑا اور پھر صوفے پر دراز ہوتے ہوئے اس نے محسوس کیا جیسے وہ کسی ریاست کا نواب ہو۔"

قد اعتاد ارتداء الملابس بلا مبالاة وكان يحب تلك الملابس التي يكون فيه لمسة براقة لا تحتاج إلى الزينة...".١ (ممتاز مفتى، ٢٠٠٠: ص ٢٩٧ ، ٢٩٨، ٢٩٩)

ومن أهم أسباب نشوء هذا النوع من الرهاب هو " تأخر سن الزواج وعدم التفكير به مطلقاً، واعتياد الفرد على نمط حياة العزوبية وشعوره بالراحة، وإمكانية اعتماده على نفسه دون شعوره بالحاجة لوجود شريك حياة له "(علاء فرغلى، ٢٠٠٥: ص ٥٢) ؛ كما يتضح من القصة فيما يلى :

" كان سعيدًا في هذا اليوم بشكل خاص لأن أمه قد أتت للعيش معه لأول مرة في حياته، من قبل قد توسل لأمه مرارًا أن تمشى معه، لكن الأم العجوز لم ترغب في الذهاب بعيدًا إلى هذا الحد، كانت ترغب أن تحضر لسليمان عروسًا جميلة، وأمنيتها تزويجه من فتاة هادئة، لهذا لم تكن راضيَة عن الذهاب بمفردها بعيدًا لهذه الدرجة، لم يوافق سليمان على الزواج فى الوقت الحالى، لأنه لم يكن لديه نقود، وأمه تريد أن يكون الزواج حافلًا ذا ضجة، ولم يكن يحب الاقتراض وليس من طبيعته الاحتفاظ بالنقود، في تلك الظروف لم يمكنه الزواج ولم يكن لديه شغف بالزواج على أية حال ....".٢(ممتاز مفتى، ٢٠٠٠ : ص ٣٠٠)

ويمتزج مع هذا النوع من الخوف؛ أى الخوف من الالتزام وتحمل المسؤولية الخوف من التغيير والذى يعتبره في هذه الحالة تغييراً نحو الأسوأ بالنسبة له، واعتبار الزواج أو الارتباط بأي شخص حتى لو كان أمه التي يحبها قيدًا خانق يقيد الحرية الفردية ويقلل الشعور بالاستقلالية أو يقتلها، كما يتضح في ما يلى:

---

١) "چائے سے فارغ ہو کر وہ سوچنے لگا کہ اب کیا کرے۔ کیونکہ اس سے پہلے تو چائے پیتے ہی کالج سے دیر ہو جایا کرتی تھی ۔ اور وہ ادھر ادھر سے کوئی پتلون اٹھا۔ کوٹ پہن جلدی میں تیاری کرنے کا عادی تھا۔ شاید اسی لئے اگرچہ اس کے کپڑے صاف ہوتے لیکن پہناؤ میں وہ بات پیدا نہ ہو سکتی تھی ۔ خیر اب تو اسے بے پروائی سے کپڑے پہننے کی عادت ہو چکی تھی اور ایسا لباس پسند تھا۔ جس میں تزین سے بے نیازی کی جھلک واضح رہے۔"

٢) اس روز وہ خاص طور پر خوش تھا کیونکہ زندگی میں پہلی مرتبہ اماں اس کے پاس رہنے کے لئے آ رہی تھی ۔ اس سے پہلے اس نے کئی مرتبہ اماں سے منت کی تھی کہ اس کے ساتھ چل کر رہے لیکن بوڑھی ماں کو اتنی دور جانا گوارا نہ ہوا۔ وہ چاہتی تھی کہ اپنے سلیمان کے لئے ایک خوبصورت سی دلھن لائے۔ اسے چاؤ چونچلے سے بیا ہے۔ اس لئے وہ اکیلی اتنی دور جانے پر رضامند نہ ہوئی تھی ۔ سلیمان کو فی الحال بیاہ کرنا منظور نہ تھا کیونکہ اس کے پاس روپیہ نہ تھا اور اماں دھوم دھڑا کے کا بیاہ کرنا چاہتی تھی ۔ قرض لینا اسے گوارا نہ ہوا اور روپیہ بچ کرنا اس کی سرشت میں نہ تھا۔ ان حالات میں وہ بیاہ کر سکتا تھا اور ویسے بھی اسے بیاہ سے چنداں دلچسپی نہ تھی"

" كان كل شيء موضوعًا بدقة في الغرفة في ذلك اليوم، كل الكتب موضوعة في الخزانة، والكراسي في أماكنها المناسبة، وعلى المنضدة مفرش نظيف،لا أعلم لماذا شعر كما لو أن كل هذه الكتب بلا فائده وبعد الموت ربما تُدفن في الخزانة أو تُلقى في الغرفة بلا روح، على الرغم من أنه كان يشعر بالسعادة لنظافة الحجرة، لكن مع ذلك ظل يفكر كأن هذه الغرفة تخص شخصًا آخر، وكأنها ليس لها علاقة بسليمان، نهض والتقط كتابًا من الخزانة، كأنه كان يرغب أن يرى إن كانت هذه الكتب قد ماتت حقًا أم أنها لا زالت على قيد الحياة حتى الآن "١ (ممتاز مفتى، ٢٠٠٠ : ص ٣٠٣ ، ٣٠٤)

" كانت نفسه تهفو أن يستلقى على الفراش باسترخاء كالمعتاد، ويخلع معطفه ويلقيه على أحد الكراسي، ويحاول تعليق القبعة على معلاق الملابس وفى هذه الأثناء ينادى على ننهى ويوبخه على عدم إعداد الطعام ويشكو للببغاء من أن الطعام غير جاهز، اغتسل وكان سعيدًا بتناوله الطعام، لكن فى ركن ما فى قلبه كان يشعر بالأسف أن أفضل هواياته قد سُلبت منه "٢ (ممتاز مفتى، ٢٠٠٠ : ص٣٠٢، ٣٠٣)

" قام سليمان رغمًا عنه ولزم الفراش، لكن فى هذا اليوم كأن عينيه بدت فارغتين تمامًا من النوم، لكنه اضطر أن يصمت حتى لا يؤلم قلب أمه، وبدأ يفكر كم تعتنى بي أمى، المسكينة تظل تفكر كل ساعة بمصلحتى، لكن بالرغم من هذا كان قلبه يتوق أن ينهض ويتجول هنا وهناك، يتحدث مع متهو أو يغنى قليلًا، ثم يتذوق الشاي من يد ننهى، لكن فى هذا اليوم كان شكل الغرفة قد تغير، كانت نفسه تريد نثر

---

١) " اس روز کمرے میں ہر چیز سلیقے سے پڑی تھی ۔ تمام کتابیں الماری میں رکھی ہوئی تھیں کرسیاں مناسب مقامات پر لگی تھیں ۔ میزوں پر دھلے ہوئے میز پوش پڑے تھے۔ نہ جانے کیوں خواہ مخواہ اسے محسوس ہوا گویا وہ کتابیں بیکار ہو چکی ہوں اور مر جانے کے بعد الماری میں دفن کر دی گئی ہوں اور وہ کمرے میں بے جان پڑا ہو۔ اگرچہ کمرے کی صفائی پر وہ خوشی محسوس کر رہا تھا۔ لیکن اس کے باوجود اسے رہ رہ کر خیال آتا گویا وہ کمرا کسی غیر آدمی کا ہو۔ جسے سلیمان سے دور کا بھی تعلق نہ ہو۔ اس نے اٹھ کر الماری سے ایک کتاب اٹھا لی ۔ گویا وہ دیکھنا چاہتا تھا کہ آیا واقعی وہ کتابیں مر چکی تھیں یا ابھی جان باقی تھی"

٢) " اس کا جی چاہتا تھا کہ وہ حسب معمول کاؤچ پر دھم سے جا پڑے۔ کوٹ تو اتار کر کسی کرسی پر پھینک دے۔ پڑا پڑا تو پی کھونٹی پر ٹانگنے کی کوشش کرے اور اس دوران میں ننھے کو آوازیں دے اور کھانا نہ تیار ہونے پر بُرا بھلا کہے۔ اور طوطے سے کھانا تیار نہ ہونے کی شکایت کرے۔ نہا کر کھانا کھاتے ہوئے اسے خوشی تو ہوئی لیکن اس کے دل کے کسی کونے میں افسوس سا ہوا کہ اس کا بہترین مشغلہ اس سے چھین لیا گیا ہے"

الكتب هنا وهناك وخلط الكراسى؛ حتى تصبح هذه الغرفة غرفته ".١(ممتاز مفتى، ٢٠٠٠ : ص٣٠٣ ، ٣٠٤)

ومما زاد شعور سليمان بالرهاب والخوف من فقدان الحرية، هو سلوك أمه معه،

وعدم معرفتها بكيفية التعامل معه، فحبها له وتعلقها به وخوفها عليه اعتبره سليمان أسرًا له يريد الخلاص منه حتى يظفر بحريته، فعلى الرغم من حبه لها إلا أنه كان يريد الخلاص من تدخلها في حياته والذى اعتبره سيطرة وتملك، فقد كان في لا شعوره يكره هذا الحب الذي أصبح حبسًا له؛ كما يتضح فيما يلى:

" عندما أعد سليمان الكوب الثالث فقالت أمه : "يا بني! ليس من الجيد تناول الكثير من أكواب الشاي، لاقدر الله ..... " أشارت ناحية الكوب الرابع وقالت : " تذوب كل دهون الجسم، لتنظر! تبرز العظام من وجهك "

" لا يا أمي .... أحتسى ستة أكواب ما المشكلة في هذا ؟"

"حسنًا يا بني!" تنهدت الأم وقالت : "مثلما تريد، لكن هذه الحرارة والجفاف ليس جيدًا لك، فأنت عاقل، وأنا مجنونة لأنى أقول لك مثل هذا الكلام"، في هذا الوقت سُمع صوتها مغمورًا بالدموع، بدأ سليمان يتوجه ناحية الببغاء بقوة، كان يريد أن يتجنب تلك الانفعالات النفسية التي ظهرت على صوت أمه ووجهها الممتلئ بالتجاعيد"٢(ممتاز مفتى، ٢٠٠٠ : ص٣٠٦، ٣٠٧)

---

١)" سليمان ناخواستہ اٹھ کر چارپائی پر جا پڑا۔ لیکن اس روز گویا کی آنکھیں نیند سے قطعی خالی تھیں ۔ لیکن اس خیال پر کہ اماں کا دل نہ دکھے وہ چپ چاپ پڑ گیا۔ اور سوچنے لگا کہ اماں کو کس قدر خیال ہے میرا۔ بیچاری ہر گھڑی میری بہتری سوچتی رہتی ہے۔ لیکن اس کے باوجود چوری چوری اس کا دل چاہ رہا تھا کہ اٹھ کر ادھر ادھر ٹہلے۔ مٹھو سے باتیں کرے یا کچھ گنگنائے۔ اور پھر ننھے سے چائے کا مذاق رہے لیکن اس روز تو کمرے کی شکل ہی بدل ہوئی تھی ۔ اس کا جی چاہتا تھا کہ کتابیں ادھر ادھر پھیلا دے۔ کرسیاں گھسیٹ کر دے۔ حتی کہ وہ کمرا اس کا اپنا کمرہ ہو جائے۔"

٢) "جب سلیمان نے تیسرا پیالہ بنایا تو اماں بولی ۔ "بیٹے! اتنی چار پینا اچھا نہیں ۔ یہ اللہ ماری ـــــ" اس نے چار دانی کی طرف اشارہ کر کے کہا۔ "بدن کی ساری چربی پگھلا کر رکھ دیتی ہے۔ دیکھ تو منہ پر ہڈیاں نکلتی ہوئی ہیں تیرے۔"

"نہیں اماں .... میں تو چھ چھ پیالے پی جاتا ہوں ۔ اس میں کیا ہے؟۔"

"اچھا بیٹے!" ماں نے آہ بھر کر کہا۔ "جیسے تیری خوشی ۔ پر یہ گرمی خشکی تیرے لئے اچھی نہیں ۔ آگے تو آپ سمجھدار ہے۔ میں تو پاگل ہوں جو تجھے ایسی بات کہہ دیتی ہوں ۔" اس وقت اس کی آواز پئے ہوئے آنسوؤں سے بھیگی بھیگی سنائی دے رہی تھی ۔ سلیمان نے زبردستی طوطے کی طرف

" بعد ذهاب الأم جلس سليمان صامتًا لساعة أو ساعتين، وكأنه كان مترددًا في احتساء كوب الشاي، ثم تجرأ وشرب بسرعة الكوب الثالث من الشاي، وبعد ذلك أعد الكوب الرابع بسرعة وشرع ينظر للببغاء ببراءة وكأن شيئا لم يحدث.

قالت الأم وهى تدخل الحجرة : "تفضل يا بني لتأكل بعض الزبد "

"زبد ؟" نظر سليمان ناحية أمه متعجبًا.

"نعم يا بني" قالت الأم : "يكون من الجيد استخدام الزبد مع الكثير من الشاي، وإلا لا قدر الله تجف أمعاءك، سأضع العصير على البسكويت أو أعد الخبز المحمص"، في هذا الوقت لم يعلم سليمان لماذا تبدو قطع الزبد مخيفة له لهذه الدرجة، وبدأت نفسه تمتعض .

" لكن يا أمي ـــــ" توقف، ومع ذلك، فقد أدرك أنه ليس من الجيد إيذاء قلب والدته.

أخذ القطعة من يد أمه على مضض وقال : "لا يا أمي ما الحاجة للخبز المحمص" ووضع القليل من الزبد على البسكويت .

" لتضع قليلًا آخر منه " قالت الأم متضرعة : "ماذا سيحدث من الكثير من الزبد ؟" شعر سليمان كأنه لم يكن هناك في العالم سوى الزبد فقط التي كان ينفر منها كثيرًا، صار يتصبب عرقًا، ثم خطر بباله أن يحرك السكين كأنه يأخذ من الزبد، لكن كل الزبد نزلت على السكين، أخفي يده بالسكين تحت الطاولة، وعلى الفور أخرج البسكويت في لقمة واحدة، كانت الأم تجلس أمامه وهى تبتسم، لكنه كان يشعر كأنه خدع شخصًا بريئًا، كأنه لص، الخداع في مثل هذا الأمر البسيط، هذا الشعور بالخداع جعل جريمته هذه أكثر قبحًا في نظره، أخذ يفكر أنه إنسان ضعيف، وليس لديه الكثير

دیکھنا شروع کر دیا۔ وہ ان تاثرات سے بچنا چاہتا تھا جو اماں کی آواز اور جھریوں بھرا چہرہ پرپیدا کر رہے تھے"

من الشجاعة أن يخبر أمه بما يدور فى قلبه"١(ممتاز مفتى ٢٠٠٠ : ص٣٠٧ ، ٣٠٨)

"حسنًا .. حسنًا يا بني" قالت :" لتمشى قليلًا، لكن عد بسرعة وإلا سيبرد الطعام "

سيبرد الطعام، كان غاضبا، إعتاد أن يسمع هذا الكلام ويضحك ساخرًا بشدة، هؤلاء النساء يعرفن جيدًا خدعة سيبرد الطعام، سيد نعيم! تقول زوجتك لا تتجول، وإلا ماذا سيحدث للطعام، وإذا برد فهل يؤكل أم لا؟ أسألك الصدق يا سيد نعيم! أليس هدف زوجتك الحقيقى من تجنبك التجوال هو أن تعود سريعًا وتستطيع فعل ذلك من أجل زوجتك، مقولة سيبرد الطعام هى مجرد حيلة، والهدف فقط جذب الانتباه ناحيتها، ثم يضحك : " كم أن هؤلاء النساء ماكرات " وكان يضحك لكن في هذا اليوم لم يستطع الضحك أيضا على كلام أمه".٢ (ممتاز مفتى، ٢٠٠٠: ص٣٠٨،٣٠٩)

---

١) اماں کے جانے کے بعد دو ایک ساعت وہ خاموش بیٹھا رہا۔ گویا چائے کا پیالہ پینے سے ہچکچا رہا ہو۔ پھر اس نے دل کڑا کیا اور چائے کا تیسرا پیالہ فٹ فٹ پی گیا۔ اور پھر جلدی جلدی چوتھا بنا کر معصوم انداز سے یوں طوطے کو دیکھنا شروع جیسے کچھ ہوا ہی نہ ہو۔

"لو بیٹے۔" اماں کمرے میں داخل ہوتے ہوئے بولی ۔ ٹھوڑا سا مکھن کھا لو۔"

"مکھن؟" سلیمان نے تعجب سے اماں کی طرف دیکھا۔

"ہاں بیٹے۔" وہ بولی ۔ "چائے کی زیادتی کے ساتھ ساتھ مکھن کا استعمال کر لیا کرو تو اچھا رہے۔ ورنہ یہ کمبخت تو انتڑیاں سکھا دیتی ہے۔ رس بسکٹ پر لگاؤ گے یا ٹوسٹ بنا دوں ۔" اس وقت نہ جانے سلیمان کو وہ مکھن کا ٹکڑا اس قدر ڈراؤنا کیوں دکھائی دیا۔ اس کی طبیعت مالش کرنے لگی ۔

"لیکن اماں ـــ" وہ رک گیا۔ معًا اسے خیال آیا کہ اماں کا دل دکھانا اچھا نہیں ۔ بادل ناخواستہ اس نے وہ ٹکڑ اماں کے ہاتھ سے لے لیا اور بولا۔ "نہیں اماں ٹوسٹ کی کیا ضرورت ہے۔" اس نے تھوڑا سا مکھن رس بسکٹ پر لگا لیا۔

"ذرا سا اور لگا لو۔" اماں نے لجاجت سے کہا۔ "اتنے سے مکھن سے کیا ہوگا؟" سلیمان نے محسوس کیا۔ گویا اس وقت دنیا کی چیزوں میں صرف ایک مکھن ہی تھا جن کے خلاف اسے اس قدر نفرت تھی ۔ اسے پسینہ آ گیا۔ پھر اسے سوجھی ۔ چھری یوں چلانی گویا مکھن لگا رہا ہو لیکن سارے کا سارا مکھن چھری پر اتر آیا۔ جھٹ چھری دانے ہاتھ کو میزتلے چھپا وہ ایک نوالے ہی میں بسکٹ نکل گیا۔ ماں سامنے بیٹھی مسکرا رہی تھی ۔ لیکن وہ محسوس کر رہا تھا گویا اس نے کسی معصوم کر دھوکا دیا ہو۔ گویا وہ چور ہو۔ ایسی معمولی سی بات پر فریب کرنا، یہ احساس اس کی نظر میں اس کے جرم کو اور بھی قبیح بنا رہا تھا۔ اسے رہ رہ کر خیال آتا کہ وہ کمزور آدمی ہے۔ اس میں اتنی جرأت بھی نہیں کہ ماں سے دل کی بات کہہ دے۔"

٢) "ہاں ہاں بیٹے۔" وہ بولی ۔ "ذرا ٹہل آؤ۔ لیکن جلدی لوٹ آنا ورنہ کھانا ٹھنڈا ہو جائے گا"

کھانا ٹھنڈا ہوجائے گا ۔ سے اسے چڑھی ۔ وہ یہ بات سن کر اکثر طنزاً ہنسا کرتا۔ یہ عورتیں کھانا ٹھنڈا ہوجائے گا کا پاکھنڈ کرنا خوب جانتی ہیں ۔ مسٹر نعیم، بیگم صاحبہ کا مطلب ہے کہ تم آوارہ گردی نہ کرو۔ ورنہ کھانے کا کیا ہے۔ ٹھنڈا ہو بھی جائے تو کیا کھایا یا نہیں جاتا۔ اور سچ پرچھو مسٹر نعیم تو بیگم صاحبہ کا تمہیں آوارہ گردی سے بچانے کا در حقیقت یہ مطلب ہے کہ تم جلدی واپس آ کر بیگم گردی کر سکو ۔ کھانا ٹھنڈا ہو جائے گا تو محض بہانہ ہے۔ مطلب تو صرف اپنی طرف متوجہ کرنا ہے۔ پھر وہ ہنس پڑتا "کس قدر چالاک ہیں یہ عورتیں!" اور وہ ہنسے جاتا لیکن اس روز اماں کی بات پر وہ ہنس بھی نہ سکا۔ "

"هل ستتناول الطعام؟ " سألت الأم فى حيرة : "هل أنت بخير، لماذا أنت صامت لهذا القدر يا سليمان ؟"

" أنا بخير يا أمي " قال هذا وقد تهالك جسده واضطر للذهاب إلى الفراش.

"انظر، كنت أقول لك، أليس كذلك؟ " قالت الأم فى ألم : " ليأخذ الله الشاى، فقط شاى شاى شاى، لا تأكل ولا تشرب، جفت أمعاء أعدائك "

كان سليمان غاضبًا، لكنه اضطر أن يلزم الصمت وكان يحاول ألا يستمع لحديث أمه، لكن هذا الكلام كان يدق فى رأسه مثل المطرقة".١(ممتاز مفتى، ٢٠٠٠: ص٣٠٩، ٣١٠)

" عندما بدأ في إعداد كوب من الشاي قالت الأم بتذلل : " ابنى سليمان! أي ضرر سيلحق بك إذا لم تتناول الشاي اليوم، تناول كوبًا من اللبن، وستصبح حالتك جيدة "

" لبن" بدأ يتغير مزاجه، كان يتقزز من اللبن، في هذا اليوم كانت نفسه تريد شرب الوعاء بأكمله بدون اللبن، بالصدفة ذهبت الأم لتأتى بالملح، ملأ سليمان فنجان القهوة ووضعه على الصحن وشربه ثم مسح فمه بسرعة، وجلس كأنه ينتظر أمه، ثم غضب بشدة، كانت روحه تريد أن تأتى أمه ويضع الحليب أمامها ويصنع كوبًا ويشربه لكن بعد رؤية أمه، قمع رغبته وقرر من جديد عدم إظهارها"٢(ممتاز مفتى، ٢٠٠٠: ص٣١١

---

١) "کھانا کھاؤگے؟" اماں نے حیرانی سے پوچھا۔ "طبیعت تو اچھی ہے تم اس قدر چپ کیوں ہو؟ سلیمان" "میں بالکل ٹھیک ہوں اماں"۔ وہ بولا اور نڈھال ہو کر چارپائی پر جا پڑا۔
"دیکھا، میں نے کہا تھا نا " اماں دکھی انداز سے بولی " یہ اللہ ماری چائے، بس چائے چائے چائے نہ کھانا نہ پینا۔ تمہارے دشمنوں کی انتڑیاں سوکھ گئی ہیں "
سلیمان کو غصّہ آ رہا تھا۔ لیکن وہ چپ چاپ پڑا تھا اور کوشش کر رہا تھا کہ اماں کی باتیں نہ سنے۔ لیکن وہ باتیں اس کے سر میں ہتھوڑے کی طرح بج رہی تھیں "

٢) "جب وہ چائے کا پیالہ بنانے لگا تو ماں لجاجت سے بولی ۔ "بیٹے سلیمان! آج چائے نہ پیو تو کیا ہرج ہے۔ دودھ کا پیالہ پی لو۔ طبیعت ٹھیک ہو جائے گی تمہاری ۔"
"دودھ" اس کی طبیعت مالش کرنے لگی ۔ اسے دودھ سے چڑ تھی ۔ اس روز تو اس کا جی چاہتا تھا کہ سارا کا سارا پاٹ دودھ بغیر پی جائے اتفاق سے اماں نمک لینے چلی گئی ۔ سلیمان نے قہوہ کا پیالہ بھرا اور اسے طشتری میں ڈال ڈال کر پی گیا۔ پھر اس نے جلدی جلدی منہ پونچھا۔ اور یوں بیٹھ گیا گویا اماں کا انتظار کر رہا ہو۔ پھر آپ ہی آپ وہ غصے میں آگیا۔ اس کا جی چاہا کہ اماں آ جائے تو اس کے روبرو دودھ ڈالے بنا ایک پیالہ بنا کر پئے لیکن اماں کو دیکھ کر اس نے اپنی خواہش دبالی اور از سر نو نہ دکھانے کا ارادہ کر لیا۔"

"هذا اليوم كان عطلة من الجامعة، أخذ سليمان الكتاب فمنعته أمه من القراءة، سئم من الاستلقاء ولم تأت نهاية اليوم بعد، كان يريد ألا يكون هناك شيء آخر فيصرخ على ننهى من أجل أن يجلب له الشاي لكن يتوقف بسبب التفكير بأمه، يريد أن يغنى قليلًا لكن لا يعلم لما لا يخرج الصوت من حلقه، ثم أخذ ينظر إلى الببغاء الصامت لكن في هذا اليوم كان الببغاء جالسًا وكأنه يضحك ساخرًا منه، في النهاية بعد أن ضجر حمل الكتاب وأخذه، لم يعلم أي كتاب كان ؟، وبدأ يقرأه ناظرًا إلى الصور الموجودة فيه .

سمع صوت الأم المفعم بالتذلل: " بنى سليمان !"

نهض مضطربًا : " أف ـــ !"

إنزعجت الأم :" لا.. لا يا بنى أنت عاقل، افعل ما تريد فأنا لدى مثل هذه العادة السيئة أنني أظل أقول لك ما فيه الخير لك، الذي تريده إفعله، ليحفظ الله عقلك "

قال مسيطرًا على نفسه: "ماذا على أن أفعل يا أمي، تعبت من الاستلقاء "١(ممتاز مفتى، ٢٠٠٠: ص٣١٢، ٣١٣)

وهكذا يتضح من خلال الفقرات السابقة ـ المأخوذة من القصة ـ مدى خوف سليمان من فقدان استقلاليته، مما يجعله على درجة كبيرة من الحساسية المفرطة تجاه

---

١) "اس روز کالج سے چھٹی تھی ۔ سلیمان نے کتاب اٹھائی تو اماں نے اسے پڑھنے سے منع کر دیا۔ وہ لیٹے لیٹے تھک گیا پر دن تھا کہ ختم ہونے ہی میں نہ آتا تھا۔ اس کا جی چاہتا تھا کہ اور کچھ نہیں تو ننھے کو آواز دے کر چائے کے لئے ہی کہدے لیکن اماں کے خیال سے رک جاتا۔ کچھ گنگنانا چاہتا تو نہ جانے کیوں آواز حلق میں ایک جاتی ۔ پھر وہ چپ چاپ طوطے کو دیکھنے میں لگ جاتا لیکن اس روز طوطا بھی یوں بیٹھا تھا جیسے طنزًا اس پر ہنس رہا ہو۔ آخر اکتا کر اس نے کتاب اٹھا ہی لی ۔ نہ جانے کون سی کتاب تھی وہ اور اس میں تصویریں دیکھتے دیکھتے پڑھنے لگا۔

"بیٹے سلیمان!" اماں کی لجاجت بھری آواز سنائی دی ۔

"اف ـــــ!" وہ تڑپ کر اٹھ بیٹھا۔

اماں گھبرا گئی ۔ "نہیں نہیں بیٹے تو آپ سمجھدار ہے۔ جو تیرا جی چاہے کر میری تو ویسے ہی بری عادت ہے کہ تجھ سے تیرے بھلے کی کہتی رہتی ہوں ۔ جو جی چاہے کر، اللہ رکھے آپ سمجھدار ہے۔"

"کیا کروں اماں ۔ میں تو لیٹے لیٹے تھک گیا۔" اس نے طبیعت کو قابو میں کرتے ہوئے کہا۔"

تصرفات أمه، حيث يظل في قلق وتوتر ورفض داخلى لأي تدخل منها، كما أنه يخشى أيضًا أن يعبر عن مشاعره لأنه أيضًا يرهب الارتباط العاطفي .

ومن الملاحظ أيضًا أن الكاتب قد اختار لقصته عنوانًا رمزيًا قد يكون له بعد سيكولوجي، فالأليف المحبوب في القصة هو الببغاء، ولكن يتضح في ثنايا القصة أن سليمان يرى نفسه في الببغاء، فكلاهما حبيسان يعانيان من فقد الحرية، وكأن هناك رباط قوي يربط بينهما، وقد لمح الكاتب لهذا في إشارات منها:

" ذهبت الأم بالإفطار وتوجهت ناحية الببغاء الذي كان جالسًا فى القفص يلتقط بعض الطعام، لا يعلم لماذا لم تظهر تلك الصورة الجمالية فى طريقة جلوس الببغاء، فبعدما نظر إليه فى أسلوب مطمئن فكر لأول مرة أن هذا الاطمئنان ربما يكون ظاهريًا فقط، وانتابه الشك بلا داعي أن الببغاء غير سعيد".١(ممتاز مفتى، ٢٠٠٠: ٣١٠، ٣١١)

وهكذا شعر سليمان بأن الببغاء يشاركه نفس المشاعر فلكلاهما نفس السعادة عند قدوم الأم، وكلاهما أيضاً غير سعيد بعدما شعرا بفقدان حريتهما وسلبها منهما عندما تغير نظام حياتهما، وهذا يفسر نهاية القصة ورغبة سليمان الملحة في أن يطير الببغاء:

" قالت الأم :" لا ..لا افعل ما فيه سعادتك "

" سعادتي " ضحك :" يا أمي أنا لست سعيدًا وليس لدى هدف، الذى أريده....." وصمت، سألته الأم :" ما الذي تريده نفسك يا بنى ؟ "

"هل أخبرك؟ " بدأ يقول مازحًا : " أريد الذهاب إلى غرفتي "

"إلى غرفتك؟" رددت الأم فى حيرة: "هذه هى غرفتك ـــــــ !"

١) "ماں ناشتہ لینے گئی تو وہ طوطے کی طرف متوجہ ہو گیا۔ جو پنجرے میں بیٹھا ہوا کچھ کھا رہا تھا۔ نہ جانے کیوں اس وقت اسے طوطے کے انداز نشست میں وہ جمالی کیفیت نظر نہ آئی ۔ اس کے اطمینان بھرے انداز کو دیکھ کر پہلی مرتبہ اسے خیال آیا کہ شاید وہ اطمینان محض ظاہری ہو۔ اسے خواہ مخواہ شک پڑنے لگا۔ کہ طوطا خوش نہیں ہے۔"

"إنها هى ـــــ ولكن لم تعد كذلك" نهض: "انظري يا أمي هل أريكِ غرفتي ؟"

أخرج كل الكتب من الخزانة وقام ببعثرتها في أكوام هنا وهناك، وقام بقلب بعض الكراسي ورمى الوسائد في أحد النواحي، ثم سقط على الأريكه بحذائه، وبدأ يضحك :"انظري يا أمي، هذه هى غرفتي !"

سمعت الأم نبرة الجنون في ضحكه، فصرخت بقوة : "سليمان ـــــ ماذا حدث لك يا بنى، دعنى أرى رأسك" وضعت يدها على جبهة سليمان وقالت : "أنا أعلم، ارتفعت حرارة رأسك، يا إلهى! لتزيح جفاف هذا الشاي .... لماذا يا بني! كيف أصبحتَ فى هذه الحالة "

صاح الببغاء كأنه يضحك على سليمان، شعر سليمان كأن الببغاء يقوم بطعنه، وبدأ يقول لأمه: " أمي! أريد ـــــ أن أُطير هذا الببغاء" نهض ضاحكًا وجلس، وبسرعة فتح باب القفص، رفرف الببغاء وظل جالسًا، ضربه سليمان بالمفتاح وقال محاولًا أن يطيره : " شي ..شي .. شي "

" يا سليمان! ماذا أصابك" قالت الأم فى خنوع :" ألا يحزنك أن تُطير مثل هذا الحيوان الأليف؟ أوه! كم هو محبوب ـــــ "

ضحك بجنون : " الأليف المحبوب ـــــ الأليف المحبوب "

صرخت الأم فى خوف : "سليمان ـــــ ! يا إلهى! ماذا حدث لابني؟،

"أليف محبوب" بدأ يضحك بحماس مجددًا ـــــ "أليف محبوب ـــــ !!".١(ممتاز مفتى، ٢٠٠٠: ص٣١٢ ، ٣١٣)

---

١) "نہیں نہیں جو تیری خوشی ہو کر۔" اماں بولی ۔
"میری خوشی" وہ ہنسا۔ "اماں میری خوشی تو رہی ہی نہیں ۔ میرا مطلب ہے ہے ہی نہیں ۔ ویسے میرا جی چاہتا ہے ...." اور وہ چپ ہو گیا۔
"کیا جی چاہتا ہے بیٹے؟" اماں نے پوچھا۔
"بتاؤں؟" وہ مذاقاً کہنے لگا۔ "جی چاہتا ہے اپنے کمرے میں چلا جاؤں"۔
"اپنے کمرے میں؟" اماں نے حیرانی سے دہرایا۔ "یہی تو ہے تیرا کمرہ ـــ!"
"ہے تو یہی ـــ لیکن رہا نہیں"۔ وہ اٹھ بیٹھا۔ "دیکھو اماں میں دکھاؤں اپنا کمرہ تمہیں؟"
اس نے الماری میں سے سب کتابیں نکال کر انہیں ڈھیریوں میں ادھر ادھر بکھیر دیا۔ دو ایک کرسیاں الٹ پلٹ کر دیں گدیاں ایک طرف پھینک دیں اور پھر بوٹ سمیت صوفے پر گر کر ہنسنے لگا۔ "دیکھا اماں یہ ہے میرا کمرہ!"۔

وهكذا تخلص الدراسة هنا بأن النصوص القصصية السابقة قد استطاعت أن تعبر عن بعض العقد النفسية اللاشعورية التى يخضع لها السلوك الإنسانى الذي تحكمه سيرورات نفسية ذات طبيعة انفعالية خاصة .

ثانيًا :" الصراعات النفسية "

إن موضوع الصراع بين الأنا والهو والأنا الأعلى من الموضوعات الأساسية في نظرية التحليل النفسي بصفة عامة، وفي القصة وغيرها من الأعمال الأدبية بصفة خاصة.

وتعود كلمة صراع (Conflict) إلى أصل لاتينى وتعنى عملية الضرب أو الطرق، وجاء استخدامها في اللغة الإنجليزية القديمة بمعنى العراك أو الخصام .(محمد عبدالله حسن حميد ، ٢٠٠٤ م : ص ٣١)

وقد تنوعت تعريفات الصراع؛ لاختلاف وجهات نظر علماء النفس ونظرة الباحثين له، فالصراع هو تصادم نزعات متضادة ومتضاربة في وعى الفرد أو في التفاعل الشخصي المتبادل أو العلاقات الشخصية المتبادلة بين الأفراد أو جماعات من الناس، والمرتبط بتجارب انفعالية سلبية بصورة حادة . (أ.ف . بتروفكسي ، ب.ت ، ص ٥٨)

اس کی ہنسی میں دیوانگی کی جھلک سن کر اماں نے چیخ سی ماری "سلیمان ـــــ کیا ہے تمہیں بیٹا۔ ذرا تیرا سر دیکھوں"۔ اس نے سلیمان کے ماتھے پر ہاتھ رکھ کر کہا۔ "میں جانوں بخار دماغ کو چڑھ گیا ہے۔ ہائے اللہ ماری یہ چائے کی خشکی ۔کیوں بیٹے ! کیسی ہے طبیعت؟" وہ بولی ۔

طوطے نے یوں چیخ ماری جیسے وہ سلیمان پر ہنس رہا ہو۔ سلیمان نے محسوس کیا جیسے طوطا اسے طعنہ دے رہا ہو۔ وہ اماں سے کہنے لگا۔ "ماں میرا جی چاہتا ہے ـــــــ اس طوطے کو اڑا دوں" ہنستے ہوئے وہ اٹھ کر بیٹھ گیا اور لپک کر پنجرے کا دروازہ کھول دیا۔ طوطے نے پر پھڑپھڑائے اور بیٹھا رہا۔

"شی شی ـــــ شی"۔ سلیمان نے تالی بجا کر اسے اڑانے کی کوشش کرتے ہوئے کہا۔

"اے ہے سلیمان، کیا ہے تجھے"۔ اماں لجاجت سے بولی ۔ "ایسے پیارے پالتو کو اڑاتے ہوئے دکھ نہیں ہوتا تمہیں؟ "ہائے ہائے کیسا پیارا ـــــ"

"پیارا پالتو ـــــ" وہ کھلکھلا کر دیوانہ دار ہنسا ـــــ "پیارا پالتو ـــــ"

"سلیمان ـــــ!" اماں نے ڈر سے چیخ ماری ۔ "میرے اللہ کیا ہے میرے بیٹے کو؟"

"پیارا پالتو" ـــــ وہ از سر نو جوش سے ہسننے لگا ـــــ "پیارا پالتو ـــــــ!!"

والصراع تعارض بين دوافع أو رغبات متضادة يحدث ـ كقاعدة عامة ـ توترًا انفعاليًا كثيرًا ولا يكون مريحًا للنفس، ويؤدى ـ حسب نظريات التحليل النفسي ـ إلى كبت أحد الدافعين، كما يعنى حدوث متزامن لاندفاعين أو دافعين أو أكثر بينهما عداوة متبادلة. (جمال دسوقي ، ١٩٨٨ م : ص ٢٩١)

إذًا الصراع هو تعارض بين دافعين أو نزعتين أو رغبتين أو أكثر، بحيث يحبذ كل جزء من الشخصية واحدًا منها، فيقع صراع بين أجزاء الشخصية بسبب الحيرة والتردد.

وينشأ الصراع النفسي من الصراع بين مكونات الشخصية؛ الهو والأنا والأنا الأعلى، فيرجع الصراع إلى اختلاف أهداف وغايات هذه المكونات الثلاثة، ويعتبر الصراع اللاشعوري بين هذه المكونات أشد وأخطر أنواع الصراع، وقد وصل فرويد إلى أن الصراع أيًا كان مصدره فإنه لا يكون في النهاية إلا نتاجًا للصراع بين الهو والأنا، وأن الفشل في حل الصراع هو الأساس وراء الأعراض المرضية، وكل حالات اختلال السلوك. (جمال دسوقي ، ١٩٨٨ م : ص ٢٩١)

ويتناول "ممتاز مفتى" في قصته "چٹ كپڑى ـ قطعة القماش" إحدى عمليات الصراع النفسى، وهى :

١. الازدواجية :

يروى القصة طبيب ماهر في التحليل النفسي، حيث يتحدث عن شخصية "رحيل راؤ" الذي كان أول مريض يذهب إليه في عيادته في فريد آباد، و"رحيل راؤ" هو شاب عمره بين الثلاثين والخامسة والثلاثين، متعلم ومثقف من أسرة راقية، متحضر ومتزن، وهكذا يتعجب الطبيب عند رؤيته، فأى شئ يمكن أن يؤرقه أو يقلقه !

لكن "رحيل راؤ" كان يشعر بأن ذهنه ينقسم إلى جزئين، وكل جزء في صراع مع الآخر، فهو يحب إمرأتين مختلفتين في وقت واحد، وكانت كل منهما تختلف عن الأخرى شكلًا وطبعًا، حتى أنهما تعدان متناقضتين، وكلتاهما عالقتان بذهنه، ويخشى

أن يبوح بسره لأحد، ولا يتخيل أن يُحرم من اهتمام أى منهما، إحداهما "مونا" سكرتيرته والأخرى "امنا" زوجته، وكانت لدى "رحيل راؤ" مشكلة، وهو أنه عندما يكون مع إحداهما يهفو قلبه إلى الأخرى ويتخيل نفسه معها، وكانت هذه المشكلة تؤرقه، حتى علمت كل منهما بوجود الأخرى فتركتا كلتاهما "رحيل راؤ" وغادرتا .

وإذا بالصدفة تذهب "امنا" إلى نفس الطبيب النفسي تستشيره في حالة "رحيل راؤ"، وكانت تتألم من حرمانها من اهتمام "راؤ"، فيرشدها الطبيب أنها كى تحصل على حبه مرة أخرى لابد أن تعيد "مونا" إليه، فذهبت إليها وطلبت منها الرجوع إليه، ولكن لسوء الحظ تفارق "مونا" الحياة في إثر حادث وهى عائدة، وأخذت "امنا" رأى الطبيب فأشار عليها أن تبحث عن "مونا" جديدة، وتجعلها سكرتيرة لـ "راؤ"، وفي هذه الحالة فقط تستطيع أن تحصل على حب "راؤ" مرة أخرى.

هنا يقدم الكاتب نمطًا نفسيًا يتميز بالاضطراب والتناقض نتيجة لحالة الصراع النفسي التى تنتاب الشخصية، حيث تعيش صراعًا بين متعارضين مع الشعور بعدم القدرة على حسم الأمر واتخاذ القرار، حيث نشأ الصراع من إثارة دافعين أو حافزين لهما نفس الشدة، ولا يمكن إشباع إحداهما على حساب الآخر، مما يؤدى بالفرد إلى التوتر والاضطراب .

ويعرف صراع الفرد في إشباع دوافع متعارضة أو لها نفس الجاذبية في علم النفس بـ " الازدواجية " .

ويعرف البعض "الازدواجية الشخصية" على أنها خلل أو اضطراب عقلي يعترى الذات فيصبح الفرد كمن يعيش جانبين من الحياة لا يقوم بينهما أى اتصال، وينشأ ذلك عند وقوع الإنسان تحت تأثير نظامين متناقضين، فيستجيب لإحداهما تارة وللآخر تارة أخرى . (سعد رزق ، ١٩٧٧ م : ص ١٦٨)

ويبرز الكاتب مدى التناقض بين المرأتين اللتين يحبهما "راؤ"، قائلًا على لسانه : "وكل من الفتاتين عكس الأخرى يا دكتور! " قال : " إحداهما هادئة، رطبة كالندى، والأخرى شرارة تتأجج وتشتعل، إحداهما الصباح، والأخرى الظهيرة، إحداهما

صامتة والأخرى مثرثرة، إحداهما السكون والأخرى الحركة، إحداهما الطعام الحلو والأخرى الطعام المفلفل ".١(ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ص ٢٧، ٢٨)

"شعر امنا طويل، مستقيم، ذهبي، ومونا لها شعر مجعد غامق قصير"٢(ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ص٢٩)

"مثلًا امنا هى قطعة قماش، هل تعرف يا دكتور قطعة القماش ؟ اوه.. لا! أنت لا تعلم، ليحفظك الله من قطعة القماش يا دكتور! ترتدى ثياباً بيضاء تبدو بسيطة، ليست فى حاجة إلى الزينة، ليست فى حاجة إلى مكياج، كأن يكون هناك مكياج لكن لا يظهر، يكون هناك اهتمام لكن يبدو كأنه لا يوجد شعور بالزينة، البراءة براءة يا إلهي " تنهد : " يادكتور! " قال :" زوجتى امنا قطعة قماش سادة ومونا ملونة، ملونة بالألوان، اللون هو نقطة ضعفها، لون على الخدين، ولون على الشفاة، ولون على الأظافر، وملابس تغرق فى الألوان كما لو كانت متجرًا للبقالة".٣(ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ص٢٩)

وغالبًا ما يصاحب الازدواجية حالة من صعوبات في تذكر الأحداث بشكل لا يمكن تفسيره من خلال عملية النسيان العادية، حيث يحدث تصدع أو انفصال في المحتوى العقلي للإنسان يمثل رد الفعل التفكيكى الذي يتميز بوجود نظامين من أنظمة الشخصية منفصلة بعضها عن البعض الآخر (عبدالمنعم الحفنى ، ١٩٧٥ م : ص ٢٣٦)، ويتجلى هذا النسيان والانفصال في المحتوى العقلي فيما يتعرض له "رحيل راؤ" عند خلوته مع "امنا" و"مونا"، كما يتضح فى الفقرات الآتية:

"هل لدى إحداهما علم بالأخرى ؟"

---

١) "اور وہ دونوں لڑکیاں ایک دوسری کی ضد ہیں، ڈاکٹر" وہ بولا " ایک مدھم، نمی نمی ۔ دوسری شوخ بھڑک کر جلنے والی ۔ ایک سحر، دوسری دوپہر۔ ایک گونگی، دوسری قینچی ۔ ایک سکون، دوسری ہلچل ۔ ایک میٹھی، دوسری مرچیلی"

٢) " امنا کے بال لمبے ہیں، سیدھے ہیں، سنہرے ہیں ۔ مونا کے گھنگھریالے ہیں، بھورکا لے ہیں، کٹے ہوئے ہیں"

٣) مثلًا امنا چٹ کپڑی ہے۔ چٹ کپڑی آپ جانتے ہیں، ڈاکٹر؟ اونہوں! آپ نہیں جانتے۔ چٹ کپڑی سے اللہ محفوظ رکھے، ڈاکٹر۔ وہ سفید کپڑے پہنتی ہے۔ بظاہر سادہ، سجاوٹ سے بے نیاز۔ میک اپ سے بے نیاز۔ ویسے میک آپ ہوتا ہے۔ دکھتا نہیں ۔ اہتمام ہوتا ہے۔ لیکن یوں لگتا ہے جیسے سجاوٹ کا شعور ہی نہ ہو۔ معصومیت ہی معصومیت ۔ مائی گاڈ!" اس نے جُھرجُھری لی "ڈاکٹر صاحب" وہ بولا "میری بیوی امنا چٹ کپڑی ہے اور مونا رنگیلی ہے رنگ رنگیلی ۔ رنگ اس کی کمزوری ہے۔ گالوں پر رنگ، ہونٹوں پر رنگ، ناخنوں پر رنگ ۔ کپڑے تو رنگ میں یوں ڈوبے ہوتے ہیں جیسے للاری کی دکان ہو۔"

" لا، يا دكتور، يوجد شك لدى زوجتى امنا، وسكرتيرتى مونا تعتقد أن علاقتى بزوجتى علاقة رسمية وأما الحب فلها فقط، حتى مع ذلك تشك مونا أحيانًا أيضا"

سألت : "ما السبب ؟"

"السبب هو أنا نفسى" قال : "يا دكتور! أنا نفسى أكبر مشكلة في حياتي".

"عجيب!" قلت : "أليس لديك القدرة على إخفاء ذلك الأمر؟"

"جدًا، يا دكتور! أنا مؤهل جدًا؛ لكن الشئ الذى يحدث هو أننى أنا نفسي أكشف أسراري الخاصة ـــــ سأشرح لك" قال بحماس : "الحقيقة أنني عندما أكون مع مونا تنبثق في قلبي الرغبة في امنا وتبرز وتسيطر لدرجة أن مونا تتلاشى تمامًا، وتحل مكانها امنا، وبالمثل عندما أكون مع امنا تتلاشى امنا وتحل محلها مونا، دكتور! هذا خداع بصري كبير لا أستطيع وصفه ... كأنه سراب، لا يمكنك فهم ذلك يا دكتور! لا يمكنك فهم ذلك" قال بحماس : "وبسبب ذلك تتولد مشكلات كبيرة، مشكلات كبيرة، فكر قليلا يا دكتور! أنا أكون مع امنا فى خلوة وبوجهى مونا، وأنسى أن هذا وهم "١(ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ص ٢٩ ، ٣٠)

" تحب مونا اللون الأخضر بشدة، يا دكتور! ذات يوم عندما كنت مع امنا، لكن في الخيال كان هناك بساط أخضر بالأسفل، قلت: "عزيزتى! اليوم لا يغرد الكناريا فى فصل المطر والزرع، سمعت هذا وظلت صامتة لفترة، ثم قالت إن أعمى المطر

---

١) "کیا انھیں ایک دوسری کے بارے میں علم نہیں؟"
"نہیں، ڈاکٹر۔ میری بیوی امنا کو شک ہے، اور سیکرٹری مونا سمجھتی ہے کہ بیوی سے میرا رسمی رشتہ ہے۔ محبت صرف اسی سے ہے۔ پھر بھی کبھی کبھار مونا کو بھی شک پڑ جاتا ہے۔"
"وجہ؟" میں نے پوچھا۔
"وجہ میں خود ہوں" وہ بولا "ڈاکٹر، اپنی زندگی کی سب سے بڑی مشکل میں خود ہوں "
"حیرت ہے!" میں نے کہا " کیا آپ بات چھپانے کی اہلیت نہیں رکھتے؟"
"بہت، ڈاکٹر، بہت اہلیت رکھتا ہوں ۔ لیکن بات ہی کچھ ایسی ہے کہ میں خود اپنا راز اچھال دیتا ہوں ـــــ میں سمجھاتا ہوں آپ کو" وہ جوش سے بولا "دراصل بات یہ ہے کہ جب میں مونا کے پاس ہوتا ہوں تو میرے دل میں امنا کی آرزو ابھرتی ہے۔ ابھرے جاتی ہے۔ اس قدر مسلط ہوجاتی ہے کہ مونا پورے طور پر فیڈ آؤٹ ہوجاتی ہے، اور اس کی جگہ امنا آ موجود ہوتی ہے۔ اسی طرح جب میں امنا کے ساتھ ہوتا ہوں تو امنا فیڈ ہوجاتی ہے اور مونا آ موجود ہوتی ہے۔ ڈاکٹر، یہ اتنا بڑا آپٹیکل الیوژن ہے کہ میں بیان نہیں کر سکتا۔ جیسے سراب ہوتا ہے۔ آپ اسے نہیں سمجھ سکتے، ڈاکٹر، نہیں سمجھ سکتے" وہ جوش سے بولا "اس سے بڑی مشکلات پیدا ہوتی ہیں، بڑی مشکلات ۔ ذرا سوچیے ڈاکٹر۔ تخلیے میں امنا کے ساتھ ہوتا ہوں تو میرے روبرو مونا ہوتی ہے اور میں یہ بھول جاتا ہوں کہ یہ فریب خیال ہے "

يرى كل شئ أخضر، شعرت حينها بخطأى ... وبالمثل ذات يوم عندما كان الفضاء كله أخضر، لكنه فى الخيال كان أبيض كاللبن، فقلت: حبيبتي! إذن فأنت فى وقت الصباح الباكر، انعكس البساط الأخضر عليها، فانتبهت ورأيت مونا تقف أمامى، الفم منفوخ والعينان مشتعلتان، قالت: "إلى هذا الحد قطعة القماش مسيطرة ؟"...على الرغم من أنني شديد الحذر، يا دكتور، لكن مثل هذه الزلات تحدث، من ثم تتولد الشكوك، ليس لدى قدرة على التحكم فى الخيال، يا دكتور! في معظم الأوقات أضع النبيذ على الأسياخ وأحشو الكباب في الكوب،أخشى أن ينقلب كلا البساطين ذات يوم، فلن يكون أخضر ولا الصباح باكر ـــــ ماذا سيحدث بعد ذلك يا دكتور؟ ستكون الحياة صعبة بالنسبة لى"، كانت حالة راحيل راو حالة غريبة! ١(ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ص ٢٩، ٣٠)

وأيضًا تصف حالته زوجته "امنا "؛ حيث تقول :

"كانت أعراض غريبة يا دكتور!" قالت : " يظل راو يحدق في طوال اليوم، ينظر إلى كل تحركاتي فى دهشة، وكأنه اكتشف شيئًا جديدًا في داخلي، كثيرًا ما كان يقول لى : امنا! افعلى هذا الوضع الذي قمتى به للتو مرة أخرى" ابتسمت، وتوقفت لفترة،

كانت النجوم تلمع في عينيها، ثم قالت : "عندما يكون فى الخلوة معى يتغير الوضع، يتوه، حتى أنه لا يشعر أنه معى، يصبح كأنه أجنبى غريب عنى " ـــــ صار صوتها مفعمًا بالحزن .

١) " مونا کو سبز رنگ بہت پیارا ہے۔ ڈاکٹر، ایک روز جب میں امنا کے پاس تھا۔ لیکن تخیل میں نیچے سبزے کا فرش بچھا ہوا تھا، میں نے کہا: ڈارلنگ، آج ساون میں پیپیہا نہیں بول رہا۔ یہ سن کر وہ دیر تک خاموشی رہی ۔ پھر وہ بولی: ہاں، ساون کے اندھے کو ہرا ہی دکھتا ہے۔ اس وقت مجھے اپنی غلطی کا احساس ہوا۔

اسی طرح ایک روز جب تخلیہ سر سبز تھا، لیکن تخیل دودھیا تو میں نے کہا: پیاری، تم تو بھور سمے ہو۔ اس پر سبزے کی بساط الٹ گئی ۔ مجھے ہوش آیا تو دیکھا کہ سامنے مونا کھڑی ہے۔ منہ سوجا ہوا، آنکھیں شعلہ بار۔ بولی: چٹ کپڑی اس حد تک مسلط ہے؟" حالانکہ میں بہت احتیاط کرتا ہوں، ڈاکٹر، لیکن ایسی لغزشیں ہو ہی جاتی ہیں ۔ پھر شکوک پھن اٹھاتے ہیں ۔ تخیل کو قابو میں رکھنا میرے بس کی بات نہیں، ڈاکٹر۔ اکثر شراب سیخ پر اور کباب شیشے میں ٹھونستا رہتا ہوں ۔ مجھے ڈر ہے کہ کسی روز دونوں بساطیں الٹ جائیں گی ۔ نہ سبزہ رہے گا نہ بھور سمے ـــــ پھر کیا ہوگا، ڈاکٹر؟ میرے لیے تو جینا بھی مشکل ہوجائے گا۔"عجیب کیس تھا راحیل راؤ کا!"

قلت فى صوت خافت : حالة عجيبة" .١(ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ص ٣٣)

"سألت متجاهلًا :"ماذا كان سر راو"

خجلت، وقالت بعد عدة ساعات : "عندما يكون راو فى الخلوة معي يعتقد فى خياله أنه مع مونا، وعندما يكون مع مونا يتخيل أنه يرانى ـــــ بعدما عرفت هذا أدركت أن وجود مونا ضروري جدًا، وبدأت أسعى فى البحث عن مونا"٢(ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ص ٣٤)

كذلك فإن الصراع النفسي يتزايد عندما تتعارض رغبات الفرد مع قيود المجتمع، وتتعارض حقوقه مع واجباته، أو عندما تتجاذب الفرد قوى متعارضة متساوية؛ فـ "رحيل راؤ" يعرف أن حبه لسيدتين في وقت واحد هو أمر ترفضه المجتمعات والأعراف ويكمن هذا الرفض في الأنا الأعلى، مما يسبب له التوتر والضيق، والخوف في نفس الوقت من تعرضه للعقاب والأذى النفسي، خاصة عندما تعلم كل منهما بوجود الأخرى، فتشعر أناه بالذنب في بعض الأحيان، ومع ضغط "الهو" ورفض "الأنا الأعلى" يحتد الصراع فيشعر "رحيل راؤ" أنه عرضة لأزمة نفسية، مما يدفعه إلى الذهاب إلى طبيب نفسانى، ويقدم "ممتاز مفتى" إشارات لحالة "رحيل راؤ" في مواضع مختلفة في القصة :

" قال : "دكتور! ، أنا في ضيق شديد، أنقذنى من هذا المأزق، وإلا ـــــ وإلا فأنا لا أعرف ماذا أفعل "

---

١) "عجيب سے كوائف تھے، ڈاكٹر" وہ بولى "سارا دن راؤ مجھے آنكھوں پر بٹھائے رہتے۔ میرى ہر حركت پر یوں حیرت سے میرى طرف دیكھتے جیسے مجھ میں كوئى نیا گُن دریافت كیا ہو۔ اكثر مجھ سے كہتے: امنا، یہ پوز جو تم نے ابھى ابھى بنایا تھا، پھر بناؤ نا" وہ مسكرائى ۔ كچھ دیر كے لیے رُكى ۔ اس كى آنكھوں میں تارے پھوٹ رہے تھے۔ پھر وہ بولى "جب وہ میرى ساتھ تخلیے میں ہوتے تو رنگ ہى بدل جاتا۔ وہ كھو جاتے۔ حتى كہ انھیں شعور ہى نہ رہتا كہ وہ میرے پاس ہیں ۔ اس قدر بیگانہ ہوجاتے جیسے جیسے" ـــــ اس كى آواز بھرا گئى ۔
"عجیب سا كیس ہے!

٢) "راؤ كا كیا بھید تھا؟" میں نے انجان بن كر پوچھا۔
وہ جھینپ گئى ۔ چند ایک ساعت بعد بولى "جب راؤ تخلیے میں پاس ہوتے تو وہ تخیل میں سمجھتے كہ مونا كے پاس ہیں ۔ جب مونا كے پاس ہوتے تو تخیل میں مجھے دیكھتے ـــــ یہ جان كر میں نے سمجھا كہ مونا كا ہونا سخت ضرورى ہے۔ میں نے مونا كو ڈھونڈنے كى كوشش شروع كى ۔ "

فسألت : " ما الحالة ؟"

" قل لي أولًا، ما رأيك في الحب؟"

بعد سماع اسم الحب زال توتري، فالحب ليس مشكلة كبيرة، في الغرب مفهوم الحب هو اللقاء الجنسى، أو الهوس بالاهتمام، وهذا كل شيء.

قلت: " أنا لا أفهم ماذا تعنى ؟ "

" أعنى، هل تعتقد أن الحب هو عاطفة صحية أم مرض؟ "

" لا أستطيع أن أقول شيئًا طالما أنك لم توضح الحالة "

قال : "دكتور، مشكلتي ليست بالحب، فنحن البشر لا نعتقد أن الحب مشكلة، مشكلتي هى أنني أحب فتاتين في نفس الوقت"

زالت أهمية الحالة فى نفسي، ففي الغرب هناك أربعة أمور تجرى في نفس الوقت، ولا توجد مشكلة، ثم فجأة فكرت أن ربما يكون الإحساس بالذنب قد أحدث بداخله قلقًا واضطرابًا، ففي الشرق يعتبر الوقوع في حب فتاة واحدة عملاً يستحق الثناء،

لكن حب فتاتين في نفس الوقت أمر مثير للاشمئزاز".١(ممتاز مفتى، ١٩٩٣ : ص ٢٧)

---

١) وہ بولا "ڈاکٹر، میں سخت ڈسٹرس میں ہوں ۔ مجھے اس مشکل سے نجات دلائیے۔ ورنہ ـــــــ ورنہ پتا نہیں کیا کر بیٹھوں ۔"
"کیس کیا ہے؟" میں نے پوچھا۔
"پہلے مجھے یہ بتائیے کہ محبت کے متعلق آپ کی کیا رائے ہے؟"
محبت کا نام سن کر میرا ذہنی تناؤ ختم ہوگیا۔ محبت تو کوئی بڑی مشکل نہیں ۔ مغرب میں محبت کا مفہوم جنسی ملاپ ہوتا ہے، یا توجہ طلبی کا جنون، اور بس ۔
"میں آپ کا مطلب نہیں سمجھا" میں نے کہا۔
"میرا مطلب ہے، کیا آپ محبت کو صحت مند جذبہ سمجھتے ہیں یا بیماری؟"
"کچھ کہ نہیں سکتا، جب تک آپ کوائف بیان نہ کریں ۔"
"ڈاکٹر صاحب، میری پرابلم محبت نہیں" وہ بولا "محبت کو ہم لوگ پرابلم نہیں سمجھتے۔ میری مشکل یہ ہے کہ مجھے بیک وقت دو لڑکیوں سے محبت ہے۔"
میرے دل میں کیس کی رہی سہی اہمیت بھی ختم ہوگئی ۔ مغرب میں تو بیک وقت چار چار افیئرز چلتے ہیں ۔ کوئی مشکل پیدا نہیں ہوتی ۔ پھر دفعتہً مجھے خیال آیا کہ شاید آف گلِٹ نے گڑ بڑ کر رکھی ہو۔ مشرق میں ایک لڑکی سے محبت کرنا قابلِ تحسین فعل سمجھا جاتا ہے، لیکن بیک وقت دو لڑکیوں سے محبت کرنا قابلِ نفرین بات"

" سألت :"نعم، ما هو رد فعلهما تجاهك؟"

قال: "إيجابي يا دكتور، كلتاهما متاحتان لي"

سألت : " حسنًا! كيف ؟ "

قال : " إحداهما زوجتى والأخرى سكرتيرتى"

"أوه! إذن يجب ألا تكون هناك مشكلة"

قال : " بلى، يا دكتور! بلى "

" يمكن أن يكون الإحساس بالذنب "

"هو كذلك أيضًا، يا دكتور! أخشى دائمًا ألا تعرفان حالتي الذهنية، إذا حدث ذلك، فسيكون الأمر صعبًا، كلتاهما فتاتان مستقلتان"١(ممتاز مفتى، ١٩٩٣: سابق ، ص٢٨)

ويؤكد "ممتاز مفتى" على ازدواجية شخصية "راؤ"، وكأن عقله ومشاعره قد انشطرت نصفين، وكل نصف في صراع مع الآخر، ولكن لأنهما متساويان في القوة، فلا يستطيع أن يعيش إحداهما دون الآخر، وكأن هذا التناقض جاء تكامليًا، حيث يوجب النقيض نقيضه، فلا غنى عنه ولكن يكمل كل منهما الآخر، لذا كان الحل الوحيد أمام "امنا" كى تسترد حب "راؤ" واهتمامه أن تأتى بالنصف الآخر الذي يكملها عند "راؤ" وهى "مونا"؛ لأنه إذا ضاعت "مونا" ضاعت "امنا" في قلب "راؤ"، كما يتضح ذلك من رأى الطبيب :

---

١) "ہوں ــــ ان دونوں کا آپ کی طرف ردِ عمل کیا ہے؟" میں نے پوچھا۔
"پازٹیو، ڈاکٹر" وہ بولا "دونوں ہی مجھے میسّر ہیں -"
"اچھا! وہ کیسے؟" میں نے پوچھا۔
"ایک میری بیوی ہے" وہ بولا " دوسری میری سیکرٹری ہے-"
"اوہ! پھر تو کوئی پرابلم نہیں ہونی چاہیے-"
"ہے، ڈاکٹر، ہے" وہ بولا "ہے-"
"سنس آف گلٹ ہی ہوسکتی ہے-"
"وہ بھی ہے، ڈاکٹر۔ مجھے ہر وقت ڈر لگا رہتا ہے کہ انہیں میری ذہنی کیفیت کا علم نہ ہو جائے۔ اگر ہوگیا تو مشکل پڑ جائے گی ۔ دونوں ہی خود دار لڑکیاں ہیں -"

" ناشدتنى بطريقة مفعمة بالحسرة :" ألا تستطيع أن تفعل شيئا ؟"

أجبت :" أنا! لا، أنت تستطيعين "

نظرت لى فى دهشة : " أنا ؟ "

" نعم ، أنت " أجبت :" هل تستطيعين أن تبحثى عن سكرتيرة جديدة لراو ؟ "

كررت : " سكرتيرة جديدة ؟ "

قلت: "تلك التى تتوق للخلوة "

"فتاة من نفس المنزل في غولبرغ حيث وجدتِ مونا، هذه هى الطريقة الوحيدة للحصول على اهتمام راو "

صرخت : "أى مونا ؟"

نظرت ناحيتها : " نعم ، أى مونا ". ١(ممتاز مفتى، ١٩٩٣: ص ٣٥)

وتنتقل الدراسة إلى صراع من نوع آخر في قصة "سبزوادى كاخواب ـ حلم الوادى الأخضر" لـ "ولى محمد چودهرى" :

٢. الصراع وميكانزم الدفاع النفسي " الإزاحة" :

تحوى قصة "سبزوادى كاخواب ـ حلم الوادى الأخضر" أربعة أشخاص، يظهر كل منهم كراوٍ لقصة ما، ومن خلال وصف الكاتب لهم يتضح أن كل شخصية منهم في حد ذاتها تمثل صورة لعصر وفكر وزمان مختلف .

---

١) "کیا آپ کچھ نہیں کر سکتے؟" اس نے حسرت بھرے انداز میں مجھ سے اپیل کی ۔
"میں نہیں، آپ کر سکتی ہیں" میں نے جواب دیا۔
"میں؟" اس نے حیرت سے میری طرف دیکھا۔
"ہاں، آپ" میں نے جواب دیا" راؤ کے لیے آپ ایک نئی سیکرٹری نہیں ڈھونڈ سکتیں کیا؟"
"نئی سیکرٹری؟" اس نے دُہرایا۔
"جو تخلیے کی شوقین ہو" میں نے کہا "گلبرگ کے اسی گھر کی کوئی لڑکی جہاں مونا ملی تھی ۔ راؤ کی توجہ حاصل کرنے کے لیے یہی ایک طریقے ہے۔"
"کوئی ایک مونا؟" وہ چیخی ۔
میں نے اس کی طرف دیکھا "ہاں، کوئی ایک مونا۔"

كان الراوى الرابع هو آخر شخص انضم إليهم، وكان كل منهم قد خرج في أحد الأيام باحثًا عن واد أخضر، فوصلوا إلى الكهف السفلي للجبل، ومكثوا فيه، وأشعلوا نيرانهم .

كل منهم أخذ يحكى قصته، وجاء إليهم الرابع ليقص لهم حكاية شاب هو موضوع القصة، وهو شاب لديه عزيمة ورغبة وحماس لأن يبنى عالمًا جديدًا في خياله وأحلامه ، كان مفعمًا بالعزيمة والإرادة التى لا تفتر أبدًا ولا تعرف هزيمة، فبعد أن حصل على شهادة التخرج سارع إلى ميدان العمل كى يحقق أهدافه، واجه كثيرًا من الصدمات، فعندما دخل ميدان العمل بدأت أحلامه تتلاشى، والصورة التى رسمها لعالمه في خياله بدأت تتشوش، لكنه كان يسقط وينهض ويتماسك ولا يتوقف أبدًا، فكلما أُغلق باب في وجهه فتح بابًا آخر للسعي والجهد، وكأنه مجاهد خرج للجهاد في الحياة، فبعد أن فشل في العمل بشهادته العلمية دخل ميدان التجارة، وقابل تجارًا من هؤلاء الذين يعتبرون ميراثهم في الدنيا هو المال والتجارة فقط ، ولا يرغبون في أى تاجر جديد يقتحم ميدانهم ، ويريدون في تجارتهم العطاء القليل والأخذ الكثير، ففي البداية كانوا يعطونه البضاعة بسعر قليل لكن بعدما رأوه يتقدم بخطوات سريعة في ميدان التجارة عمدوا أن يذكروه بإحسانهم عليه في أوقاته السيئة وأرادوا أن يأخذوا ثمن إحسانهم بأن يبيع لهم بسعر قليل، واستمروا في استغلاله وأساءوا معاملتهم له على الرغم من أنه كان ممتنًا لهم ومستعدًا لأن يضحى بروحه من أجلهم لو اقتضى الأمر، وقد ولد هذا الأمر بداخله صراعًا نفسيًا عميقًا، فكان دائمًا يفكر في أنه لديه استعداد دائم بأن يضحى بروحه من أجلهم، فلماذا يرغبون هم في أن يضغطوا عليه ويعذبونه نفسيًا، ويلعب هذا الصراع دورًا هامًا في القصة ويحرك أحداثها حتى نهاية القصة .

أصبحت تجارة الشاب في قمة أوجهها، والتحقت فتاة سمراء جميلة بوظيفة في مكتبه، وارتقت في وظيفتها مع رقي تجارته، وصار الشاب يضغط عليها بإحسانه إليها وعطفه عليها، وتولد بداخلها أيضًا نفس الصراع الذي تولد في نفس الشاب والذي كان ناتجًا عن سلوك التجار معه، فجعل الفتاة تشعر بنفس المعاناة التى شعر هو بها، حتى تصل هذه المعاناة إلى ذروتها بإصابتها بصراع نفسي شديد بسبب إظهار وإعلان

الشاب لعطفه وإحسانه عليها ليلًا ونهارًا، لدرجة أنها صارت ترغب في التحرر من هذا القيد النفسي بأى شكل، فلم لا تضطر أن تضحى بأى شئ مهما كان عزيزًا وغاليًا في سبيل التحرر من هذا الألم النفسي، فاستعانت بجسدها وعرضت نفسها عليه، لكنه رفضها فاضطربت وصفعت الشاب وتركته وذهبت، وبعد مغادرتها له كره الشاب تصرفه معها وسلوكه الذي سلكه معها بشكل لا شعورى، وإذا بالراوى الرابع يصرخ معربًا عن حبه لها وأنه يريدها، ويريد كل شئ فيها، فيعرف القارئ أن الراوى الرابع الذي خرج باحثًا عن وادٍ أخضر هو نفسه الشاب الذي تعلق قلبه بالفتاة لكنه خسرها إزاء تصرفه معها.

وتشتمل القصة هنا على أبعاد نفسية متعددة، وتتمثل تلك الأبعاد في قضية الصراع مع الآخر، أى صراع البطل "الشاب" مع الآخر المتمثل في التجار، إلا أنه صراع غير متكافئ نفسيًا، لأن الذات / البطل مقهورة ، ولأن الآخر / التجار قاهرة ، فالصراع النفسي هنا نشأ عن تضافر عدة أسباب نشبت من تعارض الأدوار التى قام بها البطل في حياته ، ثم نتيجة الإحباطات الناجمة عن الإخفاق في تحقيق رغباته وأهدافه، كذلك من الفجوة بين الواقع والطموح، فكان عليه أن يحصل على الشهادة ويعمل ويجد حتى يسعد والديه ويحقق ذاته، ثم واجه الفشل والإحباط في ميدان العمل ورأى التعاسة على وجه والديه فأدرك تلك الفجوة بين طموحه وما يتمناه وبين الواقع البائس، كما يتضح فيما يلي :

" ذلك الشاب بعدما تخرج وحصل على شهادته من الكلية كان يريد أن يفعل شيئا ـــــ كان يرغب فى أن يكتب اسمه عاليًا علو السموات ـــــ كان لديه عزيمة وهمة عالية مثل جبال الهيمالايا ـــــ لديه الرغبة في تحقيق كل أحلام الوالدين دفعة واحدة ـــــ بحصوله على شهادته العليا كان يشعر كأنه يطير فى السماء.

بمجرد أن وطئ بقدميه ميدان العمل تبعثرت كل أحلامه، شعر أن ما كان يفكر فيه أثناء حصوله على الشهادة كله خطأ ـــــ كانت التجاعيد المتزايدة على وجه الأب تحطمه من الداخل، أخذ يهرب فى المكاتب، فى المقابلات، فى المسابقات،

الهروب والركض الطويل جعله كهلًا من الرأس حتى القدم ـــــ فى البيت الأم صامتة، والأب ساكت، يرى بوجه مجعد الابن يعود فاشلًا "١(ولى محمد چودهرى، ٢٠٠٥، ص ١٠٣)

كذلك أصبح الصراع عارمًا نتيجة لمعركة داخلية بين الخير والشر أو نتيجة للقيم ومسائل الضمير المتنافسة، ومما زاد من حدة الصراع أنه استغرق وقتًا طويلًا في نفسه (حامد عبد السلام زهران،١٩٩٧: ص ٣٩) وتجلى ذلك في صراعه مع التجار، فالتاجر أولًا وأخيرًا ـ كما صوره الكاتب ـ لا يوجد في قاموسه كلمة العطاء، فلا يفعل سوى الشئ الذي يفيده فقط ويحقق مصلحته الشخصية، فليس له أى علاقة بالقيم الأخلاقية، بينما الشاب قد ربط نفسه بعدة قيم أخلاقية كالتضحية والإيثار والعرفان بالجميل، لكن في التجارة لا وجود ولا ذكر لهذه القيم، كما يتضح في القصة؛ حيث يقول الراوى :

"دخل الشاب عالم التجارة بحماسة وشجاعة بالغة، وشرع يبيع خيوط الحرير لأصحاب المتاجر بربح قليل، شيئا فشيئا ثبتت أقدامه، وتعاون معه أصحاب المتاجر فى السوق بطريقة جعلت قلبه وعقله الحساس ممنونًا بلا حدود لأصحاب المتاجر، وكان يشعر بأنه يريد أن يعطى هؤلاء الناس حتى دمه" ٢(ولى محمد چودهرى، ٢٠٠٥، ص١٠٤)

"فى هذاالوقت لم يثبت ذلك الشاب أقدامه فى السوق بشكل كامل، وشعر أن التجار الذين كانوا يحبونه ويتعاملون معه بإخلاص الآن بدأت نظراتهم تتغير، وقل

---

١)"وہ نوجوان جب کالج سے اپنی ڈگری لے کر نکلا تو کچھ کر گزرنے کی امنگ ـــــــ آسمانوں کی بلندی پر اپنا نام لکھ دینے کی خواہش ـــــــ عزم وحوصلہ ہمالہ کی طرح ٹھوس ـــــــ ماں باپ کے سارے سپنے ایک ہی جَست میں ساکار کر دینے کی چاہت ـــــــــ اوپر سے ڈگری کا سہارا۔ وہ جیسے آسمانوں میں اُڑ رہا تھا۔

عمل کی دنیا میں قدم رکھتے ہی اُس کے سارے خواب بکھر گئے۔ اُسے لگا کہ وہ جو کچھ ڈگری لیتے وقت سوچ رہا تھا۔ وہ سب غلط تھا ـــــــ باپ کے چہرے پر بڑھتی ہوئی جُھرّیاں اس کے اندروں کو توڑتی رہیں ۔ وہ بھاگتا رہا۔ دفتروں میں، انٹرویوز میں، کمپٹیشن میں ۔ ایک طویل بھاگ دوڑنے اس کو سر سے پیر تک اُدھیڑ دیا ـــــــ گھر میں ماں خاموش، باپ چُپ چاپ، جُھرّیوں زدہ چہرے سے بیٹے کو ناکام لوٹتے دیکھتا رہا۔"

٢) نوجوان بڑے جوش اور حوصلے کے ساتھ کاروباری دنیا میں داخل ہوگیا۔ بہت تھوڑے منافع پر اس نے دوکانداروں کو ریشم کے دھاگے فروخت کرنا شروع کر دیے۔ آہستہ آہستہ اس کے قدم جمتے گئے۔ بازار میں دوکانداروں نے جس طرح سے اس کے ساتھ تعاون کیا تھا، اس کا دل اور حسّاس دماغ ان دوکان داروں کے تئیں بے انتہا احسان مند تھا اور وہ ان لوگوں کو اپنا خون تک دے دینے کا جذبہ رکھتا تھا۔"

معدل بيعهم، فصار قلقًا، وفى النهاية سأل أحد التجار السنديين : ما السبب فى أن هؤلاء الناس لا يأخذون بضاعتى ولا يقدمون على بتلك المحبة والإخلاص ؟ ـــــ على الرغم أننى ممنون بشدة لهؤلاء الناس وأستطيع أن أضحى بحياتى من أجلهم .

أخبره السندى فى كلمات واضحة ومختصرة؛ إننا لا نرغب فى الروح ولا الشعور بالمحبة ولا التضحية ولا الإيثار، نريد فقط أقل سعر، نحن ندعم كل قادم جديد حتى يعطينا البضاعة بأقل سعر ـــــ وهكذا لا تقتلعوا ريش الناس وإذا اقتلعتوه تسقطوا على الفور ـــــ بعد سماع لهجة السندى القاسية شعر الشاب كأنه يسقط من السماء، لم يكن هناك أى تقدير لمشاعره، تحمل ونهض من متجر السندى، وبعدها سلك معه التجار الماروايون والبوهريون أيضًا نفس السلوك الذى سلكه السندى ..... أصيب الشاب بألم نفسي شديد بسبب سلوك التجار معه " .١((ولى محمد چودهرى، ٢٠٠٥، : ص ١٠٤ ، .١٠٥)

"كان أصحاب المتاجر القدامى يذكرونه بإحسانهم إليه فى وقت الضيق، ويأخذون البضاعة بأقل سعر ويقذفونه بالإهانات والصدمات النفسية، وهو يفكر فى أنه يريد أن يعطى هؤلاء الناس حتى روحه، فلماذا إذن يذكرونه بإحسانهم إليه مرارًا وتكرارًا".٢((ولى محمد چودهرى، ٢٠٠٥، : ص ١٠٥)

---

١)ابھی وہ نوجوان مارکیٹ میں پوری طرح قدم جما بھی نہ پایا تھا کہ اس نے محسوس کیا کہ جو دوکان دار اس سے بہت محبت کرتے اور خلوص سے پیش آتے تھے، اب ان کی نظریں بدلنے لگی ہیں ۔ اس کے مال کا اٹھان کم ہوگیا ہے۔ وہ پریشان ہو اٹھا۔ آخر اس نے اپنے ایک سندھی بیوپاری سے پوچھا کہ کیا وجہ ہے؟ آپ لوگ میرا مال نہیں لیتے اور نہ ہی اس محبت اور خلوص سے پیش آتے ہیں ـــــــ حالانکہ میں تو آپ لوگوں کے احسانات کا بہت ممنون ہوں اور اس کے بدلے میں اپنی جان تک قربان کر سکتا ہوں ۔

سندھی نے بہت ہی صاف اور مختصر الفاظ میں اُسے بتایا کہ ـــــــ ہمیں نہ جان چاہیے اور نہ جذبہء محبّت نہ قربانی نہ ایثار۔ ہمیں صرف کم سے کم ریٹ چاہئیں ۔ ہم ہر نئے آنے والے کو اسی طرح تعاون دیتے ہیں، تاکہ وہ ہمیں کم سے کم دام پر مال دے ـــــــ اس طرح تم لوگوں کے پَر نہیں نکلتے ہیں اور اگر نکل بھی آتے ہیں تو فورًا ہی جَھڑ جاتے ہیں ۔ ـــــــ سندھی کی اس اُکھڑی ہوئی زبان کو سُن کر نوجوان جیسے آسمان سے گر پڑا۔ اس کے جذبے کی کوئی قدر نہ تھی ۔ وہ بہت دل برداشتہ ہوا اور سندھی کی دوکان سے اٹھ کر پارسی بابا کی دکان پر گیا۔ پارسی کی زبان سندھی سے بھی زیادہ کڑوی تھی ۔ اس کے بعد ماروآڑی اور بوہرے دوکانداروں نے بھی اس کے ساتھ ویسا ہی سلوک کیا تھا جیسا کہ سندھی نے..... دکانداروں کے رویّے سے نوجوان کو زبردست ذہنی تکلیف پہچی"

٢) پرانے دوکاندار اس کو بُرے وقت میں کیے ہوئے احسانوں کی یاد دلا کر ذہنی کچوکے لگاتے اور کم سے کم داموں میں مال لیتے۔ وہ سوچتا کہ وہ تو اِن لوگوں کو اپنی جان تک دے دینے کا جذبہ رکھتا ہے، پھر یہ لوگ بار بار اپنے احسانات کیوں یاد دلاتے ہیں ۔"

فالقارئ يجد نفسه منذ أن بدأ الراوى الرابع يحكى أمام صراع داخلى مرير بين "أنا " تبحث عن عالم جديد رسمته في خيالها، وصار حقيقة وواقعًا، وهى تريد هذا العالم الذي حققته بعد جهد وسعى، وبين "أنا" تريد أن تهرب من هذا العالم الجديد وتحس تجاهه بالمسؤلية، فهى ترغب أن توجهه وتعمل على تغيير ما تراه غير مناسب من قيمه، وبما أن الأنا / الشاب لا يستطيع تغيير الواقع الخارجى، فلم يبق أمامه إلا وضع مصفاة بين "الأنا" وهذا الواقع، لكى يجعله مقبولًا من "الأنا"، وتمثل هذه المصفاة "**الآليات الدفاعية**" التى تلجأ إليها الأنا للتغلب على هذا الصراع وحله، والتنفيس عما بداخلها .

وهو ما يطلق عليه أساليب التوافق، لأن الأنا هى أحد المكونات التى تستخدم تلك الحيل الدفاعية، وذلك لحدوث التوافق بين الأنا والمجتمع من حوله الذي يعيش فيه في صراع دائم بين طموحاته ومتطلباته وأخلاقه ومبادئه وبين المؤثرات المحيطة . (مجدى الدسوقي، ٢٠١٣ : ص٧)

وتعرف "**آليات الدفاع النفسي**" بأنها وسائل وأساليب لا شعورية من جانب الفرد، من وظيفتها تشويه ومسخ الحقيقة حتى يتخلص الفرد من التوتر والقلق الناتج عن الإحباطات والصراعات التى لم تحل، والتى تهدد أمنه النفسي، وهدفها وقاية الذات والدفاع عنها والاحتفاظ بالثقة في النفس واحترام الذات، وتحقيق الراحة النفسية . (حامد عبدالسلام زهران، ١٩٩٧ : ص ٤١)

وتعرف أيضًا الآليات الدفاعية أو ميكانزمات الدفاع بأنها : "مجموعة من الأساليب السلوكية التى تلجأ اليها الأنا، لكى تحصل على حاجة وجد ما يعيقها، أو تبعد عن نفسها خطرًا واقعًا، أو تتحاشى خطرًا متوقعًا، ومن الملاحظ أن هذه الميكانزمات عامة من الممكن أن توجد لدى الأسوياء، كما أنها تتصف بالشدة والتطرف لدى المرضى، وترتبط باللاشعور ارتباطًا قويًا، ولكن بعضها شعورى ". (ماجدة عبيد ، ٢٠٠٨ : ص٢١)

وتتعدد أنواع ميكانزمات الدفاع •، وتعد من أهم إسهامات نظرية التحليل النفسي التى تسعى لتفسير ردود أفعال الأفراد نحو المواقف والأعراض النفسية التي يشعرون بها، وهكذا في قصة "سبزوادى كاخواب ـ حلم الوادى الأخضر" لجأ الشاب إلى ميكانزمات الدفاع بشكل تلقائي غير مقصود، للتغلب على القلق المنبعث لديه من ضغوط العالم الخارجى الواقعي / التجار وتهديداتهم، إما بتحويل الهدف الداخلى أو الخارجى الأصلي الباعث على الشعور العميق بالتهديد والقلق، وإما بالتحول عنه إلى هدف آخر بديل ومقبول اجتماعيًا، وكان هذا الهدف الآخر هو الفتاة التى منحها وظيفة عنده، ولم يلبث أن يذكرها بإحسانه عليها ويضغط عليها حتى وقعت هى أيضًا فريسة للصراع النفسي، ويقول الكاتب موضحًا ذلك :

" أصبح الشاب عطوفًا على هذه الفتاة السمراء طويلة القد، صارت الفتاة مضغوطة إثر أفضاله ـــــ أحيانا كان ينظر إلى وجه الفتاة ويعدد أفضاله، فيحمر وجه الفتاة وتنكسر عيناها ـــــ وتفكر أن أفضاله عليها كثيرة جدًا، فماذا تعطى مقابل تلك الأفضال حتى يقل حملهم بعض الشئ وتشعر أنها خفيفة الحمل .

كان الوقت يمر لطيفًا على الشاب وعلى الفتاة السمراء الطويلة ـــــ صارت الفتاة أيضًا صاحبة بيت صغير وسيارة، ويظل الشاب يذكرها بإحسانه، وتظل الفتاة تتألم من الداخل، كانت ترغب في الخلاص من هذا الأذى النفسى بأى شكل، كانت الفتاة ترغب أن تتصدق بكل شئ تملكه وتخفف من عبء إحسانه، حتى يستطيع عقلها التحرر من أسر هذا الشاب ".١(ولى محمد چودهرى، ٢٠٠٥، : ص ١٠٦)

• (من أبرز الأليات أو الميكانزمات الدفاعية : " الكبت "، " الإسقاط "، " الإزاحة أو الإبدال "، " النكوص" ، " الإنسحاب " ، " التكوين العكسي " ، " التعويض " ، "التقمص" ، "الإنكار" ، " التسامى "، " التبرير") للاستزادة أنظر:

Vailiant: mechhanismrole in pensive psychology, Amircan Psychologist, 2000, p. 89 - 98

١) " نوجوان کا ریشم کے دھاگوں کا کاروبار ملک کی سَرحدیں پار کر گیا تھا۔ باہر کے ملکوں میں اس کی مانگ بڑھنے لگی ۔

نوجوان اس سانولی سلونی دراز قد لڑکی پر مہربان ہوگیا۔ لڑکی اس کے احسانات کے نیچے دبتی چلی گئی ـــــــــ کبھی کبھی وہ اپنے احسانات گنا کر لڑکی کے چہرے کی طرف دیکھتا، لڑکی کا چہرہ سُرخ ہو جاتا اور آنکھیں نیچے جھک جاتیں ـــــــــ وہ سوچتی کہ اس کے احسانات بہت ہیں ۔ وہ ان احسانات کے بدلے میں کیا دے کہ ان کا بوجھ کچھ کم ہو جائے اور وہ اپنے آپ کو کچھ ہلکا محسوس کرے۔

ويعرف هذا الميكانزم من ميكانزمات الدفاع **بـ"الإزاحة"** أو "الإبدال Displacement"، "وهو ميكانزم دفاعي يتم خلاله نقل المشاعر السلبية من المصدر الأصلى للانفعال إلى شخص أو كائن أقل تهديدًا، ويتم إعادة توجيه المشاعر السلبية الناتجة عن مصدر الانفعال نحو بديل أكثر ضعفًا" -Eric Berne A Layman (1976 – p) 399

، فعندما عجز الشاب عن مواجهة المصدر الأصلى للإحباط متمثل في التجار، وجه عدوانه وغضبه نحو مصدر فرعي يتسم بالضعف وهو الفتاة التى جعلها تشعر بنفس المعاناة، وكأن الشخص الذي يمر بطرق متعثرة مملوءة بالصعاب في سعيه، ويتعرض لمزيد من الصراعات والصدمات يصاب بالحمى في أتون الظروف الصعبة، فلا تهدأ مشاعره ولا تستكن إلا إذا رأى الآخرين يمرون بنفس الصعاب ويحتقنون بنفس الأتون، ففي الوقت الذي تأذت فيه مشاعر الشاب عندما سخر التجار من إخلاصه، اليوم بشكل لا شعورى يسلك نفس السلوك مع الفتاة، كى ينفث عما بداخله، وهنا تقدم القصة صورة واضحة للنفس الإنسانية وما يدور بداخلها من صراعات، وما يصدر عنها من متناقضات .

لكن الفرد أحيانًا يستخدم آليات الدفاع النفسي بأساليب خاطئة، فلا تفيد في حل الصراع، ولا تحقق الراحة النفسية، " فقد تكون غير تكيفية إذا اعتمد عليها الفرد بشكل مفرط، مما يؤدى في النهاية إلى تشويه الواقع وعدم التكيف معه، وربما يؤدى بالإنسان إلى الوقوع فريسة للاضطرابات النفسية" (-Cramer : 2000 . pp 637 646)، مثلما حدث مع بطل القصة، ذلك الشاب الذي أصيب بالاضطراب النفسي الشديد وشعر بالذنب تجاه الفتاة، مما اضطره في النهاية بعد كل النجاح الذي حققه أن يتركه ويذهب بحثًا عن الراحة والسكون في الوادى الأخضر، وكأن حلم الوادى الأخضر هنا هو حلم الشاب بالحصول على الراحة والسكينة والطمأنينة والسعادة، لكنه

وقت نوجوان پر مہربان تھا اور سانولی دراز قد لڑکی پر ـــــــ لڑکی بھی کار اور بنگلے کی مالک بن گئی ۔ نوجوان اس کو اپنے احسانات یاد دلاتا رہا، لڑکی اندر ہی اندر کھَول کر رہ جاتی ۔ وہ ہر صورت میں اپنی اس ذہنی اذیّت سے نجات حاصل کرنا چاہتی تھی ۔ لڑکی اپنا سب کچھ نچھاور کر کے اس کے احسانات کا بوجھ کم کر دینا چاہتی تھی، تاکہ اُس کا ذہن نوجوان کی گرفت سے آزاد ہو سکے۔"

ظل متحسرًا ونادمًا، ولم يهنأ بالراحة واطمئنان القلب، بل ظل أسيرًا للاضطراب والتعب النفسي؛ مثلما يتضح في نهاية القصة :

" ثم خرجتُ مع هذا الشاب، وسألته: لماذا سلكت مثل هذا السلوك مع هذه الفتاة؟ لماذا اضطررتها أن تصفعك؟ ربما أنك كنت تعتقد أن السلوك الذى كنت تسلكه معها هى غافلة عنه، وأنها لم يكن لديها إحساس بإحسانك إليها، لقد أخطأت الفهم تمامًا، حاولتَ دائما أن تؤثر على هذه الفتاة، ولم تتودد إليها، ولكى تؤثر عليها ظللت تضغط عليها بإحسانك إليها، وظل ضمير هذه الفتاة يؤنبها، وعندما لم تجد أى سبيل رغبت فى أن تعطيك جسدها ـــــ ليتك سعيت فى حبها.

كأن الشاب استيقظ من نوم عميق، صرخ .. لا .. لا .. ليس هكذا ـــــ ربما أننى قد نسيت، وبشكل غير شعورى سلكت معها ذلك السلوك الذى حدث معى، الصدمات النفسية التى لحقت بي قد ألحقتها بها بشكل غير شعورى، لكن الآن أشعر أننى أريد تلك الفتاة، أريد جسدها، أريد القرب منها، أريد كل شئ فيها".١(ولى محمد چودهرى، ٢٠٠٥، : ص ١٠٧ ، ١٠٨)

ومن خلال ما سبق يكون القارئ/الباحث قد تناول في هذا الجزء من البحث بعض النصوص القصصية الت تضمنت صراعًا نفسيًا خفيًا، إما مع الذات نفسها أو مع العالم الخارجى، ويتجلى ذلك الصراع عبر الرموز والأدوات الخاصة التى يبتدعها الأديب وتمور بالمتناقضات ومكنونات اللاشعور فأمكن قراءتها وفقًا لآليات منهج

---

١) " تب میں اس نوجوان کے بالکل برابر سے باہر نکلا ۔ اور میں نے اس سے پوچھا کہ تم نے اس لڑکی کے ساتھ ایسا سلوک کیوں کیا؟ اس کو تھپڑ مارنے پر مجبور کیوں کیا؟ شاید تم یہ سمجھنے تھے کہ تم جو سلوک اس کے ساتھ کرتے تھے، وہ اُس سے بے خبر تھی اُسے تمہارے احسانات کا احساس نہیں تھا۔ تم بالکل غلط سمجھتے تھے۔ تم نے اس لڑکی کو ہمیشہ متاثر کرنے کی کوشش کی، مانوس کرنے کی نہیں ۔ متاثر کرنے کے لیے تم اس کو اپنے احسانات میں دباتے رہے اور اس لڑکی کا ضمیر اس پر لعنت ملامت کرتا رہا۔ جب کوئی راستہ اس کو نہ ملا تو اس نے اپنا جسم تمہارے حوالے کرنا چاہا ـــــ کاش تم نے اس کو مانوس کرنے کی کوشش کی ہوتی ۔

نوجوان جیسے بہت گہری نیند سے جاگا۔ وہ چیخ پڑا۔ نہیں ۔ نہیں ۔ ایسا نہیں ہے ـــــ میں شاید بھول گیا تھا۔ میں لا شعوری طور پر اس کے ساتھ وہ سلوک کرتا رہا، جو میرے ساتھ ہوتا تھا۔ مجھے جو ذہنی جھٹکے پہنچائے جاتے تھے، میں لا شعوری طور پر دہی ذہنی جھٹکے اس لڑکی کو پہنچاتا رہا ہوں ۔ لیکن اب مجھے احساس ہوگیا ہے۔ مجھے وہ لڑکی چاہیے، اس کا جسم چاہیے، اس کی قربت چاہیے، اس کا سب کچھ چاہیے۔"

التحليل النفسي لما تتضمنه من عناصر الصراع النفسي الذي يتخذ من القصة موضوعًا إسقاطيًا له .

رابعًا : المشكلات النفسية

نتيجة ضغوط الحياة تولد العديد من المشكلات النفسية، وتختلف هذه المشكلات باختلاف البيئة والظروف المعيشية، وكذلك المرحلة العمرية التى يعيشها الإنسان، فلكل مرحلة مشاكلها الخاصة التي تميزها وتظهر فيها.

وكما سعت الدراسة إلى تحليل بعض العقد النفسية والصراعات التي انطوت عليها بعض النصوص القصصية، فإنها تسعى أيضًا لدراسة بعض المشكلات النفسية، حيث تحاول الاستناد على منظومة تحليلية تركيبية، تبدو وكأنها إعادة صياغة نفسية للنصوص ، حيث يرى الباحث ـ على حد علمه ـ أن العنصرين السابقين؛ أى العقد والصراعات النفسية قد تؤدى إلى المشكلة نفسية، ولكن المشكلة ليست عقدة وليست صراعًا، وإنما هى قد تكون نتيجة لهما .

عندما لا يكون هناك حل للعقدة أو للصراع، فيصبح لدى الفرد في ذلك الوقت مشكلة نفسية، وقد تكون حالة منفصلة يتعرض لها الفرد لأسباب مختلفة وفي الحالتين تنعكس آثارها على شخصيته وسلوكه وكيانه النفسي، ويمكن تمثيل ذلك في الشكل التالى:

عقدة ⟵ صراع ⟵ مشكلة نفسية.

وتعرف "المشكلة" بأنها صعوبة أو عقبة محسوسة للفرد تحول بينه وبين تحقيق أكبر قدر ممكن من التوافق النفسي والاجتماعي والصحي والمدرسي. (محمد السيد عبدالرحمن ، ١٩٨٩ م : ص ١٥٠)

كما تعرف أيضًا بأنها "الانحراف عن السلوك السوي حسب معايير الجماعة الذي تشكله الفئات ذات العمر الواحد، والتى تنصب آثارها إما إلى داخل الفرد كالانسحاب أو خارجه كإيقاع الأذى بالآخرين " . (جزاء بن عبيد بن جزاء العصيمى ، ١٤٢٩ هـ : ص ١٤٥)

والمشكلات النفسية لها أثرها الأكبر بخاصة في مرحلة الطفولة، التى تعتبر حجر الأساس الأول في بناء وتشكيل الكيان النفسي والذي سيستمر معه تراكميًا، لذا يرى البعض أن المشكلة النفسية هى جميع التصرفات والأفعال غير المرغوبة والتى تصدر عن الطفل بصفة متكررة ولا تتفق مع معايير السلوك السوي المتعارف عليها في البيئة الاجتماعية، مما يؤثر على كفاءة الطفل الاجتماعية والنفسية . (عزة ذكى ، ١٩٨٥ : ص ١٤٩)

كما تعرف أيضًا بأنها "حالة الاختلال الداخلى أو الخارجى التي تترتب على حاجة غير مشبعة أو عائق يحول دون إشباع حاجات الفرد أو هى تلك المواقف أو الأنماط السلوكية التى يعبر عنها الأطفال أو المسئولون عن تنشئتهم والتى يرى الخبراء بها إعاقة لإشباع حاجاتهم " . (جزاء بن عبيد بن جزاء العصيمى، ١٤٢٩هـ : ص ١٤)

نخلص من ذلك أيضًا أن المشكلة النفسية بالنسبة للطفل تعنى التوترات النفسية والمصاعب التى يعانى منها الأطفال من ذواتهم وعلاقاتهم الاجتماعية والأسرية والبيئية.

ومن أبرز القصص الأردية التى اهتمت بمشكلات الطفل النفسية هى قصة "مردم گزيده ـ أهل الشر" لـ "مشتاق مؤمن"، حيث تتناول مشكلة من أبرز المشكلات النفسية التى قد يتعرض لها الطفل وهى :

١ ـ الحرمان البيئى :

تحكى قصة "مردم گزيده ـ أهل الشر" عن بطلها "داكى"، وهو ابن غير شرعي لـ "چندرنا" التى كانت تعيش في إحدى العشش بجبل صغير مع "تمس" الذي أصيب نصف جسده بالشلل، ومع ميلاد "داكى" لفظت أمه أنفاسها الأخيرة، وهذا الأمر أغضب "تمس" بشدة، وكان يرغب في أن يقتله و"تمس" لم يكن حزينًا على موت "چندرنا " لكن حزنه كان بسبب فقده لمصدر كسبه، لأن "چندرنا" هى التى كانت تنفق

عليه، ولكن "كنتى" التى يعدونها أختًا لـ"چندرنا" أفهمته بأن هذا الطفل عندما يكبر سيفيده في أيامه السيئة.

وعندما صار الطفل يزحف ربطت "كنتى" قدمه بحبل وربطت طرف الحبل الآخر في السرير حتى لا يتحرك هنا وهناك، وذات يوم تفاقمت الحروب الطائفية وفُرض حظر التجوال، ولم يكن هناك أحد مع "داكى" يرضعه اللبن، فكان يتلوى من الجوع وانخرط في البكاء، وبالقرب منه كلبة "كنتى" مستلقية ترضع صغارها من أثدائها، فإذا به يقترب منها وتجذبه رائحة اللبن فيرضع هو أيضًا من ثديها، وعندما نظرت إليه الكلبة، رفعت رأسها للسماء وبكت .

وهكذا أمضى "داكى" طفولته وهو يرضع من لبن الكلبة ويلعب مع أبنائها، وعندما أصبح قادرًا على التجول والمشي دفعه "تمس" للتسول، كى يحصل على المال، لكن "داكى" لم يكن لديه أى رغبة في النقود، وفي أوقات كثيرة كان يظل يلعب مع الكلاب وأطفال القرية بدلًا من أن يتسول .

وفي يوم ما كان أحد الكلاب المرافقين لـ "داكى" يعبر الشارع وفي فمه عظمة، وفجأة جاءت أمامه سيارة وصدمته في رأسه صدمة عنيفة، فسقط الكلب، ثم نهض، وظل يحوم ويدور، رأى الناس حالته هذه وشرعوا يضحكون، وأخذوا يضربونه بالحجارة، حتى انهالت عليه الحجارة والطوب كالمطر، وكان "داكى" يجلس على قمة التل ويرى كل هذا، فنظر الكلب الجريح له نظرة واحدة بعيون ملطخة بالدم، فإذا به يشعر بثورة من الغضب تموج به، وثبت كلتا يديه على الأرض، وخرج من فمه صوت زئير حاد، ثم قفز "داكى" على الضاربين مثل الأسد .

فهنا تطرح القصة مشكلة نفسية هامة، وهى "**الحرمان البيئي**" وأثره على الطفل، "والحرمان في اللغة يعنى المنع أو فقدان حق من الحقوق ونقيضه الإعطاء والرزق". (ابن منظور ، ١٩٩١ : ص ١٢٥)

والمقصود بالحرمان هنا "هو الحرمان من الوالدين وما فى ذلك من فقدان الأثر الخاص الذي يستتبعه الرباط العائلى، فالحرمان من الوالدين هو حرمان من سبل

الحياة الأسرية الطبيعية بما ينطوى عليه انقطاع العلاقات والتبادل الوجدانى الدائم بالوالدين " (ايمان القماح ، ١٩٨٣: ص ١٨)، "وهو حرمان الطفل من الأب والأم الطبيعيين قبل أن يوثق بهما علاقة، لما يترتب عليه من انقطاع الإشباع الكمي والكيفي للحاجات النفسية كالحب والعطف البيولوجية إلى غياب الوقت المناسب لتقديم المثيرات المادية والنوعية للطفل والأسلوب اللائق لعملية الإشباع، فلا يتلقى رعاية أمومية وأبوية كافية تسمح له بالتفاعل الحقيقي مع الصور الوالدية بصورة سليمة ". (بدرية محمد العربي ، ١٩٨٨ : ص ١٣)

والطفل المحروم هو كل طفل يُرفض أو يُهمل من قبل والديه أو إحداهما أو من قبل الذين يقومون برعايته سواء كانوا أشخاصًا طبيعيين أو اعتباريين، أو هو ذلك الذي لا يحصل على إشراف وتوجيه أسري مناسب، أو الرعاية التى تتطلبها مرحلة نموه أو الذي يتعرض لإساءة معاملة فى مظاهرها الجسمية والنفسية والاجتماعية أو الطفل غير الشرعي واللقيط كما يدخل مفهوم الطفل المحروم فى جوانب أكثر خصوصية حيث يتصل بقيام الأطفال بعمليات التسول والسمسرة وتجارة السلع والمواد المحرمة كالمخدرات أو بعملهم فى مجالات لا تناسب نموهم وقدراتهم وتحرمهم من الدراسة ومن إشباع حاجاتهم الأخرى . (بدرية محمد العربي، ١٩٨٨ : ص ٤٦)

هكذا تنطبق كل معانى الحرمان على "داكى" فى قصة "مردم گزيده ـ أهل الشر " فهو طفل غير شرعي، فقد الأب والأم معًا منذ ولادته، وتفتحت عيونه على تمس وكنتى اللذين استغلا وجوده واتخذاه وسيلة لكسب المال فدفعاه للتسول، فلم يعرف على يديهما سوى الأنانية والحقارة وحب المصلحة، ولم يحرم "داكى" من الأسرة فحسب، بل حُرم أيضًا من البيئة السليمة التى تتيح له أن يمارس طفولة معتادة كغيره من الأطفال، فيحيا حياته بشكل طبيعي، ويصور الكاتب البيئة المحيطة بـ"داكى" متمثلة في المكان والظروف التى تحيط به منذ ولادته، والشخصيات المحيطة التى أسهمت بقسط وافر في تكوين شخصيته :

" قد انتشرت بعيدًا سلسلة من العشش على شكل ورق التنبول هنا وهناك، والتى في قبضتها أيضًا جبل صغير به كهف يعيش فيه كثير من كل الحيوانات السيئة، كان هناك اختناق غير عادي في كهف هذا الجبل .

إحدى النساء التى لم يتزوجن ولدت طفلًا وماتت بمفردها، لم يدرِ بها الجيران مطلقًا لكن الضجيج بدأ على هذا النحو ؛

أولًا : بكى الطفل الوليد ،

ثم بكت أمه بعده ،

ثم بعدها شرعت كل النساء تبكين وعندما صرخ تمس بقوة نهض أيضًا الناس النائمون الذين ليس لديهم خبر مفزوعين مذعورين .

كان تمس يريد أن يمزق ساقي الطفل ويرميهما، لماذا؟

الأمر واضح تمامًا وهو أن چندرنا ولدت ولدًا، خرج الولد كأنه ثعبان لدغ أمه قبل الجميع، والآن تمس الذي لديه قدمان نحيلتان من سيقتات ويطعمه ؟

ليس هناك ما يخبر كيف كانت چندرنا تحصل على المال .

يهجم تمس على الطفل مرارًا وتدفعه دائى وكنتى مرارًا، فالتقط تمس صندوق چندرنا، وألقاه بالخارج، تحطم الصندوق المتهالك تمامًا، وخرجت كل الأشياء الموجودة به :

أساور بلاستيكية

دمية مطاطية عادية

لؤلؤ أصفر ملفوف بخيط أسود،

زوج من الجوارب المطاطية والجوارب الصوفية،

نظر تمس إلى كل هذه الأشياء مثل المجانين ثم بكى مثل الطفل، وبعدها ضحك ضحكة اخترقت الفضاء مثل الخنجر.

مر عشر أو عشرون يومًا على هذه الحادثة، وتبدل حال تمس بعض الشئ، حتى أنه الآن لم يعد يتعرض لحياة الطفل الوليد، وانتهت الكراهية، وما كان يحدث حتمًا قد قل .

في وقت مبكر من الصباح، كان سكان العشش يخرجون بأكياس من الخيش لالتقاط الزجاجات الفارغة والعلب البلاستيكية والنعال البلاستيكية المكسورة، وكان الأطفال ملوثين بالتراب، ويحدثون ضجيجًا مع صغار الكلاب والقطط والحيوانات السيئة.

تحمل كنتى التى يعتبرونها أختًا لتشندرنا الطفل وترضعه، وتنيمه في قطعة من القماش وتضعه في حجر تمس، ولابد أن تقول قبل أن تذهب:" اعتنى بهذا الطفل البرعم الوليد، سيكون هذا السهم مفيدًا في أيامك السيئة وأنت ملقى كالميت، وتعفن نصف جسدك، ويُفهم أشخاص آخرون أيضًا ذلك لتمس ـــــ وشيئًا فشيئًا استوعبت جمجمته هذا الأمر وهو أنه سيحصل حقًا على كنز في المستقبل، فعامة الناس يعطفون أكثر على الفتيات البالغات والأولاد حديثي السن، أمور لم تقم بها چندرنا:

ـ العناية بطفلها

ـ التريض والتدليك اليومى

ـ الرضاعة في وقتها

ـ الأرجوحة

ـ الفيتامينات

ـ البودرة، لقاح الجدري، ولقاح شلل الأطفال وكل هذه المستحقات التي يحق للأطفال الحصول عليها، صار طفل چندرنا محرومًا منها جميعًا،

ـ الشمس المحرقة

ـ البرد القارس

ـ مطر بومباى

الغبار، الطين والأوساخ، والجراثيم التى تضر بالأطفال، صارت جميعها من نصيب هذا الطفل لكن هكذا أيضًا بدأ يحرك يديه وقدميه حتى أن چندرنا نفسها لو تراه ربما لا تعرفه .

الآن كان قد بدأ يتعلم الزحف، يظل يتجول طوال اليوم هنا وهناك، والشئ الذي يجده يضعه في فمه، والآن أيضًا بدأ يشعر بالجوع أكثر، فى بعض الأحيان يذهب عند تمس لكنه كان يعود بعد أن يزجره ."١(مشتاق مؤمن، ١٩٨٤ : ص٦٤، ٥٦)

---

١) وہاں جہاں پان کی شکل میں جھونپڑیوں کا سلسلہ دور تک پھیلا ہوا ہے اور جس کی گرفت میں ایک چھوٹی سی پہاڑی بھی ہے اور جس کی کھوہ میں بہت سارے بد جانور بسیرا کیے ہوئے ہیں ۔ اسی پہاڑی کی کھوہ میں ایک بے حد معمولی گھٹنا ہوئی ۔

ایک عورت نے جس کی شادی نہیں ہوئی تھی، ایک بچے کو جنم دیا اور خود مر گئی، پڑوسیوں کو اس کی اطلاع ہرگز نہ ہوتی لیکن ہنگامہ اس طرح شروع ہوا کہ پہلے،

نو زائیدہ بچہ رویا،

پھر اس کے بعد اس کی ماں روئی،

پھر دائی روئی اور اس کے بعد بہت ساری عورتوں نے رونا شروع کر دیا اور جب تمس زور سے چیخا تو بے خبر سوئے ہوئے لوگ بھی ہڑ بڑا کر اٹھ بیٹھے۔

تمس بچے کی دونوں ٹانگیں چیر کر پھینک دینا چاہتا تھا۔ کس لیے؟

بات بالکل سیدھی ہے چندرنا نے ایک لڑکے کو جنم دیا، لڑکا ایسا ناگ نکلا کہ سب سے پہلے اپنی ماں کو ہی ڈس لیا اب تمس جس کی دونوں ٹانگیں پتلی پتلی ہیں اس کو کما کر کون کھلائے گا؟ چندرنا کس طرح کماتی تھی اس میں بتانے جیسی کوئی بات نہیں ۔

تمس بار بار بچے پر جھپٹتا اور دائی اور کنتی بار بار اسے دھکیل دیتی تو تمس نے چندرنا کی پیٹی اٹھا کر باہر پھینک دی، ٹوٹی ہوئی پیٹی بالکل ٹوٹ گئی اور ساری کائنات باہر آگئی:

پلاسٹک کے گھنگھنے،

ربڑ کی معمولی سی گڑیا،

کالے دھاگے میں پروئے ہوئے پیلے موتی،

ایک ربڑ کی چُنی اور اون کے ادھورے موزے،

تمس نے ان تمام چیزوں کو پاگلوں کی طرح دیکھا پھر بچے کی طرح رویا اور اس کے بعد اس کا قہقہہ خنجر کی طرح فضا کو چیرتا چلا گیا۔

اس واقعے کو دس بیس دن گزر گئے، تمس کی حالت میں کچھ تبدیلی ہوئی اس حد تک کہ اب وہ چندرنا کے نوزائیدہ بچے کی جان کے درپے نہیں تھا، نفرت ختم تو کیا ہوتی کم ضرور ہوگئی تھی ۔

صبح سویرے جھونپڑوں میں رہنے والے ٹاٹ کی گونیاں لے کر ردّیاں اور خالی بوتلیں، ڈبے، پلاسٹک اور پی ۔ وی ۔ سی کے ٹوٹے ہوئے چپل بٹورنے کے لیے چو طرف نکل جاتے اور بچے گندگی میں لوٹتے، کتے، بلیوں اور بد جانوروں کے بچوں کے ساتھ اودھم مچاتے رہتے۔

چندرنا کی منہ بولی بہن کنتی بچے کو اوپر کا دودھ پلاتی، ایک، پھڑ کے میں اسے لپیٹتی اور تمس کی گود میں ڈال دیتی ۔ ہاں جانے سے پہلے اتنا ضرور کہتی ۔ اس گل گوتھنے بچے کو سنبھال، میت پڑے تیرے بُرے دنوں میں یہی تیر بے کام آئے گا۔ تیرا آدھا جسم تو سڑا ہوا ہے رے۔ دوسرے لوگ بھی

ويتجلى أيضًا في الفقرة السابقة، من خلال وصف الكاتب لحقيبة "چندرنا" وما بها من أشياء، صورة العالم التى كانت تفكر فيه وتتخيله وهى حامل، وكم كانت تتمنى هذا الطفل وتنتظره، وتهتم بجمع الأشياء التى تجذب الأطفال وتعجبهم، فتحطيم هذه الحقيبة وخروج ما فيها وموت چندرنا يلوح للقارئ بأن الأم لو كانت لازالت على قيد الحياة لحظى الابن بقدر من الأمان والسعادة التى حرم منها "داكى" بحرمانه من أمه .

إضافة إلى هذه البيئة المحيطة بكل مؤثراتها السلبية، ظل داكى يعانى من الحرمان والإهمال والتجاهل، ولجأ إلى ثدى الكلبة عله يعوضه عن الحرمان الذي يعيشه، فيجد لديها الطعام، والاهتمام والعطف فتشبع حاجاته الجسمية والنفسية، كما يتضح فيما يلي:

" كانت كنتى عند ذهابها تربط حبلًا في قدميه، وتربط طرفه الآخر في السرير، ويظل الطفل يدور في دائرة مثل عامة البشر ..... وكان الطفل مربوطاً بالحبل، وليس لديه أى وجهة يذهب إليها، كان جائعًا منذ ما يقرب من أربع ساعات، وظل يبكى حتى بُح صوته، وتحت السرير ـــــ كانت كلبة كنتى الأليفة قد صنعت حفرة فى الأرض الرثة وبسطت ساقيها مستلقية على الأرض ـــــ كان اللبن يسيل من ثديها الأحمر المائل للسواد، وكانت الحلمات الوردية في أفواه بعض صغارها والكلاب

تمس کو سمجھاتے ـــــ اور آہستہ آہستہ یہ بات تمس کی کھوپڑی میں سما گئی کہ واقعی مستقبل میں اسے ایک خزانہ ملنے والا ہے۔ لوگ باگ جوان لڑکیوں اور کم سن لڑکوں پر کچھ زیادہ ہی نظر کرم کرتے ہیں، ایک ہی بات ہے چندرنا نہ سہی،
اس کا بچہ ہی سہی ـــــ
روزانہ مالش،
وقت وقت پر دودھ،
پنگوڑا،
وٹامنز،
پاؤ ڈر، چیچک کا ٹیکا، پولیو کا ڈوس اور وہ تمام لوازمات جن پر بچوں کا حق ہے چندرنا کا بچہ ان سب سے محروم ہی رہا۔"
سخت دھوپ،
کڑا کے سردی،
بمبئی کی بارش،
دھول، مٹی اور کیچڑا اور جراثیم جو بچوں کے حق میں مُضر ہیں، سب اس بچے کے حصے میں آئے پھر بھی اس نے ایسے ہاتھ پاؤں نکالے کہ خود چندرنا بھی اسے دیکھتی تو شاید پہچان نہ پاتی ۔
اب وہ گھٹنوں کے بل چلنا سیکھ گیا تھا، دن بھر وہ اِدھر اُدھر گھومتا رہتا جو کچھ الّم غلّم اسے ملتا منہ میں ڈال لیتا۔ اب اسے بھوک بھی زیادہ لگنے لگی تھی کبھی کبھار وہ تمس کے پاس بھی جاتا مگر گھڑ کی کھا کر لوٹ آتا۔"

الصغيرة تتمايل وتتموج وترضع الحليب، أخذ يحدق في المشهد بدهشة متعجبًا ـــــ كانت الكلاب الصغيرة تترك ثديًا وتمسك بآخر فى فمها ـــــ في البداية اقترب شيئًا فشيئًا وتوقف وبدأ يشاهد هذا المنظر، ثم فى لحظة اقترب تدريجيًا وكانت تجذبه رائحة اللبن العطرية، انحنى على ركبتيه وأمسك الثدى بفمه، وبدأ يرضع اللبن، التفتت الكلبة نحوه وصارت تنظر إليه ثم رفعت رأسها نحو السماء وشرعت تبكى .

عندما استمر حظر التجوال سادت الفوضى أيضًا في العشش والأكواخ، ثم عندما أصبح الوضع تحت السيطرة طبقًا لأخبار الصحف والإذاعة والتلفزيون فـ ..... لكن الطفل حينها لم يكن لديه أى قلق، فمتى يجوع يمكنه بلا تعب أن يرضع من ثدى الكلبة ويرتوى، وفي بعض الأحيان كان يحدث أن ينام الولد ليلًا عند كنتى، لكن في الصباح تجده نائمًا بين صغار الكلبة ."١(مشتاق مؤمن ، ١٩٨٤: ص ٦٦)

كما يلاحظ فيما سبق من خلال وصف الكاتب لحالة الكلبة وبكائها عندما يرضع منها "داكى" أن له معنى ودلالة نفسية عميقة، فهل الكلبة بكت لأنها تذكرت "چندرنا" أم أنها تبكى على ضعف وعجز الطفل الذي تُرك وحيدًا ولا تعرف أين ذهب تمس وكنتى أم أنها تبكى على زوال إنسانيته، فهو يحمل آدمية الإنسان ومن دم البشر لكنه من ناحية أخرى مضطر أن يرضع من كلبة، ومن الممكن أن تكون أيضًا دموع

---

١) " کُنتی جاتے وقت اس کے پاؤں میں رسی باندھ کر اس کا دوسرا سِرا کھاٹ سے باندھ دیتی اور بچہ ایک عام انسان کی طرح ایک ہی دائرے میں گھومتا رہتا ..... بچہ رسی سے بندھا ہوا تھا اور اس کے اطراف کوئی بھی نہ تھا ـــــ قریب چار گھنٹوں سے وہ بھوکا تھا اور روتے روتے اس کی آواز بیٹھ گئی تھی کھاٹ کے نیچے ـــــ کنتی کی پالتو کتیا، بُھربُھری زمین پر گڑھا بنائے پیر پسارے لیٹی تھی ـــــ سُرخی مائل سیاہ تھنوں سے دودھ بہہ رہا تھا، گلابی گلابی گھنڈیوں میں کچھ پلوں کے منہ میں تھیں اور پلے جھومتے اور چہلیں کرتے دودھ پی رہے تھے۔ اور بچہ ٹکٹکی باندھے حیران نظروں سے یہ منظر دیکھ رہا تھا ـــــ پلّے ایک تھن چھوڑتے اور دوسرے میں منہ لگا دیتے ـــــ پہلے بچہ آہستہ آہستہ قریب آیا اور رُک کر اس منظر کو دیکھنے لگا۔ پھر آہستہ آہستہ وہ ایک دم قریب آگیا۔ دودھ کی میٹھی خوشبو اسے بلا رہی تھی ۔ اس نے اپنے دونوں گھٹنے ٹیکے اور جھک کر اپنائیت سے منہ تھن سے لگا کر چُسرچُسر دودھ پینے لگا۔ کتیا نے ایک نظر اسے مڑ کر دیکھا اور پھر آسمان کی طرف سر اٹھا کر رونے لگی ۔
جب تک کرفیو رہا، جھونپڑ پٹی میں بھی افراتفری رہی، پھر جب اخبار اور ریڈیو اور ٹیلی وژن کی خبروں کے مطابق حالات قابو میں آگئے تو .....
لیکن اب بچے کے لیے پریشانی کی کوئی بات نہ تھی اسے جب بھی بھوک لگتی وہ بلا تکلف کتیا کی چھاتی سے منہ لگا دیتا اور سیراب ہوجاتا اور کبھی کبھی تو ایسا بھی ہوا کہ بچہ رات میں سویا تو کُنتی کے پاس لیکن صبح کتوں کے پلوں کے درمیان سوتا ہوا پایا گیا۔"

شكر لأن الإنسان يعتبر الكلاب حقيرة وذليلة، لكن الآن مما يزيد ويرفع من شأنها هو أن أطفال الإنسان لا يشعرون بأى حرج أو خزي في أن يرضعوا من لبن الكلبة، كما أن بكاء الكلبة أيضًا يشير إلى مدى حنوها وعطفها على هذا الطفل الرضيع، مالم يجده من بنى الإنسان .

لقد منحه الكلاب محبة وصحبة كانت عوضًا عن فقدان الأم والأسرة، حتى أصبح ذلك الإنسان كلبًا، فعالم البشر المجردين من الإحساس كان عالمًا غريبًا بالنسبة له، فداكى منذ بداية القصة حتى نهايتها مثل الحيوان صامت لا يتكلم، فهو لا يتكلم بل يفعل فقط، وكأن الطفل لم يجد كلمة لتعبر عما يحدث في عالمه الداخلى، إلا أن حركته وأفعاله الخارجية تفصح عن ارتباكه واضطرابه، وتعبر عما لا تستطيع الشخصية التعبير عنه ، كأن الأنشطة الحركية الجسدية اللاشعورية تعكس الداخل أكثر مما تعكس الخارج، فيقول الكاتب عن "داكى" واصفًا أفعاله :

" عندما كان تمس يراه أيضًا بين أبناء الكلبة كان يحملهم على غير هدى ـــــ فتهرب الكلاب الصغيرة وهى تنبح لكن الطفل يقف مشدوهًا وتائهًا إلى أى ناحية يذهب، ثم عندما أصبح قادرًا على المشي والتجوال أمسكه تمس فنجانًا في يده .

الطفل الذي كان قد صار فى ذلك الوقت مشهورًا باسم "داكى" أصبح يخرج ويمشى ليتسول وهو صامت، لكنه كان غالبًا ينسى الطريق وعندما يعود فيكون في فنجانه تذاكر أتوبيس بدلًا من النقود، أحجار ملونة صغيرة وكبيرة، أوراق خضراء، زهور برية، ومن ثم ينل ضربًا مبرحًا ـــــ وبعد الضرب وشرح كنتى يبدأ في عمل صور غريبة من قطع الفحم والفخار، وبعدما ينظر إلى تلك الصور تبدو له أحيانا مثل الشمس اللامعة ـــــ أو مثل العشش الصغيرة ـــــ أحيانًا يرفض الذهاب للتسول فينل الضرب من تمس ويصيح ـــــ لن أذهب، لن أذهب أبًدا ـــــ لكن عندما تفهمه كنتى كان يذهب في صمت ـــــ لكن لا يعرف لماذا لا يستمتع بالتسول بقدر ما يستمتع بسماع توبيخات وسباب الناس له، فإذا أعطاه أحدهم عشر أو عشرين قرشًا ينتابه

اليأس لكن لو لم يعطه أحدهم شيئًا فهو يتلذذ بأن يذهب خلفه وينل التوبيخ والزجر، كانت طبيعته عجيبة وغريبة".١(مشتاق مؤمن، ١٩٨٤ : ص٦٦، ٦٧)

هكذا عاش "داكى" محرومًا من والديه ومن البيئة الطبيعية، وتواجد في بيئة يعوزها الأمن والأمان، والنتيجة أنه لم يستطع أن يكون إنسانًا عاديًا، فهو ينتمى لنوع جاهل بوجوده ولا يدركه، ولم ينشأ في بيئة إنسانية خالصة بل عاش حياة سطحية غير آمنة، مما جعله فريسة وصيدًا سهلًا للاضطراب والمشاكل النفسية التى جعلته يسلك مسلكًا غير طبيعي في تعامله مع الآخرين، ومن ثم تأخذ نفسه موقفًا معينًا تجاه هذا الواقع والذي يكون بالضرورة موقفًا لا يتوافق والتوجه العام، وانعكس هذا على مظاهر سلوكه بصفة عامة وعلى صحته النفسية والانفعالية بصفة خاصة، والتى كانت المازوشية• إحدى صورها والتى تنطوى على لون من إيذاء النفس، فهو بدلًا من أن يحضر النقود بعد التسول يحضر الطوب والحجارة والأوراق فينل الضرب المبرح من تمس، كما أنه يتلذذ بتوبيخ الناس وزجرهم له، وربما كان هذا بسبب صحبته للكلاب، فالكلاب يعيشون مع رفاقهم دون أن يتسولوا .

---

١) " تمس جب بھی اسے پلوں کے درمیان دیکھتا اس کی بے تحاشہ ڈھلائی کرتا ـــــ قیاؤں قیاؤں کرتے پلے تو بھاگ جاتے لیکن بچہ گم سُم کھڑا رہتا کہ کدھر جائے۔
پھر جب وہ چلنے پھرنے کے قابل ہوگیا تو تمس نے اس کے ہاتھ میں ایک تام چینی کا پیالہ تھما دیا۔
بچہ جواب ڈاگی کے نام سے مشہور ہوگیا تھا چپ چاپ بھیک مانگنے چلا جاتا لیکن اکثر راستہ بھول جاتا اور جب واپس آتا تو اس کے پیالہ میں پیسوں کی جگہ بسوں کے ٹکٹ،چھوٹے موٹے رنگین پتھر، ہری ہری خوش نما پتیاں اور جنگلی پھول ہوتے، اور پھر وہ بے تحاشہ مار کھاتا ـــــ مار کھانے اور کُنتی کے سمجھانے کے بعد وہ چاک اور کوئلوں کے ٹکڑوں سے عجیب عجیب تصویریں بنانا شروع کر دیتا۔ ان تصویروں کو دیکھنے کے بعد کبھی لگتا کہ جیسے چمکتا ہوا سورج ہے ـــــ یا جیسے چھوٹے چھوٹے جھونپڑے ـــ کبھی کبھار تو وہ بھیک مانگنے کے لیے جانے سے انکار کر دیتا اور تمس کی مار پر مار کھاتا اور چلاتا ـــــ نہیں جاؤں گا، ہرگز نہیں جاؤں گا ـــــ مگر جب کُنتی اسے سمجھاتی تو وہ چپ چاپ چلا جاتا ـــــ مگر نہ جانے کیوں اسے بھیک مانگنے میں اتنا مزہ نہیں آتا تھا جتنا لوگوں کی جھڑکیاں اور ڈانٹ پھٹکار سن کر لطف آتا۔ کوئی اسے دس بیس پیسے دیتا تو اسے مایوسی ہوتی لیکن اگر کوئی اسے بھیک نہ دیتا تو اس کے پیچھے پیچھے جانے اور جھڑکیاں کھانے میں اسے بڑا مزہ آتا۔ عجیب وغریب موڈ تھا اس کا۔"

• المازوشية : هى اضطراب مؤقت أو دائم فى الشخصية؛ حيث يتلذذ أو يرغب الشخص فى التعرض للإيلام الذى يأتيه من الآخرين، وهناك " مازوشية لفظية" وفيها يتلذذ بسب وشتم الآخرين له، و"مازوشية سلوكية" حيث يرضى بالعنف والضرب والجرح الممارس عليه، و"مازوشية نفسية" لما يتلذذ بإهانة الآخرين له، وأخيرا "مازوشية جنسية" لما لا يشبع جنسيا أثناء الفعل الجنسي إلا إذا عومل معاملة سيئة " أنظر: بو خميس بوفولة ، تصميم سلم السادية والمازوشية ، دكتوراة فى علم النفس الإكلينيكى، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة الأخوة منتورى- قسنطينة-، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ٧.

كما أن لعب "داكى" مع الكلاب وذويه في السن كان يدل على عدوانيته، كما يصور الكاتب من خلال اللعبة التى كان يلعبها مع رفاقه :

" كان داكى يلعب مع الكلاب وأطفال القرية .... كان بعض الأطفال يقفون في جانب ما يضمون أيديهم ـ على طريقة الهندوس ـ وكانت وجهتهم نحو ناحية ما ـــــ وعلى الجانب الآخر كان يقف بعض الأطفال عاقدين أيديهم على صدورهم . على طريقة المسلمين . ووجهتهم كانت للناحية الأخرى ثم يتلوى بينهم طفل مثل الثعبان، يزحف ويقف ملتصقًا بأقدامهم، تنفتح أفواه الأطفال، وتخرج ألسنتهم، يلدغ الطفل الثعبان ألسنتهم مثل الثعبان، أيديهم المعقودة ـــــ تنفتح، ثم يذهب إلى الناحية الأخرى وهو يزحف مثل الثعبان ويفعل معهم أيضًا نفس الشئ، تنفتح أيديهم المعقودة علي صدورهم ـــــ ثم يصبح كل منهما أمام الآخر وجهًا لوجه، يقفزون، يصيحون، يتشابك بعضهم مع البعض، ويعض بعضهم البعض، يجرحون بعضهم، يتململون ويتلوون، ثم يشمون الأرض،

أصوات موحشة

أنفاس متسارعة

عروق نافرة

نظرات متقلبة

كل شئ كان حقيقيًا وصادقًا للغاية.

أحاط بهم الناس من الجهات الأربعة، يشاهدون لعبهم وهم مسرورون، يصفقون لهم، ويشجعونهم بالنقود .

عندما رأى تمس هذا المشهد أُثلج قلبه .

خلال أيام قلائل ذاع صيت داكى كالشيطان، وأحبه كل الناس على اختلاف أعمارهم وأصنافهم، عندما يمر أطفال المدرسة من هناك في الأتوبيسات فيصيحون ويلوحون بأيديهم وينادون داكى، وهناك كان داكى يجلس على قمة الجبل فيرفع يده

على طريقة الملوك ويبتسم لهم، ويرحب بحرسه الشرفي فتقفز الكلاب المرافقة له وتعود فى قدميه."١(مشتاق مؤمن، ١٩٨٤ : ص٦٧ ، ٦٨)

فهذه اللعبة التى يلعبها "داكى" لها دلالة رمزية، فهى تمثل حربًا بين المسلمين الذين يضعون أيديهم على صدورهم، والهندوس الذين يلصقون أيديهم ويرفعونها، حتى أن الثعبان الذي يلدغ بلسانه جاء رمزًا للبهيمية والوحشية الكامنة بداخله؛ حيث اتخذ دور الضد في علاقته مع الناس، فاتسم سلوكه بالعدوانية، ومن ثم أصبح المطلب الأساسي هو الحصول على السيطرة أو القوة .

وهكذا عاش "داكى" عالمًا مختلفًا مع رفاقه من الكلاب وذويه فى السن الذين لهم نفس الظروف البيئية، فلم يكن له علاقة بالمجتمع الإنساني الذي يقوم على الأنانية والاستغلال والاستبداد، لكن يأتى مثل هذا الوقت الذي يجبره على الخروج من عالمه الخاص، عندما قذف الناس الكلب الذي يرافقه بالحجارة، وأثارت نظرات الكلب الملطخ بالدماء غضب "داكى" فهجم على الضاربين مثل الأسد :

" ثم حدث ذات يوم أنه في ذلك اليوم كان قد انتهى حظر التجول بشكل عادى، فى هذا المساء كان أحد الكلاب المصاحبين لداكى يعبر الشارع وفي فمه

---

١) " ڈاگی کتوں اور بستی کے بچوں کے ہمراہ کھیل رہا تھا، ایک طرف کچھ بچے ہاتھ جوڑے کھڑے تھے ان کا رخ ایک طرف تھا ـــــ اور دوسری طرف کچھ بچے سینوں پر ہاتھ باندھے کھڑے تھےـــــ ان کا رخ دوسری طرف تھا پھر ان کے درمیان ایک بچہ سانپ کی طرح بل کھاتا، رینگتا اور ان کے پیروں میں لپٹتا ہوا کھڑا ہو جاتا۔ بچوں کے منہ کھل جاتے، زبان باہر نکل آتی، سانپ بنا ہوا بچہ، سانپ کی طرح ان کی زبان پر ڈنگ مارتا، ان کے جڑے ہوئے ہاتھ ـــــ کھل جاتے۔ پھر سانپ کی طرح رینگتا ہوا بچہ دوسری طرف جاتا اور ان کے ساتھ بھی یہی کرتا۔ سینوں پر بندھے ہوئے ہاتھ کھل جاتےـــــ پھر دونوں آمنے سامنے ہو جاتے اور اچھلتے کودتے، نعرے لگاتے، ایک دوسرے سے گتھم گتھا ہو جاتے، ایک دوسرے کو کاٹتے، بھنبھوڑتے، تڑپتے اور پھر زمین سونگھنے لگتے،

گونجیلی آوازیں
جلدی جلدی چلتی ہوئی سانسیں
تنی ہوئی رگیں
بدلی ہوئی نگاہیں
سب کچھ کتنا سچ اور حقیقی تھا۔

چاروں طرف سے لوگ انھیں گھیرے ہوئے تھے۔ وہ ان کا کھیل دیکھتے، خوش ہوتے، تالیاں بجاتے اور ان کا سواگت کرتے اور پیسوں سے ان کی مدد کرتے۔

تمس نے جب یہ منظر دیکھا تو اس کے دل کو ٹھنڈک پہنچی ۔

تھوڑے ہی دنوں میں ڈاگی شیطان کی طرح مشہور ہوگیا، ہر عمر اور ہر طرح کے لوگ اس کے چاہنے والوں میں تھے۔ اسکول کے بچے بسوں میں وہاں سے گزرتے تو چلا چلا کر اور ہاتھ ہلا ہلا کر ڈاگی کو بلاتے اور وہیں پہاڑ کے اخری سِرے پر بیٹھا ڈاگی شاہانہ انداز سے ہاتھ اٹھا کر اور مسکرا کر ان کے گارڈ آف آنر کو قبول کرتا اور اس کے ساتھی کتّے اچھلتے کودتے اس کے قدموں میں لوٹ جاتے۔"

عظمة، وفجأة جاءت أمامه سيارة بسرعة البرق ـــــ واصطدمت رأس الكلب بالسيارة وقفز في الهواء مثل الكرة المطاطية، وصدر صوت الفرامل المفزع، فوقفت السيارة على أثر الصدمة، تدحرجت الإطارات على شكل خطوط سوداء على الطريق .

لم يأت الكلب تحت السيارة بل اصطدم بها وسقط بعيدًا، نهض الكلب بعد دقيقتين أو ثلاث دقائق لكنه بدلًا من أن يذهب في خط مستقيم أخذ يدور مترنحًا في دائرة، وكانت العظمة قد خرجت من فمه، وظل يحوم ويدور في دائرة، رأى الناس حالته هذه وشرعوا يضحكون، وانطلقت ضحكات الناس المطلة من النوافذ، لم يتحرك الكلب للأمام أو الخلف، فقط ظل يدور في دائرة، كان الناس يزدادون، والمشهد يزداد حدة، وضرب بعض الأطفال الأشقياء الكلب بحجر، وجاءت أصوات كثيرة :

" هيا تحركوا، ابتعدو، إحذروا منه، قد أُصيب الكلب بالصرع "

" الكلب المصروع خطير جدًا "

" الذي يعضه يصبح مصروعًا أيضًا "

" اضربوه "

" اقتلوه "

في نفس الوقت سقط حجران أو ثلاث، ثم ماذا حدث بعد ذلك، بدأت الحجارة تمطر عليه من جميع الجهات الأربع ، دب .... دب .

بدأ الطوب والحجارة يتساقط كالمطر على جسد الكلب المصدوم، وهو ينبح في صوت مضنٍ بشدة، كان داكى يجلس على قمة التل ويرى كل هذا، نظر الكلب الجريح نظرة واحدة ـــــ فقط نظرة واحدة نحو داكى بعيون ملطخة بالدم، لم يعرف داكى ماذا بدى في عينيه فقد بوغت وبدأت تتصاعد بداخله موجات من الثورة والغضب، بدأ يبذل أقصى ما في وسعه لإخراجها من داخله، وولد بداخله اضطراب، وبدأ القلب يشتعل، نهض وجلس، وقد ثبتت كلتا يديه على الأرض من تلقاء نفسها ـــــ انتفضت عروق جسمه، تسارعت الأنفاس، وتغيرت عيناه

زادت حدة النظرة، صارت عيناه مخيفتين،

فغر فاهه مثل الوحش، بدأت الأسنان البيضاء تبرز، أمتلأ الفم باللعاب .

ثم ـــــ خرج من فمه صوت زئير حاد وطويل للغاية، ثم قفز داكى على الضاربين زائرًا مثل الأسد ."١(مشتاق مؤمن، ١٩٨٤: ص٦٨ ، ٦٩)

فمن الملاحظ مما سبق أن رد فعل "داكى" هذه المرة كان من نوع مختلف، حيث كان موجهًا للخارج، فـ"داكى" منذ البداية وهو يواجه مشكلة نفسية، ثم جاءته ساعة القرار، وجاء الوقت الذي يتحمل فيه مسؤلية وجوده، وقد صورت آخر فقرة في القصة صورة حقيقية حية تظهر كيف اختار "داكى" أن يتبدل واقعه الإنسانى إلى حيوان، فلم يرغب أن يكون هو نفسه منتميًا لعالم الآدميين الذين لم يكترثوا بهذا الكلب الذي صار فريسة لحادث أليم، فلم يحب أن يكون من بين هؤلاء الناس الذين اعتبروا منظر الكلب وهو يدور على أثر اصطدامه بالسيارة منظرًا يدعو للتسلية والسخرية

---

١) اور پھر ایک دن یوں ہوا، اس دن کرفیو مَعمّل طور سے ختم ہوا تھا۔ اس شام ڈاگی کے ساتھ کتوں میں سے ایک منہ میں ہڈی لیے سڑک پار کر رہا تھا کہ اچانک ایک کار برق رفتاری سے سامنے آ گئی ـــــ کھٹاک سے کتے کا سر گاڑی سے ٹکرایا اور وہ ربڑ کی گیند کی طرح ہوا میں اچھل گیا، بریک لگنے کی دلخراش آواز سنائی دی، کار ایک دھچکے کے ساتھ رُکی ۔ ٹائروں کے گھسٹنے سے سڑک پر سیاہ پٹیاں بن گئی تھیں ۔ کتا کار کے نیچے نہیں آیا تھا بلکہ کار سے ٹکرا کر دور جاگرا تھا۔ دو تین منٹ کے بعد کتا اٹھا تو سہی لیکن سیدھا جانے کی بجاے ایک ہی جگہ گول گول چکرانے لگا۔ ہڈی اس کے منہ میں سے نکل گئی تھی اور وہ گول گول ایک ہی دائرے میں گھوم رہا تھا۔ لوگ اس کی حالت دیکھ کر ہنسنے لگے۔ کھڑکی سے جھانکتے ہوئے لوگوں کی ہنسی چھوٹ پڑی، کتا نہ آگے آتا تھا نہ پیچھے جاتا تھا بس گول گول چکرائے جا رہا تھا۔ لوگ بڑھتے گئے، تماشا بڑھتا گیا۔ دو ایک شرارتی بچوں نے کتے کو پتھر مارے۔

"ارے ہٹو، دور ہٹو، بچو اس سے۔ کتا پاگل ہوگیا ہے۔"

"پاگل کُتا بہت خطرناک ہوتا ہے۔"

"یہ جسے کاٹ لے وہ بھی پاگل ہوجاتا ہے۔"

"مارو اسے ـــــ"

"اسے جان سے مار ڈالو ـــ" بہت سی آوازیں آئیں ۔

ساتھ ہی دو تین پتھر بھی پڑے، بس پھر کیا تھا۔ چاروں طرف سے پتھر برسنے لگے۔ دھپ، دھپ

کھٹ، کھٹاک، کتے کے جسم پر متواتر اینٹ اور پتھر برسنے لگے اور وہ بڑی دردناک آواز میں قیاؤں قیاؤں کرتا رہا۔ ڈاگی اوپر پہاڑی کے نچلے سرے پر بیٹھا یہ سب دیکھ رہا تھا۔ زخمی کتے نے ایک نظر ـــــ بس صرف ایک نظر، خون آلود آنکھوں سے ڈاگی کی طرف دیکھا، نہ جانے ڈاگی کو اس کی آنکھوں میں میں کیا نظر آیا کہ وہ چونک پڑا، اس کے اندر طوفانی موجیں سر اٹھانے لگیں، اندر سے باہر آنے کے لیے کوئی زور لگانے لگا۔ ایک تڑپ سی پیدا ہوئی ۔ دل دھک دھک کرنے لگا۔ وہ اٹھ کر بیٹھ گیا۔ اس کے دونوں ہاتھ خود بخود زمین پر جاٹکے ـــــ بدن کی رگیں خیموں کی طنابوں کی طرح تن گئیں، سانس جلدی جلدی چلنے لگا، نگاہیں بدل گئیں،

تیوری چڑھ گئی، آنکھیں ڈراؤنی ہوگئیں،

منہ کا دہانہ بانچھوں کی طرح چر گیا، سفید سفید دانت نظر آنے لگے، منہ میں کف بھر آیا۔

پھر ـــــ اس کے منہ سے ایک بہت تیز اور طویل غّراہٹ نکلی اور پھر غراتے ہوئے ڈاگی نے شیر کی طرح پتھر مارنے والوں پر چھلانگ لگا دی ۔"

والاستهزاء واللهو، وهم نفسهم هؤلاء الناس الذين كانوا منذ عدة أيام يستبيح كل منهم دم الآخر في حربهم الطائفية، فيقتل أحدهم الآخر الذي لم يكن يومًا ما عدوًا له، ولم يلحق به أى ضرر، وهكذا جاء هجوم "داكى" على الذين يقذفون الكلب بالحجارة هو رد فعل فطري وقوى ومسئول ضد الظلم، فصارت الحركات الجسدية صورًا استعارية مرئية تعكس ما يحدث في لا شعور "داكى"، وتقدمه بالشكل الاستعاري الذي يجعله يفيض بالدلالات النفسية، حيث لم يكن ذلك إلا إسقاطًا لا شعوريًا لنوازع مكبوتة مسكوت عنها ضد عالم مسكون بأناس أقل ما يمكن أن تصفهم بأنهم خاوون من أية عاطفة أو مشاعر.

وهكذا وقف الكاتب "مشتاق مؤمن" في قصته وجهًا لوجه أمام الوضع الإنسانى في العصر الحاضر، ذلك الوضع الذي جعل الإنسان مجردًا من إنسانيته بعدما أضاع كيانه وتيمته الأساسية، فلم يحصل الإنسان على أى قيمة من بيئته الإنسانية التى ورثها.

وكما أكدت الدراسات النفسية على أهمية السنوات الأولى من الطفولة، في تحديد معالم الشخصية وتوجيهها وجهة نفسية معينة، اهتمت أيضًا بمشكلة نفسية أخرى قد يتعرض لها قطاع كبير من المجتمع، وهى :

٢. الهجرة والنوستاليجيا:

تؤدى الهجرة إلى تغيرات كبيرة في البنية النفسية، لما لها من آثار نفسية في الفرد المهاجر؛ حيث أظهرت الدراسات النفسية أن المهاجرين هم أكثر إصابة بالأمراض والمشكلات النفسية .

وتشير معظم الدراسات الحديثة التى تناولت مشكلة الآثار النفسية للهجرة إلى العلاقة بين الهجرة وظروفها من جهة والاضطرابات النفسية والعقلية من جهة أخرى، مع التأكيد على ضرورة اعتبار المهاجر كائنًا كليًا "بيولوجي ـ نفسي ـ اجتماعي" وهى بذلك ترفض وجهة النظر التبسيطية والخطية التى تعتبر عاملًا واحدًا سببًا للاضطراب النفسي. (بوعون السعيد ، يوسف عدوان ، ٢٠١٣ : ص ٢٢٩)

ومن أبرز المشكلات النفسية التي تعترى نفس المهاجر هى حالة الحنين إلى الوطن والماضي، فظاهرة الحنين هذه ترتبط ارتباطًا وثيقًا بظاهرة الهجرة، وتعرف هذه الظاهرة بـ "النوستاليجيا"•، وتعنى أوجاع الحنين إلى الوطن، وفي القرن التاسع عشر وصفت "النوستاليجيا" بـ"مرض المهاجرين" إذ كان ينظر إليها كمرض عصبى واضطراب عقلي، وبعد أن تسلل المصطلح "نوستاليجيا" إلى جل ثقافات العالم، اتسع وتعدد فهم ودراسة معناها؛ مسبباتها؛ آلياتها، فلم يعد الأمر مجرد الحنين للوطن، فهو الحنين إلى أزمنة مضت؛ أماكن؛ أشخاص ... إلخ، وقد لاحظ القارئ/الباحث ظهور ملامح وإشارات للنوستاليجيا، وغيرها من مشكلات الهجرة في قصة " گهونسلا ــ العش" لـ "شوكت حيات"، لكن الكاتب قد عمد في القصة إلى المبالغة في تجسيم حجم مشكلة الهجرة، متمثلة في تلك الصدمة التى يمر بها العديد من المهاجرين عندما يعودون إلى الوطن، فيكتشفون أنه لم يعد كما كان في أذهانهم، حيث طرأت العديد من التغيرات التى جعلتهم يشعرون بالغربة الموحشة في وطنهم، فيشتد الصراع والتوتر، وتتفاقم جسامة المعاناة، فلا نهاية ولا حل للنوستاليجيا، حيث تحكى القصة عن مثل ذلك الشخص الذي يعود إلى مدينته بعد سنوات عديدة، فيسير في ظلام الليل الدامس في المدينة راكبًا "الركشة•" باحثًا عن منزله الذي هجره منذ سنوات، فلا يظهر له المنزل في أى مكان، ويتجول فاحصًا المدينة بأكملها، ويرشد سائق الركشا مرارًا إلى السير في كل الطرق الممكنة عله يعثر على منزله، لكن في كل مرة يصاب باليأس، وبعد محاولات عديدة فاشلة في النهاية يكتشف أن هذا المكان المنشود والذى يقع فيه منزله قد صار قفرًا قاحلًا، وانمحت كل ملامحه وآثاره، حيث أخبره سائق "الركشة" وهو

• النوستاليجيا : مصطلح يونانى الأصل، يتكون من مقطعين ويعنى "أوجاع الحنين إلى الوطن"، وربما ارتبط بداية برحلة "اوديسوس" للعودة إلى وطنه، بعد انتهاء حرب طروادة فى إلياذة "هوميروس"، أما فى العصور الحديثة ومع نهاية القرن السابع عشر فقد ظهر المصطلح من جديد، وكان يسمى "المرض السويسرى" إذ لوحظ على الجنود السويسريين أثناء تواجدهم فى مهام فى سهول البلاد الأوروبية إصابتهم بالهزال والاكتئاب، بل ارتفاع درجة الحرارة أحيانا وأرجع الطبيب الذى اعتمد مصطلح "نوستاليجيا" ذلك إلى تلف دماغى وتهتك فى طبلة الأذن نجما عن سماعهم المتواصل قره أجراس قطعان أبقار الجبال فى الصحراء، وفى القرن التاسع عشر وصفت "النوستاليجيا"بـ "مرض المهاجرين"، إذ كان ينظر إليها كمرض عصبى واضطراب عقلى، وظلت تلك النظرة مهيمنة حتى القرن العشرين حيث حمل تطور المصطلح وحمل معان أخرى تتعلق بالهجرة والحنين إلى الوطن والماضي" أنظر: لمياء عبد الكريم قاسم ، إيمان جمال محمد : توظيف النوستاليجيا فى بناء الرسالة الإعلانية ، مجلة العمارة والفنون، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، العدد العاشر، ٢٠١٥ م، ص ٣ .

• الركشة : كلمة هندية ، وهى تعنى مركبة نارية ذات ثلاث عجلات تستخدم غالبا للانتقال بالأجرة، وهو مايطلق عليه التوك توك فى البلاد العربية .

يجهش بالبكاء أن هذه المنطقة قد دمرتها الجرافات وأبدلها البلدوزر وحولها إلى أنقاض ثم إلى سهل قاحل.

ففي الظاهر تبدو فكرة العودة من الهجرة والبحث عن المنزل الأصلي هى المحركة للأحداث، ولكن في الحقيقة كان محور الأحداث في القصة هو القلق وعدم الراحة والتوتر وصراعه مع أناه الأعلى التى تؤنبه دائمًا على هجرته وضياع هويته عند عودته، فتبدأ القصة برحلة السفر، حيث يكون كل مسافر على يقين بأن محطته ستأتى، لكن بطل القصة بمجرد أن يدرك أن محطته تقترب يشعر بأن أحدًا يمسك به من رقبته بلا رحمة، نافيًا أن يكون له محطة، كما يتضح فيما يلي :

" كان القطار يمر بمنطقة مهجورة ولم يكن هناك مكان للجلوس في المقصورة، وكانت محطته تقترب.

بداخل القطار أمسك أحدهم برقبته بوحشية قائلًا : "هل لك محطة يا قليل البخت".

كان الضغط يتصاعد، وبدأت الأنفاس تنقطع، نظر إليه الركاب الجالسون على مقربة منه في ذهول، وظنوا أنه مصاب بأزمة قلبية، وشيئًا فشيئًا فكر محاولًا السيطرة على أنفاسه أنه لا يوجد له ولملايين الأشخاص مثله مكان في هذا العالم كله"[١](شوكت حيات، ١٩٩٢ : ص٥٣)

فهذا الصوت الذي يتحدث إلى الشخص المسافر هو صوت الضمير أو الأنا العليا التى تظل دائمًا مبتلاة بالشك في أن من هاجر منزله ليس له أى مكان أصيل أو جذر ثابت يعود إليه، ومع تساؤلات النفس وشكوكها يفكر المهاجر أليس حقًا لملايين

[١] " ٹرین کسی ویران علاقے سے گزر ہی تھی ۔ کمپارٹمنٹ میں تل دھرنے کی جگہ نہیں تھی ۔ اس کا اسٹیشن قریب آ رہا تھا۔
کسی نے اس کے اندر اس کے پھیپھڑے کو بے دردی کے ساتھ اپنی گرفت میں لے لیا۔
"بد بخت تیرا کوئی اسٹیشن ہے ....؟"
دباؤ بڑھتا گیا۔ اس کی سانس اکھڑنے لگی ۔ آس پاس بیٹھے ہوئے مسافروں نے اسے حیرت واستعجاب سے دیکھا اور اس مغالطے میں مبتلا گئے کہ اسے قلب کا دورہ پڑنے والا ہے۔ اس نے دھیرے دھیرے اپنی سانسوں پر قابو پاتے ہوئے سوچا کہ سچ مچ اس کا اور اس کے جیسے کروڑوں لوگوں کا اس بھری پُری دنیا میں کہیں کوئی اسٹیشن نہیں ۔"

الأشخاص من أمثاله من المهاجرين أى محطة أو مكان في هذه الدنيا الواسعة، وكأن المهاجرين أبتلوا بعذاب الحنين والبحث عن مكانهم، ومنبعهم الأصلى .

ويظل بطل القصة يعيش توترًا حادًا بين ماضيه وذكرياته وحنينه للشخصين اللذين كان يفكر فيهما طوال السفر ويهفو للقائهما وهما والده ومحبوبته اللذان كانا دافعًا وحافزًا له للبحث عن منزله الأصلى، وبين الحالة التى وجد عليها مدينته، حيث بدت قاتمة مظلمة يخيم عليها حالة من الغموض الغريب والاختفاء لملامحها :

"طوال الرحلة، ظل يفكر بشدة في شخصين؛ أحدهما الذى كانت تربطه به علاقة دم ـــ والده ـــ والآخر الذى لم تكن علاقته به من هذا النوع بل كانت علاقة غريبة غير مألوفة، التى مذاقها لا يزال يصنع موجة من الإحساس تجرى عبر شرايينه، والتى تذيب حرارة التفكير فى وجودها كيانه مثل الشمع، هؤلاء الناس كيف ستظهر الفجأة عليهم عند لقائهم، سوف يفقدون حواسهم أولًا، ثم عندما سيستعيدون حواسهم، سوف يعتقدون أنهم حصلوا على ثروة ثمينة جدًا.

كان قد توجه إلى هذا السفر دون أن يخبر أو يعرف أحدًا من أجل أن يفاجئهما،عندما توقفت القاطرة على الرصيف، نزل منها، وكان الظلام قاتمًا في الخارج وقد طغت على كل شئ حالة من الاختفاء الغامض الغريب المفعم بالأسرار"[١](شوكت حيات، ١٩٩٢ : ص٥٣)

وتتملك "النوستاليجيا" من البطل، ويلح عليه الحنين، فيتذكر شخصيات من الماضي ويتمنى رؤيتهم، لكنه يصطدم بالواقع :

[١])" پورے سفر میں دو افراد کے متعلق وہ شدت سے سوچتا رہا تھا۔ ایک وہ جس سے اس کا خون کا رشتہ تھا ـــــ اس کا باپ ـــــ اور دوسرا وہ جس سے کسی طرح کا کوئی رشتہ نہ ہوتے ہوئے بھی ایک عجیب سا نام معلوم تعلق تھا۔ جس کا ذائقہ اب بھی اس کی شریانوں میں سنسنی کی لہر دوڑا دیتا تھا اور جس کے وجود کے تصور کی گرمی بھی خود اس کے وجود کو موم کی طرح پگھلا کر رکھ دیتی تھی ۔ یہ لوگ ملاقات ہونے پر کس طرح چونک جائیں گے۔ پہلے تو حواس باختہ ہوجائیں گے پھر جب ان کے اوسان بحال ہوں گے تو سوچیں گے کہ آن واحد میں انہیں قرط وانبساط کی کیسی بیش بہا دولت مل گئی ۔
انہیں سرپرائز دینے کے خیال سے بغیر کسی اطلاع اور خبر کے وہ اس سفر پر روانہ ہوگیا تھا۔ گاڑی پلیٹ فارم پر رکی تو وہ اتر گیا۔ باہر گھپ اندھیرا تھا۔ ہر شے پر ایک عجیب پُر اسرار سی گم شُدگی کی کیفیت طاری تھی"

" فى الأمام بيت العم رام ..... في هذه الناحية عمتي غيتا ..... وهناك عم شنكر ..... الجميع بيوتهم موجودة على حالتها الأصلية ..... كان تخمر العواطف بداخله لا يطاق ..... ترغب نفسه أن يذهب ويحتضن العم رام .... أن يسلم على العمة غيتا ويأخذ بركاتها ..... كم ستكون سعيدة ..... بعدما ترانى ..... ولابد أن شكنتلا قد كبرت كثيرًا الآن، ربما تكون قد تزوجت وصارت لديها حماة ..... في تلك الفترة كانت تبتسم فى خجل، وكأنها تفهم كل شئ عن أسرار الشباب ..... الآن ربما أصبحت صاحبة أولاد .... ربما لم تتزوج بعد ..... هيا، أسأل هؤلاء الناس ..... أين منزلى .... لا .... من الصعب التعرف عليهم وسط زحام المنازل في المدينة.... خيرًا أين يمكن أن يختفى منزلى ومنازل هؤلاء الجيران الرحماء آمنة ... أنا أظل أنسى .... الذاكرة لا تسعفنى فى الظلام ..... الظلام فى كل مكان ..... ظلام دامس ..... كنا قد خرجنا من هذا الظلام في لحظة مجهولة..... في هذا الظلام لابد أن نضيع جميعًا..... سيصبح العم رام، عمتى غيتا، العم شنكر، شكنتلا، بابا ..... سائق العربة ..... سيصبح الجميع طعامًا للظلام ....." ١(شوكت حيات، ١٩٩٢ : ص٥٨)

فمن سوء حظ الشخص المهاجر أن كل شئ قد تغير، فيدخل في دوامة مع نفسه التى تحاول مرارًا وتكرارًا أن تجعله يصدق أنه لن يستطيع الوصول إلى منزله، فكل شئ يبدو غريبًا ومخيفًا ومثيرًا لها، وهذه التغيرات مؤشر لانقراض الماضي، مما يعنى فقدان الهوية؛ "فالهوية هى منظومة متكاملة ومترابطة من المعطيات المادية

١) " وہ سامنے ہی رام انکل کا مکان ہے ... اس طرف گیتا چاچی ہیں ....ادھر شنکر چاچا..... سبھوں کے مکان تو اپنی اصلی حالت میں موجود ہیں ..... اس کے اندر جذبوں کا ابال برداشت سے باہر ہو رہا تھا..... جی چاہا کہ جا کر رام انکل کے سینے سے لپٹ جائے..... گیتا چاچی کو سلام کر کے آشیرواد لے ..... کتنا خوش ہوں گی وہ ..... مجھے دیکھ کر .... اور شکنتلا تو اب کافی بڑی ہوگئی ہوگی ۔ شاید شادی کر کے اپنے سسرال جابسی ہو ..... اس زمانے میں زیرِ لب شرمائی شرمائی یوں مسکراتی تھی جیسے جوانی کے سربستہ رازوں کے متعلق سب کچھ سمجھتی ہو ..... اب تو بال بچوں والی ہوگئی ہوگی ..... ممکن ہے اب تک شادی نہ ہوئی ہو ..... چلوں، انہیں لوگوں سے پوچھ لوں ..... میرا گھر کہاں ہے ..... نا ..... شہر میں مکانوں کی بھیڑ میں ان کی انفرادی شناخت مشکل ہے ..... بھلا ان ہمدردی پڑوسیوں کے گھروں کے سلامت ہوتے ہوئے اپنا گھر کہاں غائب ہوسکتا ہے ..... میں بھول کر رہا ہوں ..... اندھیرے میں حافظہ میرا ساتھ نہیں دے پا رہا ہے ..... اندھیرے میں ہر طرف اندھیرا ہی تو ہے ..... گہرا اندھیرا ..... اسی اندھیرے سے کسی انجان لمحے میں ہم برآمد ہوئے تھے .... اسی اندھیرے میں ہم سب کو گم بھی ہو جانا ہے ..... رام انکل، گیتا چاچی، شنکر چاچا، شکنتلا، بابا ..... یہ رکشا والا .... سب کے سب اندھیرے کی خوراک بن جائیں گے ....."

والنفسية والمعنوية والاجتماعية التى تنطوى على خاصة الإحساس بالهوية، والشعور بها كوحدة داخلية متناغمة تتمثل في الشعور بالاستمرارية والكلية والتمايز والديمومة(عزام أمين ،٢٠١٦ م : ص ٢٨)، وفي خضم فقدان هذه المنظومة تكاملها وترابطها نتاجًا لما تشعر به النفس من الألم والقلق والضياع في عالم انقطع فيه الحبل الذي يربطه بالماضي، ترغب النفس أن تمنع الشخص المهاجر من البحث عن المنزل الحقيقي، لأن البحث دون جدوى يؤذيها، حيث يقول الكاتب :

" كان يعطي تعليمات حول اتجاهات الطريق وأخذ يجمع كل التوهجات شبه المظلمة فى نفسه.

" أنظر يا قليل البخت .... كل شئ قد تغير .... لن تتمكن من الوصول إلى وجهتك .... يبدو لي كل شيء غريبًا ومخيفًا جدًا ..... حتى الآن كنت أنا أضايقك والآن أنت تغضب روحى "

لم ينتبه إلى هراء الرجل الذي بداخله وسأل سائق العربة :

" يا أخى صاحب الركشة! هذه هي المدينة أليس كذلك ؟"

"أى مدينة ...؟"

"هذه هى مدينتي ...!"

وسرعان ما مدَّ شخصٌ يده الناعمة بداخله، وكأنه يمسك برقبته فى قبضته.

" يا قليل البخت! أى مدينة لديك ؟".[١] (شوكت حيات، ١٩٩٢ : ص ٥٥)

---

[١] " وہ راستے کی سمتوں کے متعلق ہدایتیں دیتا ہوا اطراف کے سارے نیم تاریک جلووں کو اپنے اندر سمیٹتا جا رہا تھا۔
"دیکھتے ہو بد بخت .... سب کچھ بدل گیا ہے ..... تم اپنے ٹھکانے پر پہنچ بھی نہیں سکو گے ..... مجھے تو سب کچھ بہت اجنبی اور ڈراؤنا لگ رہا ہے .....
اب تک میں تمھیں ڈسٹرب کر رہا تھا .... اب تم میری جان کو آ رہے ہو ....."
اس نے اپنے اندر کے آدمی کی بکواس کی طرف دھیان نہیں دیا اور رکشا والے سے پوچھا۔
"بھائی رکشا والے یہ وہی شہر ہے نا .....؟"
"کون سا .....؟"
"وہی اپنا شہر .....!"
بڑی تیزی سے اس کے اندر کسی نے اپنے پلپلے ہاتھ بڑھاتے ہوئے پھر جیسے اس کے پھیپھڑے کو اپنی مٹھی میں لے لیا۔

فهذا الحوار بين الشخص ونفسه كان بمثابة المبارزة بين طرفين من أجل نفي وإثبات الحقيقة، فالنفس تنفى وجود منزل أصلى، والشخص يرغب أن يثبت وجوده، والنفس تدرك حقيقة الحاضر، وتريد أن تخبر الشخص بها لكنه غير مهيأ لقبول هذه الحقيقة الحالية، ويظل معتقدًا أنه من الضرورى أن منزله موجود في أى مكان، وبسبب الخطأ في تحديد وجهته لم يستطع الوصول إلى هذا المنزل، وتحاول أناه الأعلى مرارًا أن تعرفه تلك الحقيقة التى تتدركها وهو يرفضها، فلم يكن مستعدًا لأن يصدق بأن ملامح الماضي قد انتهت، وكان يعتقد أن كل هذا وهم فحسب، لكن في كل مكان كان يوقف فيه سائق العربة يظهر له القفر القاحل، وبعض العلامات حول هذا القفر تبدو له مرتبطة بالمنطقة المطلوبة، لكن أيضًا مسكنه الحقيقى مختفي من المكان، ومع ذلك لا تلبث أناه أن تلوذ وتلجأ إلى آلية الإنكار كردة فعل دفاعية لا شعورية على الإحباط والواقع المؤلم من خلال رفض قبول الحقيقة وإنكارها؛ فيقول الكاتب واصفًا محاولات البطل المستمرة والفاشلة للوصول إلى منزله مما يضاعف من أزمته النفسية:

" نظر حوله فى حيرة، بعد كثير من التأمل، شعر أنه وصل إلى المكان الخطأ، حيث أوقف العربة معتقدًا أنه منزل الأب، كان هناك فضاء خال على بعد، بالضرورة هناك خطأ ما، بمجرد أن وصل إلى منطقته نزل من العربة غير مسيطر على سعادته بوصوله إلى المنزل، لكنه شعر الآن أنه قد نسى شيئًا وهو يرشد السائق إلى الطرق والاتجاهات، فجلس فى العربة :

"عزيزى سائق العربة .... أدر العربة .... يا أخى قد أتيت إلى منطقتى بعد زمن طويل .... ثم لا يوجد ضوء أيضًا.... لم أقدر الطريق تقديرًا صحيحًا فى الظلام .... سر الآن .... سأرشدك بحرص شديد ...."

" يا سيدى أخبرنى باسم منطقتك ....!"

"بد بخت تيرا كوئى شهر ہے .....؟"

" يا عزيزى ما الفائدة من الاسم .... أنا معك .... ما الذي يمكن أن يكون مخجلًا أكثر من أننى لا أستطيع الإرشاد والتوجيه إلى منزل أجدادي؟ .... نعم توجه إلى اليمين ....الآن إلى اليسار .... الآن إلى اليمين .... ثم انظر .... التقاطع الذى أمامك، توجه نحو أضيق طريق متفرع منه ....."

هذه المرة أرشد سائق العربة إلى طريق جديد تمامًا وبمجرد أن وصل إلى وجهته المنشودة في الظلام، نزل من العربة مصدومًا ورأى أن المكان المنشود كان قفرًا خاليًا:

" أف ... أف ... لقد حدث خطأ مرة أخرى .... أدر العربة يا أخى ... "

غير الطريق مرة أخرى، ومضى هذه المرة في الظلام مختارًا طرقًا أخرى، وفى هذه المرة أيضًا انتهت الرحلة في نفس القفر القاحل، للمرة الرابعة تقدم وهو يرتعش فى مسارات جديدة، ثم إلى نفس هذا القفر القاحل، كان يعتقد أنه لابد من وجود خطأ ما، لكن المناطق التي في الحي وتقع أمام منطقته كانت في مكانها وصارت هوية ودليل على منطقته، فقط هى منطقته ... لكن بيته كان مفقودًا من مكانه " .١(شوكت حيات، ١٩٩٢ : ص ٥٧ ، ٥٨)

---

١) "حيرت سے اس نے ادھر ادھر دیکھا۔ کافی غور کرنے کے بعد اسے احساس ہوا کہ وہ غلط جگہ پر آگیا ہے۔ جہاں بابا کا گھر سمجھ کر اس نے رکشا رکوایا تھا، وہاں تو دور دور تک چٹیل میدان تھا۔ اس سے ضرور کوئی غلطی ہوگئی ۔ گھر پہنچنے کی مسرت پر قابو نہ پاتے ہوئے وہ اپنا محلّہ آتے ہی ہڑ بڑا کر رکشا سے اتر گیا تھا۔ لیکن اب اسے احساس ہوا کہ راستوں اور سمتوں کے متعلق رکشے والے کو ہدایت دیتے ہوئے اس سے سہو ہو گیا ہے۔ وہ رکشا پر بیٹھ گیا۔
"یار رکشے والے ... گاڑی گھما لو... بھائی اتنے زمانے کے بعد اپنے علاقے میں آیا ہوں... پھر روشنی بھی نہیں ہے... اندھیرے میں راستے کا مجھے صحیح اندازہ نہ ہوا .... اب چلو .... پوری احتیاط سے ہدایت دوں گا....."
"بابو جی آپ محلے کا نام تو بتائیے ....!"
"یار نام میں کیا رکھا ہے ..... میں تو ساتھ ہوں.... اس سے زیادہ شرم کی کیا بات ہوگی کہ باپ دادا کی حویلی تک میں خود اپنی رہ نمائی نہ کر سکوں .... ہاں رکشا کو سیدھے ہاتھ موڑ لو.... اب الٹے .... اب سیدھے.... پھر دیکھو.... آگے جو چوراہا ہے۔ اس سے نکلتی ہوئی سب سے پتلی شاہراہ کی طرف ...."
اس بار اس نے بالکل نئے راستوں سے رکشے والے کی رہنمائی کی اور اندھیرے میں منزلِ مقصود پر پہنچتے ہی جھٹکے کے ساتھ رکشے سے اترا تو دیکھا کہ اس کے مطلوبہ علاقے کی جگہ چٹیل میدان تھا۔
"اف ف پھر غلطی ہوگئی ... رکشا گھماؤ بھائی ....-"
اس نے پھر راستے بدلے۔ تاریکی میں اس بار دوسرے راستوں کا انتخاب کرتے ہوئے آگے بڑھا اور اس بار سفر نے اسی چٹیل میدان پر دم توڑ دیا۔ جھنجھلاتے ہوئے چوتھی مرتبہ وہ پھر نئے راستوں سے آگے بڑھا اور پھر وہی چٹیل میدان ۔ اس نے سوچا ضرور کوئی گڑبڑ ہے، لیکن اس کے علاقے کے سامنے اور اڑوس پڑوس کے جو علاقے تھے، وہ تو اپنی جگہ قائم تھے اور اس کے علاقے کی پہچان اور حوالہ بن رہے تھے۔ صرف اس کا علاقہ .... اس کا گھر اپنی جگہ سے غائب تھا۔"

" لقد غير مساره مرات لا تحصى وفي كل مرة في هذا الظلام كان يواجه مصيبة السهل الصخري القاحل، ففكر؛ هل جميع الطرق في المدينة تؤدى إلى الصحراء ـــ أين بيتي ومنطقتي ...؟

صار هناك هياج بداخله، وضغط أحدهم بشدة على رقبته:

"يا قليل البخت! هل لك منزل ومنطقة ..... "

أصبح كأنه أصيب بسكتة، إحمر وجهه، باغته سائق العربة وكسر صمته.

حقًا أين منزلى ومنطقتى ....!؟"

لنذهب عن طريق المسجد هذه المرة !.... "

والنتيجة هى نفس القفر القاحل، طريق المعبد أيضًا يؤدى إلى القفر الترابى، حتى طريق الكنيسة لم يمكن أن يصل إلى أى مكان آخر غير هذا القفر الترابى " .١(شوكت حيات، ١٩٩٢ : ص٥٨، ٥٩)

وحيال هذا الصراع بين النفى والإثبات وهذا التوتر والقلق الدائم يفقد المهاجر بعضًا من مناعته الجسدية والنفسية، ويصبح فريسة لعديد من الأمراض النفس/جسدية، مثلما يتضح فيما يأتى :

" صار وجهه محمرًا، وكأن كل دماء جسده توجهت إلى وجهه، بدأت أنفاسه تتسارع، استلقى على مقعد العربة، اصطدمت قدمه بقدم سائق العربة، ولوى رقبته .

---

١) " اس نے ان گنت بار راستے بدلے اور ہر بار اس تاریکی میں چٹیل سنگلاخ میدان کی نحوست سے دوچار ہوا۔ اس نے سوچا، کیا اس شہر کے سارے راستے اسی چٹیل میدان تک پہنچتے ہیں ـــــ میرا گھر اور میرا علاقہ آخر کہاں ہے .....؟
اس کے اندر پھر کلبلاہٹ ہوئی اور کسی نے پھر اس کے پھیپھڑے پر دباؤ تیز کر دیا۔
"بد بخت تیرا گھر اور تیرا علاقہ کوئی ہے .....؟"
اسے جیسے سکتہ لگ گیا۔ چہرہ سرخ ہوگیا۔ رکشے والے نے اسے جھنجھوڑا تو اس کا سکوت ٹوٹا۔
سچ مچ میرا کوئی گھر اور میرا کوئی علاقہ کہاں ہے .....!؟
"اس بار مسجد والے راستے سے چلو .....!"
نتیجہ پھر وہی چٹیل میدان ۔ مندر والا راستہ بھی چٹیل میدان ہی تک پہنچا۔ یہاں تک کہ چرچ کے راستے بھی اسے چٹیل میدان کے علاوہ اور کہیں نہیں پہنچا سکے۔"

" يا سيد ... طبيعتك تبدو سيئة ... هل أتوجه إلى مستشفى في أى مكان؟"

كان ينظر إلى صاحب العربة فى عجز شديد، كأنه قد أصيب بالشلل، ولم يكن هناك صوت يخرج من فمه، أوقف السائق العربة ونزل وبدأ يهزه : " يا سيد .... يا سيد .....!"

"نعم ..! " كان صوته يخرج من بئر عميق ـــــ

"أنا بخير يا أخى صاحب العربة ..... يحدث مثل هذا في بعض الأحيان .....الأمر يا أخى أننى لا أستطيع تحمل الصدمة .... وأنا مع ذلك آخذها.... ولكن كلبًا ما قبع بداخلي ..... لا يمتنع عن الشر ..... يطعن كلما سنحت له الفرصة ..... "

" من الكلب ؟ "

"دعنا نذهب يا أخى ....دعنا نذهب ....لا أحد .... مثل ذلك الذى يتسبب لى فى المصائب .... إذا حدث شئ سيئ لى أنَّى له أن يتعذب .... لو أنا سبب مشاكلك .... أو أنت سبب مشاكلى ....فكل منا سيعتبر الآخر كلبًا...."

أدار صاحب العربة رقبته أثناء قيادة العربة :

"أنت وحدك يا سيدى .... فمن الذي تتحدث إليه .....؟"

يا أخى صاحب العربة .... لا تقلق .... أنا رجل مريض .... يخيم عندى بعض الثعابين وبعض الكلاب وبعض الخنازير .... عندما يتعرضون للهجوم أبدأ أهذى فى الحديث ...."١ (شوكت حيات، ١٩٩٢ : ص٥٥ ، ٥٦)

---

١) اس کا چہرہ سرخ ہوگیا۔ جسم کا سارا خون چہرے پر سمٹ آیا۔ اس کی سانسیں تیز تیز چلنے لگیں ۔ وہ رکشا کی سیٹ پر نیم دراز ہوگیا۔ اس کا پاؤں رکشا والے کے پاؤں سے ٹکرایا۔ اس نے گردن گھمائی ۔
"بابو جی .... آپ کی طبیعت خراب معلوم ہوتی ہے .... آپ کہیں تو اسپتال کا رخ کروں؟۔"
وہ آنکھیں پھاڑے ہوئے بڑی بے بسی سے رکشے والے دیکھتا رہا۔ اسے جیسے سکتہ لگ گیا تھا۔ چاہتے ہوئے بھی منہ سے آواز نہیں نکل رہی تھی ۔ رکشے والے نے رکشا روک دیا اور اتر کر اسے جھنجھوڑنے لگا۔
"بابو صاحب .... بابو صاحب .....!۔"
"ہاں ..... ! کسی گہرے کنوئیں سے اس کی آواز ابھر رہی تھی ـــــ

ويعرض الكاتب أيضًا مفهوم الهجرة عند والد البطل، حيث يتذكر البطل والده:

" شرع يتذكر العهد الماضى الذى يعتلج بداخله، كم كان والده عنيدًا ورجعيًا،لا يمكنه التخلص من عمليات المتابعة المنزلية، كم قال أنه قد تقاعد عن جميع مسئولياته، لكنه لا يؤمن بذلك، فهو لا يريد أن يترك أرضه ودهليزه، وعلى الرغم من التفسيرات المتكررة، قال إنه لا يريد أن ينقطع عن تقاليده، ففى مدافن أرضه تنبت براعم الحياة الجديدة، والذين انقطعوا عن جذورهم لا ينمون .... فكيف يقنعه أن التقاليد لا تنشأ في الأرض بل في القلب والعقل والروح؟.... وتسافر معهم .... المنزل والممتلكات ليست مدفنًا للتقاليد، ولكن أيضًا مذبح للتقاليد الجديدة ".١ (شوكت حيات، ١٩٩٢ : ص٥٦)

فهنا يفسر الأب هجرة الأرض بأنها انقطاع التاريخ والمسيرة، وانقطاع التاريخ معناه الفناء، والمسكن الأصلى هو منبع التاريخ والتقاليد والقيم المتوارثة، لذا فالأب يريد الاحتفاظ بأرضه بأى ثمن، وهنا تكمن المأساة فذلك التراث الذي كان عزيزًا على الأب لا يظهر الآن في أى مكان، وأولئك الذين لا يرغبون في الانقطاع عن الجذور انقطع المهاجرون عنهم، وغلبت المادية على الروحانية، وعم الظلام في كل ناحية،

"ٹھیک ہوں بھیا رکشے والے ..... کبھی کبھی ایسا ہو جاتا ہے ..... بات یہ ہے بھائی کہ میں صدمے برداشت نہیں کر پاتا ..... اور میں کر بھی لوں ..... لیکن وہ جو ایک کتّا میرے اندر بیٹھا ہے ..... وہ حرامی پن سے باز نہیں آتا ..... موقع ملتے ہی کچوکے لگاتا ہے .....-"

"کون کتا ....؟"

"جانے دو بھائی ..... جانے دو ..... کوئی نہیں ..... ایسے ہی وہ میرے لیے مصیبت بنا رہتا ہے ..... کچھ بُرا لگ گیا تو جانے کیسے عذاب میں مبتلا کر دے گا ....میں تمہارے لیے ..... یا تم میرے لیے مصیبت بنے ہوئے ہو..... مجھے کتّا سمجھنے والے کتّے..... -"

رکشا والے نے رکشا چلاتے ہوئے گردن گھمائی -

"آپ اکیلے ہیں بابو جی..... تو بات کس سے کر رہے ہیں .....؟-"

"بھائی رکشے والے..... تم پریشان نہ ہو..... میں بیمار آدمی ہوں..... میرے وجود میں کچھ سانپ، کچھ کتّے اور کچھ خنزیر اپنا ڈیرا ڈالے ہوئے ہیں..... جب جب ان کا حملہ ہوتا ہے بڑ بڑانے لگتا ہوں...."

١) " اندر والے کی طرف سے دھیان ہٹاتا ہوا عہدِ گزشتہ کو یاد کرنے لگا۔ اس کے ابا کتنے ضدّی اور رجعت پسند ہیں - ہوم سِکنس سے پیچھا نہیں چھڑا سکتے۔ اس نے کتنا کہا کہ وہ تو اپنی تمام ذمہ داریوں سے سبکدوش ہو چکے ہیں - لیکن وہ مانتے بھی نہیں - اپنی زمین، اپنی ٹیوڑھی چھوڑ کر جانا ہی نہیں چاہتے۔ بار بار سمجھانے پر بھی انھوں نے یہی کہا کہ وہ اپنی روایتوں سے کٹنا نہیں چاہتے۔ ان کے مدفن میں ہی نئی زندگی کی کونپلیں پھوٹتی ہیں اور جو اپنی جڑوں سے کٹ جاتے ہیں، وہ پروان نہیں چڑھتے .... اب انھیں کیسے سمجھایا جائے کہ روایتیں زمین میں نہیں بلکہ دل ودماغ اور روح میں اُگتی ہیں ..... سینہ بہ سینہ سفر کرتی ہیں ..... گھر اور جائیداد روایتوں کا مدفن ہی نہیں، نئی روایتوں کا مذبح بھی ہیں -"

وفي هذا الظلام يمر البطل بعملية شاقة لاستعادة واسترجاع الآثار القديمة/العناصر المضيئة، ويعانى من العبث النفسي المرير لعدم قدرته على الوصول إلى مسكنه ومنزله الأصلى.

كذلك فإن قصة " گهونسلا ـ العش" تعرض جانبًا مهمًا له دور بالغ في تفاقم الأزمة النفسية ومرتبط به، حيث تقدم مشهدًا مؤلمًا لهزيمة الحضارة القديمة في صراعها مع الحضارة الحديثة، وأيضًا غلبة وسيطرة مفردات قيم النظام الجديد في تصادمها مع القيم القديمة المتوارثة، وقد ساعد في إخراج هذا المشهد بعض تعبيرات الكاتب، مثلًا في قوله : " كان الظلام قاتمًا في الخارج، وقد طغت على كل شئ حالة من الاختفاء الغريب المفعم بالأسرار" ١ (شوكت حيات، ١٩٩٢ : ص ٥٣)؛ فهذا الظلام والاختفاء هو رمز الحضارة المفقودة التى ضاعت والقيم التى زالت، تلك الحضارة التى تعد عنصرًا منيرًا يضئ نفوسنا، وزوالها يعنى ظلام النفس وضياعها، وعندما سأل البطل عن سبب الظلام وانقطاع الضوء أجابه أحد المارة قائلًا:

" منذ أن زادت إمدادات الطاقة الكهربائية فى المدن الكبيرة تم تخفيض الحصة هنا.... وينقطع الضوء لفترة طويلة .... ولا تسأل عن حال القرى المجاورة لها.... فعلى الرغم من وجود خط كهرباء، إلا أن الجميع يتعطشون لشعاع من الضوء.... ولا يوجد إنتاج في أي مكان .....!"

تقدم وهو يشتم المدن الكبرى بشتائم بذيئة، لم يكن الليل طويلًا، لكن كان ليلًا ثقيلًا بسبب الظلام ".٢ (شوكت حيات، ١٩٩٢ : ص ٥٤)

أى أن الضوء الذي كان ينير لهم قد انتقل إلى المدن الكبيرة حيث طغيان التحضر والتمدن، وأصبحت القرى المحيطة متعطشة للشعاع رغم وجود خط الكهرباء .

١) " باہر گھپ اندھیرا تھا۔ ہر شے پر ایک عجیب پُر اسرار سی گم شُدگی کی کیفیت طاری تھی"
٢) "جب سے بڑے شہر میں بجلی کی سپلائی بڑھ گئی ہے، یہاں کا کوٹا کاٹ دیا گیا ہے..... بہت دیر دیر کے لیے روشنی غائب رہتی ہے .... اور اس پاس جو گاؤں ہیں، ان کا تو حال پوچھو ہی مت ..... بجلی کی لائن ہوتے ہوئے بھی سب ایک۔کرن کو ترستے ہیں ..... کہیں کوئی پیداوار ہی نہیں ہوتی .....!۔"
بڑے شہروں کو سڑی ہوئی گالیاں دیتے ہوئے اس نے قدم بڑھائے۔ رات زیادہ نہیں ہوئی تھی لیکن دبیز تاریکی کی وجہ سے ڈھلی ہوئی رات کا گمان ہوتا تھا۔"

وفي قول الكاتب في نهاية القصة أيضًا هناك تلميح إلى طغيان المظاهر الحضارية:

"شرع سائق العربة يبكى بشدة، فقط استطاع أن يقول بصعوبة بالغة وهو يبكى:

"المنطقة التي تبحث عنها، القرية التي كنت تبحث عنها، تحولت مؤخرًا إلى قفر قاحل بواسطة الجرافات .... أنا أيضا كنت أتجول كالمجانين في المدينة بأكملها لأسابيع وأصل إلى نفس الميدان المقفر مرارًا وتكرارًا .... اقتلعت الجرافات كل شيء .... تحولت القرى المستوطنة إلى تراب ثم صارت قفرًا قاحلًا .... متجري وبيتي وجميع أفراد عائلتي دُفنوا أحياء .... يا بنى كنت قد صبرت لكن بعدما رأيت اليوم هذا القفر الترابى مرارًا وتكرارًا تجددت جراحى .... يا سيدى .... يا سيدى .... هل تسمع؟

هذه المرة، لم ينكسر صمت السيد أيضًا حتى بعدما نبهه سائق العربة مرارًا ..... كان فى السماء البعيدة طائر صغير يطير بكل قوته نحو عشه ".١ (شوكت حيات، ١٩٩٢ : ص ٥٩)

فالجرافة "البلدوزر" هنا رمز الحضارة الصناعية الحديثة التى أمحت كل معالم الحضارة القديمة، هذه الحضارة القديمة التى كانت المعنى الروحي والفكري والنفسي الآن تم دمجها بشكل كامل بالحضارة الجديدة، فصارت في مواجهتها قفرًا قاحلًا بزوال التراث والقيم التى ترتبط بها النفس، فأصبح كل شئ مشوهًا وغامضًا وباعثًا على النفور والقلق والترقب، فلقد انهدم ذلك العش الذي جاء إليه البطل محلقًا وباحثًا عنه

١) " رکشا والا اور زور زور سے رونے لگا۔ روتے ہوئے بڑی مشکلوں سے وہ بس اتنا ہی کہہ سکا۔
"تم جس علاقے، جس بستی کو ڈھونڈ رہے ہو، اسے عرصہ پہلے بلڈوزروں نے چٹیل میدان میں تبدیل کر دیا ..... میں بھی ہفتوں اسی طرح پورے شہر میں دیوانہ وار پاگلوں کی طرح چکر کاٹتا ہوا بار بار اسی چٹیل میدان تک پہنچتا تھا .... بلڈوزروں نے سب کچھ اجاڑ دیا .... بھری پُری بستی کو ملیے میں تبدیل کیا اور پھر چٹیل میدان بنا دیا ..... میری دکان، میرا گھر اور تمام اہل وعیال زندہ درگور ہوگئے .... بیٹے میں نے تو صبر کر لیا تھا لیکن آج بار بار اس چٹیل میدان کو دیکھ کر پُرانے زخم ہرے ہو گئے ..... بابو جی ..... بابو جی ..... تم سُن رہے ہو .....؟"۔
۔ اس بار رکشے والے کے بار بار جھنجھوڑنے پر بھی بابو جی کا سکوت نہیں ٹوٹا۔ دور آسمان میں ایک چھوٹا سا طائر اپنی پوری طاقت سے اپنے گھونسلے کی طرف پرواز کر رہا ہے..."

بعيون تملؤها الحسرة لكنه لم يعثر عليه، وفي تلك اللحظة تفرز معاناة الهجرة النفسية والتى تعد من أهم المشاكل النفسية التى قد يواجهها الإنسان .

وفى نهاية الدراسة يمكن القول بأن النفس الإنسانية بما يصيبها من عقد ويعترضها من صراعات ويضنيها من أزمات ومشكلات قد حظيت باهتمام أدباء القصة الأردية القصيرة انطلاقًا من أن النص القصصي يظل دائما هو المعبر الحقيقي عن ذلك الجزء المهشم من الوجود"النفس"؛ بما يمتلكه من قدرة على تتبع نغمات التأوه ورصد أماكن التألم

الخاتمة

عنيت هذه الدراسة بقراءة نصوص من القصة الأردية القصيرة، وهى نصوص مؤهلة للقراءة النقدية وفق آليات منهج التحليل النفسي؛ حيث سعت للتعبير عن دوافع وصراعات وعقد ومشكلات نفسية مكبوتة، وقد خلصت الدراسة إلى عددٍ من النتائج، كما يتضح فيما يلي:

١ـ جاءت القراءة النفسية لمنتخبات من القصة الأردية القصيرة تجسيداً لفاعلية الحركة النقدية النفسية الخصبة من خلال التعامل مع النصوص القصصية بكل أبعادها المعرفية والنفسية من أجل تقديم رؤية نقدية مختلفة للنص القصصى .

٢ـ تباين كتاب القصة الأردية القصيرة في التجارب النفسية والانفعالية التي قاموا بعرضها، فمنهم من اهتم بتجسيد وإبراز الشخصية المعقدة نفسياً سواء كانت تدرك الشخصيات عقدتها والخلل النفسي الداخلي التي أحدثته العقدة فتتوجه للطبيب من أجل العلاج، أو لا تدركها فتتصرف الشخصيات تصرفات غير سوية بدون وعي أو إدراك بطريقة يفطن إليها القارئ فيسعى إلى تحليلها متسلحاً بقراءته النفسية.

٣ـ كشف بعض كتاب القصة القصيرة الأردية في قصصهم عن الصراعات النفسية بين قوى النفس المتصارعة، أو بين الأنا والآخر، وكذلك الآليات الدفاعية التي تلوذ بها "الأنا" حتى تواجه هذا الصراع، وتخفف من حدته.

٤ـ أبرزت الدراسة مشكلتين من أهم المشكلات النفسية التي تواجه الفرد في المجتمع؛ إحداهما مشكلة الحرمان البيئي وما يترتب عليه من انحراف وتشوهات في سلوك الأطفال، وذلك انطلاقاً من أهمية الطفولة في تكوين محتويات اللاوعي لدى الطفل، والأخرى مشكلة الهجرة وما ينتج عنها من معاناة وآلام نفسية تظهر في صور مختلفة كالنوستاليجيا ومحاولة رفض الواقع.

٤- قد لا يغلب الجانب النفسي على القصة، بحيث يتم تصنيفها فور النظر إليها، ولكن تنطلق القراءة النفسية من جزئياتها دون كلياتها بحيث يقدم القارئ تصوراً ينسجم مع أدوات المنهج النفسي الذي اتبعه.

٥- إن عملية القراءة الإنتاجية للنص القصصي موضع الدراسة ليست نهائية كون النص مفتوحاً ويتقبل العديد من القراءات، لأنه يعد كياناً لا محدوداً منفتحاً على كل العوالم، ولأن معانيه تتعدد بتعدد قرائه؛ حيث يعد النص الأدبي مادة خام غير نافذة.

الترجمـــــــة

١ـ ذلك الشيخ

تلك الصحراء الجرداء حيث لا يوجد بها إنسان، يلفها الهواء من كل ناحية، كان ذلك الشيخ يمشى، يهتز ويرتجف، يسقط ويتماسك، قدمه مجروحة من أحجار وأشواك الطريق، يغطى عينيه حجاب من الغبار، الظهر محنى من ثقل السن، على الجبهة خطوط لا حصر لها، على وجهه المثقل بالتجاعيد ألوان الفكر والتأمل، العزم واليقين، الأمل واليأس، اقترب منه، سمع الشيخ يقول شيئًا، فأنصت إليه فسمعه يقول :

سأعبر هذه الصحراء

سأخرج منها

لا أرغب أن أتنفس آخر نفس فى حياتى فى هذا الخراب، فهل كنت قد عمرت الخراب من أجل ذلك؟ أنا ....أنا، ثم ثقلت أنفاسه، وأخذ يلهث، بدأ يفكر : من هذا الشيخ؟ أين يذهب شيخ ضعيف وهزيل والذى يعيش على أنفاس محدودة، أى عمران ... أى خراب .... ما الفرق فالموت مؤكد له، وبينما كان يفكر التفت الشيخ خلفه وشاهده، فقال مسيطرًا على أنفاسه :

من أنت يا سيد ؟ إلى أين تذهب ؟

نعم ؟ أنا ؟ أنا فقط قد خرجت للصيد، ضللت الطريق وجئت إلى هنا، والآن أعود إلى منزلى

ابتسم الشيخ وقال: أنت تحب الصيد ـــــ

لأساعدك ـــــ

لا ... لا ... لست بحاجة للمساعدة، أستطيع أن أمشى بنفسى بدون مساعدة أحد، لتنظر أنا أمشى، وبينما كان يقول هذا بدأ يتعثر، ولو تقدم بسرعة دون مساعدة حتما سيقع ... هكذا فى ذلك الوقت بدأ يساعده وبدأ يمشى ولا يشعر أنه يمشى بمساعدته، ظلا يمشيان، وفى النهاية قدر الله وظهرت شجرة، كان الشيخ قد تعب، وأنفاسه كانت كالمنفاخ .

يا سيدى ! من أنت ؟ وأين تذهب ؟

أنا عبد الله

لماذا أتيت إلى هنا ؟ بحثًا عن السكون وطمأنينة القلب .... ؟

سمع الشيخ هذا وابتسم، وكانت تلك الابتسامة تبدو جميلة للغاية على وجهه .

يا بنى! الزهاد والرهبان هم من يحظون بطمأنينة القلب وسلام النفس فى الغابات والصحارى وليس البشر العاديين .

أنا بذلت حياتى بأكملها من أجل تعمير الخراب، أضأت المصابيح فى الظلمات، قد بحثت عن طرق جديدة، بحثت عن طمأنينة النفس فى العمران بين الناس ووجدتها.

إذن فماذا تفعل هنا ؟

تحدث إلى الشيخ وشرع يحاول أن يشتت انتباهه رغبة فى أن يمنعه من السير.

لا أدرى من جاء بى إلى هنا وتركنى .... لا أتذكر أيضًا، لو أحسب عمرى بالسنين يبدو طويلًا جدًا وإذا أفكر بتلك الأعمال التى تسكن فى قلبى حسرة على عدم القيام بها فيبدو العمر قصيرًا للغاية، أربعة أيام ... فقط أربعة أيام، نعم، ماذا كنت أقول

قال بسرعة : كنت تتحدث عنك .

نعم كنت أخبرك أننى أفنيت حياتى بأكملها فى تعمير الخراب، عمرت القرى، بحثت عن طرق جديدة، أضأت المصابيح فى الطرق المظلمة، ظللت أفعل هذا ثم عندما رفعت رأسي وبدأت أحسب شهور وسنين حياتى، أدركت أن الوقت المتبقى الآن قصير جدًا، والآن نظرت حولى فى كل الجهات، وشرعت أبحث عن مثل هؤلاء الناس .... بدأت أنفاس الشيخ تتثاقل مرة أخرى، وكان يبدو ضعيفًا للغاية .

فسأل هو الشيخ : كنت تبحث عن من ؟

عن أولئك الناس الذين يعمرون الخراب مثلى ويواصلون هذه السلسلة من الأعمال.

هل أتوا ؟

لا يا عزيزى كانوا مشغولين، لم يكن لديهم فرصة من الوقت لسماع كلامى أنا الشيخ، كان وقتهم ملكهم، ووقتى أنا ضاع منى.

ألم يأت أحد؟

كأنهم لم يأتوا، فأتى البعض لكنهم قالوا : نحن نعيش فى العمران وبالبقاء هنا لن نوفر لأنفسنا مزيدًا من الرفاهية، وما الفائدة من تعمير الخراب من أجل الآخرين ؟

وصفنى بعض الناس بالجنون، وفى رأى البعض كانت رغبتي هذه عبثًا لا طائل منه، والبعض كان يحب سرعة الوصول إلى الهدف، كان البعض سعداء بالجلوس في منازلهم لمجرد أنهم يجلسون في المنازل ـــــ وبعد كل هذا جاءت راكضة نحوي .

من ؟

تلك التى لم ألتفت إليها قط، وأكدت أنه لن يستمع لى أحد، ولن تستمر هذه السلسلة من الأعمال، لم أعيرها اهتمامًا، فأتت وشرعت تهمس فى أذنى التى أصغت إليها كثيرًا :أنت الذى أفنيت عمرك الغالى فى تعمير الخراب، وبددت الظلام بإشعال المصابيح، ولم تعبأ بالعواصف والأعاصير، والآن أيضا تفكر فى أن يستمر هذا العمل بعدك، لم أعترف بكلامها كالعادة، فجاءت وشرعت تقول: الذى يمكنك فعله فعلته والآن لا تفكر فى ماذا يحدث بعدك، الآن اجلس وانتظر الموت، قد صربتُ منهك القوى بسبب تلك الصدمات المتواصلة، فإذا به يدعمنى ويساندنى كالمعتاد، وقال : لا، هذا خطأ ستبقى هذه الأعمال من بعدك، وبالضرورة سيكون هناك مثل هؤلاء الناس الذين سيكونون أمناء على هذه الأمانة، وسيتحملون على عاتقهم هذه المعاناة، ولكن متى جرني إلى هنا؟وكيف؟ أخذ الشيخ يلهث، وأخذ جسده يرتجف كالورقة، فكر: " لماذا لا أنقذ عين هذا الشيخ المسن وأذهب من هنا ؟ كانت ظلال المساء تزداد قتامة، كان يشرب الماء من القارورة فقال الشيخ :

يا سيدى ! لتعطنى أيضًا بضع قطرات من الماء ـــــ

سكب الماء فى حلق الشيخ، ذهب بعضه في فمه والبعض الآخر سال هنا وهناك وتم امتصاصه بعد أن صنع بعض الخطوط في رقبته المغبرة بالتراب، ثم حمل حقائبه وتقدم مسرعًا .

كان الشيخ يقول شيئًا ما، تظاهر بأنه لم يسمعه، فكان عليه أن يصل إلى المنزل بسرعة، مهما لازمته هذه المصيبة.

عبرت هذه الصحراء، أليس كذلك؟ لماذا يا سيد، ألم أقل أننى سأخرج من هذه الصحراء، فتوقف وكان قلبه قد تعلق بالشيخ .

ألا تتحدث يا سيدى!، لماذا أنت صامت ، لم يستطع المضي قدمًا، فأتى عنده وقال:"يا سيدى! لقد جئتَ إلى العمران، وتخرج من الصحراء"، نعم، هذا ما كنت أقوله، هؤلاء أيضًا وأولئك كذلك وأنت أيضًا، كلكم تقولون نفس الذى أسمعه، ألست وحيدًا! لا بالطبع لا ـــ العمران ـــ الخراب ـــ المصباح ـــ وبدأ الشيخ يلفظ أنفاسه، نعم يا سيدى، نحن جميعًا نقول الذى تسمعه، نحن سنعمر الخراب مثلك، وسنضئ الطرق المظلمة، فى تلك اللحظة كانت على وجه الشيخ ابتسامة، وصار مطمئنًا تمامًا، كانت ألوان الثقة والاطمئنان تلوح على وجهه، حتى بعد الموت، ووقف يفكر هل يذهب إلى العمران ويوصل رسالة الشيخ هذه للناس.

هل سيستمع الناس إلى حديثه؟

أوه ... لا ...هل هذا قليل أن استطاع الشيخ أن يموت بهدوء بسبب ذلك .

ياه ! كم أصبح الظلام حالكًا، بدأ يتقدم بسرعة نحو العمران، العمران حيث كان منزله المريح، حيث كان الهدوء، وكانت العافية، وكانت الراحة، وحيث يجلس ويستطيع التفكير فى تدبير مزيد من الراحة له، لكن ـــ العمران ـــ الخراب ـــ الطرق الجديدة و ـــ ذلك الشيخ ـــ

٢ـ الأمر بأسره

لا، هذا الطبيب لن يفهم، بينما أتحدث يظل ينظر ناحيتى ببلاهة، لا يفهم كلامى، أقول مرارًا : يا دكتور! تنتابنى حالة من الخوف، لتعطنى أى دواء يخلصنى منها أو يقلل من التوتر الناتج عنها، هو لا يجيب بشئ، وتظل أطناب خوفى تشتد،

وهناك توتر كل يوم، والضيق الذى يتزايد باستمرار، يسأل الطبيب : هل هناك خوف غير منطقى ؟ أنظر ! لابد أنه سيكون غير منطقى، إذا كان منطقيًا فلا بأس، بعد رؤية الثعبان أخاف فهذا جيد ـ حينها ـ ينبغى الخوف، لو أنظر إلى الخط المتعرج فأخاف، يكون من الواضح أنه ثمة مشكلة، تبدو هناك عقدة ما، من ثم جئت للحصول على المشورة .

يسألنى : مما تخافين ؟ أقول : "أنا لا أنسى هذا الأمر أينما كنت" فسأل : ما الذى لا تنسيه ؟ أقول : "لا أنسى من أكون أنا، وما هى مكانتى فى المنزل، ما هو شأنى " صار متحيرًا تمامًا لهذا الأمر، يصمت لفترة ثم يقول: " أخبرينى الأمر بأكمله يا سيدتى ! "

الآن كيف أخبره الأمر بأسره، ولو أريد أيضًا لا أستطيع أن أخبره، هل قال أحد من قبل القصة كاملة؟

الوالدان لا يتحدثان، الأب لا يتحدث على الإطلاق، الأم تحكى النصف، مهما يروى الأصدقاء الأمر كله، لا يكون كاملًا، أثناء الحديث تمنعنى عقدة أو عقدتان، عزفنا عن التحدث مع الآخرين، ولا نصارح أنفسنا أيضًا بكل شئ، إذن كيف أخبر الطبيب بالأمر كله؟

من المدهش أن الأطباء ليس لديهم علاج للخوف، فى الوقت الحاضر صارت جميع الأمراض عقلية؛ خوف، توتر، قلق،أرق .

كان لدى أمى قرحة الإثنا عشر، وكان الطبيب يقول لها:إنها بسبب التوتر، ثم عالج القرحة لا القلق، فحدث نفس الشيء، ألم في البطن، ووخز في العين.

ظل خوفى هذا يهدد حياتى، وهو حالة حديثة، قد تزوجت منذ عامين، قبل الزواج لم يكن هناك أى خوف، لا أفهم لماذا كبلنى الخوف بعد الزواج!

يقول الطبيب : "هذا بسبب البيئة "

بعد الزواج صارت بيئتى رحبة للغاية،لا فكر،لا قلق، لا ضيق، لا سخط، لم يكن لدى مطلقًا مثل هذا القدر من الراحة، صرت أعيش فى رفاهية عارمة، وزوجى تتوق روحه إلى، لا يتنفس دون أن يرانى، يظل يتردد على كل الوقت،الذى أطلبه

يجيبه والذى أرغبه موجود، وهكذا أقضى حياتى مثل زهرة اللوتس المنبتة فى القوارير الزجاجية، لا مانع ولا قاطع، أفعل ما أريد، أحيا كما أريد، لا حماة على رأسى، لا رقيب ولا سيد، فى المنزل كفاية من الخدم؛ بستانى، حارس، طاهى،عامل نظافة، أو نحن الأربعة؛ ملك فاروق، أنا، أمان، جهان آرا، الآن أخبرنى هل فى هذه البيئة متسع للخوف؟ قبل الزواج لم يكن هناك توتر على الإطلاق، كثير من التوتر لدى أمي، قليل بالنسبة لي؛ منذ أن كنت صغيرة وأنا أعيش بلا قلق، كانت منزلتى عند أبى وأمى مكللة بالورود، نضرة فى كل لحظة،عطرة طوال الوقت، كانت أمى تعتنى بالزهرة بجهد كبير، وشرعت ترويها بالماء بعناية شديدة حتى لا يكون هناك نقص في النضارة .

كانت لدى أمى رغبة واحدة فقط، وفكرة وحيدة كانت تضنيها هى متى يتوج أحدهم رأسه ويضع إكليلًا حول رقبتها، لا، ليس هناك مثل هذه الرأس ـــــ مثل هذه الرأس التى توجت من قبل بتاج الثروة والمكانة، إذا كان الأمر يتعلق بأى رأس، فلن يأخذ الأمر شوطًا طويلًا، لا أعرف ماذا يحدث فى مثل تلك الأوضاع، على كل حال لا يحدث مثل هذا الشئ الذى حدث .

طيلة عمرى كان على أن أعيش كلوحة مزينة، وكان هذا هو طلب أمى أن أصبح لوحة ملونة طوال الوقت وأنتظر إشارتها لقدوم الفرصة، وبمجرد أن تعطى إشارتها أقدم نفسى، تظل أمى تزيننى كل الوقت، وتضع فى الطبق الفستق واللوز، وتزينه بالورق الفضى، وتتفحص كل شئ فى بشدة، إرتدى هذا ولا ترتدى ذاك، إرتدى هكذا ولا ترتدى كذلك، إنهضى هكذا واجلسى هكذا،ابتسمى هكذا، تحدثى هكذا، قدمى المشروبات هكذا، إصنعى الشاى هكذا، قدمى التنبول هكذا، انظرى هكذا، اضحكى هكذا.

كنا بنتين؛ أنا ورمنا، كنت أنا الكبيرة، لهذا كان جل الاهتمام منصبًا على، آنذاك لم يكن فينا نحن الأختين ما يلفت الأنظار أو يسترعى الانتباه، ملامح مألوفة، لون عادى، جسد عادى، أتى الشباب فأصبح خفيًا أيضا، فلم أعرف أنه قد جاء.

لم يعثر أحد أيضًا على سر الشباب، فيأتى للبعض من الخارج، وللبعض من الداخل، كانت صديقتى أثمة ذات وجه ذابل نحيف، هكذا بعدما تفتق الشباب وبمجرد

رؤيتها بدى الشباب معرضًا، فظهرت الزهور والأوراق وصارت النبتة الصغيرة مرجًا مزهرًا، وأصبح الشباب كله مكدسًا ظاهرًا فى الخارج، ودقت مثل هذه الترانيم التي تعلن من بعيد أن الشباب قد جاء .

ثم كانت هناك نادرة أيضًا، لم يحدث شئ بالخارج، وبالداخل كانت مثل هذه الدوامات تدور والتى يصبح الجلوس صعبًا بعد توقفها، وكانت هى لا تظهر عدم الارتياح، لكن المسكينة كانت غير مطمئنة، وهناك أيضًا مثل هؤلاء الذين يتلونون من الخارج والداخل كليهما، فمن الخارج تتفتح الزهور ومن الداخل تتفجر الأحجار .

وبالنسبة لى فلم يحدث شئ أيضًا، فلم تتفتح الأزهار من الخارج، ولم تتفجر الأحجار من الداخل، بالضرورة كان هناك فوران بالداخل، وفى الخارج أظل جافة، فلماذا لا تصاب الأم البائسة بقرحة؟ ولماذا لا تستمر دائرة التوتر، الخطط التي وضعها والداى من أجلى لم يحصلا فيها على قليل من التشجيع .

كان والداى على دراية كبيرة، كانا يعرفان من جاء في الأوساط الراقية ومن ذهب، كان شرطًا أن يكون من الطبقة العليا أو من رجال الأعمال، كان لديهما علم ببيانات كل وافد جديد، خاصة أولئك الذين لديهم شباب في منازلهم، كانا يقومان بزيارات اجتماعية لمنازل كل وافد جديد بعناية كبيرة، كانا يذهبان بمفردهما فى المرة الأولى، وفى المرة الثانية يصحبوننى معهما، وإذا كانت الظروف مواتية كانا يدعوان أبنائهم الشباب بحيلة ما، فى هذا اليوم كانت أمى تعتنى بى عناية خاصة، وتضع فى الأطباق الفستق واللوز .

نضحك ونتحدث في غرفة الرسم لفترة طويلة، ثم فجأة يتذكر والداى أمرًا ضروريًا، فيقولان لى: " يا امنا سنأتى الآن، أنت العبى قليلًا بلياردو مع آصف ، وأيضًا اعتنى بآصف حتى نعود "

أتذكر من قبل أنه قد وضعت سلسلة الباب على منزل ابن الشيخ، وظلت موضوعة لمدة عام وظللت فى انتظاره، كان ابنه أمجد شغوفًا بالكتب لدرجة أنه لم يهتم كثيرًا باللعب، لم يدرك أن الكتاب النابض بالحياة أكثر جاذبية من الكتاب الورقي،

لكن أقارب والدة أمجد لديهم بنات كثيرات، وكثيرات منهن حسناوات ولهذا لم يتم الأمر.

ثم توطدت العلاقة مع السيد خان، خرج ابنه سعيد، كان اجتماعيًا للغاية، وعقدت أمى الآمال، لكن سرعان ما انتبه والداه وحجما ابنهما، صار من الواضح أنه ليس مستعدًا لهذا الحد .

تم اختبار السيد "بهربت"، لكن سرعان ما عُرف أن ابنه مرتبط ويستعد للزواج.

تم تغيير المسالك مرارًا وتكرارًا، وتجريب أساليب متنوعة، بدأت الألعاب المنزلية فى غرفة النوم، وطولعت الكتب، واستمر تناول الوجبات الخفيفة، واحتساء أكواب الشاى والقهوة، ولُعبت موسيقى البوب، ووُضعت برامج للتنزه، لكن لم يحدث شئ، وبقى الأمر على ما هو عليه، فقط كان الوقت يخرج من أيدينا، وكان العمر يمر، ويزداد توتر أمى، ويتفاقم ألم القرحة، وهكذا مرت ستة أعوام، والبيت تغلب عليه أجواء من اليأس، ثم فجأة لاح فى الظلام شعاع جديد، تم التعارف على ملك فاروق، وأتى إلينا هو بنفسه.

كان ملك فاروق رجل مرح للغاية، راقٍ، طويل، أشقر، ممتلئ، اجتماعي، رغم أنه فى سن الخمسين، لكن الطبيعة ملونة كأنه فى سن الثلاثين، كما كانت بيئة المنزل مواتية للغاية، كانت قد توفيت الزوجة، وابنه الكبير فى السنة الأخيرة فى الهندسة، كانت أخته الصغرى جهان آرا في البكالوريوس.

ومع اللقاءات ازداد الاندماج فيما بيننا لدرجة أن يوم العطلة إما تقضيه عائلة ملك فاروق عندنا، أو نذهب نحن إليهم أو نخرج فى نزهة وننصب الخيم.

كان أمان ابن السيد ملك رفيقًا عزيزًا جدًا، طويل القامة، بشوشًا، كان فى حديثه بريق رجولة، واستغناء عجيب، بمجرد رؤيتي له، شعرت كما لو أنني قد أدركت مثاليتي، فى الحقيقة بعد رؤية أمان، كنت أتصبب عرقًا، بناء على توجيهات أمى، أوجدت علاقة مع عدد من الشباب، لكن لم أبادر أبدًا من نفسى، بالضرورة كنت قد وضعت سلسلة تربطنا لكننى لم أصنع حلقاتها بنفسى .

في نفس الوقت تولدت الراحة فى نفس أمان، والاستغناء أيضًا، كان يجلس معى بالساعات، يتناقش، يلعب الألعاب، ويستمع إلى موسيقى البوب ، ويحتسى الشاي، لكنه لم يشعر أبدًا أن لديه فتاة تجلس بجانبه، كان هذا الأمر واضحًا لى كثيرًا، وعلى العكس من ذلك كان السيد ملك ظريفًا للغاية، كان يألفنى بشدة، يجلس بجوارى كثيرًا، يسمعنى حكاياته القديمة، نضحك ونتحدث، يتلألأ بريق فى عينيه، يتحدث بصوت عالٍ، فصيح فى حديثه، فكنت أتوتر.

بعد الالتقاء بعائلة ملك، بزغ بصيص أمل في عيون أمي، وصارت عيناها تراقبنى، كانت فيها صلاة ؛ صلاة عاجزة؛ دعاء : "امنا! الآن قد دار هذاالقارب، والمجداف فى يديك، كان هناك الكثير من التوسل في نظرات أمي لدرجة أنني اتخذت خطوة لم أكن لأتخذها أبدًا، في تلك الليلة كنا نجلس في غرفة نوم أمان نلعب المونوبولى؛ حيث أمان، أنا وآرا، دقت الساعة التاسعة، فبوغتُّ: " لقد تأخرت كثيرًا، ستظل أمى فى انتظارى، جهان آرا! لتتصلى بأمى على الهاتف كى ترسل لى السائق" نهضت جهان آرا ومشت، وبقينا أنا وأمان بمفردنا، فتقدمت نحوه خطوة، وكنت متعبة فوضعت رأسى فى حضن أمان .

ألقى أمان برأسى، نهض مضطربًا : "هل أنا وسادة؟" كان فى صوته غضب شديد، ثم وقف أمامى وخاطبنى قائلًا:ى"هل نظرتِ فى المرآة من قبل ؟"

جملته هذه قطعتنى، كأنه بصق على وجهى، صارت بداخلى رغبة عارمة فى الإفساد والتحطيم، فخرجت من الحجرة كالمجنونة، وهرعت نحو الهاتف، كنت أرغب فى تحطيمه، الانتقام، الانتقام، وتوقفت فجأة، كانت حجرة ملك فاروق أمامى، ففتحت الباب ودخلت .

لا، الطبيب لن يتفهم أمرى.

يسألى: "أى خوف؟" أقول : "من هذا الأمر الذى لا أنساه أينما كنت؛ وهو من أكون أنا ؟ ما هى مكانتى فى المنزل، ما هو شأنى" فيشعر بالحيرة بشأن هذا، ثم يقول : سيدة فاروق ! لتخبرينى الأمر بأسره، الآن كيف أخبره الأمر بأسره؟

٣ـ الأليف المحبوب

تمطى سليمان ثم فتح عينيه ونظر حوله وكان ذلك الحذاء ملقى علي الفراش معه، وكانت توجد بعض الوسادات تحت رأسه وأوراق وكتب تحت خصره، وكانت هناك أكوام من الكتب والأوراق مبعثرة في كل مكان على الفراش؛ فى الناحية الأولى كانت تختلط بعض الكراسي، وكانت هناك ملابس ملقاة علي بعض الكراسي، وعلى أحد الكراسي كانت الوسادات تقع فوقه وتحته وكأنها موجودة في سلة خبز .

تفحص الحجرة بأكملها وهو ملقى على الفراش ونظر لهذه الفوضى وابتسم، ثم تمطى مرة أخرى مناديًا على خادمه : "ننهى! يا ننهى! " ثم شرد في النظر إلى متهو وهو يغنى أغنية درامية، كان متهو حيوانًا أبيض اللون، والذى كان قد أخذه على سبيل الهدية من أحد أصدقائه، على الرغم من أنه لم يكن لديه شغف بالحيوانات، لكن بعدما رأى هذا الببغاء الأبيض تعلق قلبه به، فصنع قفصًا لهذا الببغاء والذي كان من معدن أبيض لامع خفيف، ومنذ ذلك اليوم أصبح هو ومتهو أصدقاء، في كثير من الأحيان كان يجلس وينظر لمتهو أو يتحدث معه، لكن المشكلة هى أن متهو لا ينطق، كان يصرخ أحيانًا ويجذب انتباه سليمان ناحيته ثم يجلس صامتًا يستمع لحديثه، كان عدم حديث الببغاء يروق لسليمان أيضًا، لأنه كان قد شاهد مثل تلك الببغاوات التى تصرخ طوال الوقت: سيد متهو سيد متهو وتأكل الرأس، أكبر ميزة لهذا الببغاء والتي أحبها سليمان هى أن أسلوب جلوسه كان فريدًا، أحيانا يكون حزينًا وأحيانًا يضيع في التفكير مثل الفيلسوف أو ينظر إليه وهو جالس فيشعر كأنه سينهض ويبدأ في الرقص، كانت كل أساليبه مشحونة بالتعبير، كثيرًا ما قال سليمان : "هذا الببغاء كتلة تعبير"، إضافة إلى ذلك كان لديه جودة جمالية في كل نمط جلوس، ربما لهذا السبب تولد الراحة في قلبه عند رؤية الببغاء، ويبدأ يشعر كما لو أن هذا الببغاء يعيش بالمعنى الحقيقى، ويحاول أن يخلق هذه الحالة فى نفسه وربما لهذا السبب اعتاد أن يعيش سعيدًا فى كل وقت.

وقف رجل بدين يحمل قبعة تشبه السفينة عند الباب :" هجوـــــ ! "

بوغت وقال عندما رأى ننهى واقفًا عند الباب :" نعم ـــــ ماذا ـــــ ؟ "

نظر الخادم ناحيته بقلق : " هجور! ـــــ هجور، قد استدعيتنى "

" اوه !" ابتسم : "حسنا أنا قد ناديتك .. نعم .. حسنا .. حسنا ـــــ أحضر لي الشاي "

" الشاي " قال الخادم وهو يومئ برأسه ثم نظر صوب الساعة كأنه شرع يقول لنفسه :" إنها الساعة الثالثة الآن ! "

" نعم إنها الثالثة الآن " ابتسم سليمان ونظر للساعة : " إنها الثالثة الآن، حسنًا سنحتسى الشاي في الثالثة والربع، إذهب" خرج الخادم وهو يومئ برأسه مجيبًا، ضحك سليمان مقهقهًا ثم تمدد على الفراش وشعر كأنه حاكم ولاية ما .

كانت طبيعة سليمان متحررة من الضغوط، تتخلى عن القواعد والمجاملات والتقاليد؛ فهو قد أمضى ثمان سنوات متتالية في فضاء حر، ست منها فى الصعود الدراسى عندما كان يدرس بالكلية، وسنتين منذ أن كان أستاذًا، الآن هو ملتزم فقط بالذهاب للكلية، وهو ليس التزامًا صارمًا أيضا لأنه إن يدرس أو لا يتوقف هذا الأمر على رغبته هو، وبالطبع كانت طبيعته تفتقد تمامًا الوعى بالالتزام، فيبدأ في الدراسة وقتما يرغب، مرات عديدة يظل يقرأ باستمرار صباحًا ومساءًا، وفى بعض الأوقات لا يفتح كتابًا في الصباح أو المساء لأسابيع، إذا راحت نفسه لتناول الشاى يحتسى ستة أكواب شاى في اليوم .

كان يتناول الشاى بمقدار عدد حبوب الشاى، ويحب مثل تلك الحياة الحرة، ولكن على الرغم من ذلك فإن هذه الحرية الجامحة في بعض الأحيان كانت توخزه في بعض أركان قلبه، فنفسه تريد أن يوجد مثل هذا الشخص الذي يخلق المتعة في حياته، والذى برفقته تتلون حريته بلون آخر، وفى الأوقات التى تطغى فيها أمواج الفرح والسعادة على إحساسه بالحرية، يكون هناك في إحدى زوايا قلبه وخز يزعجه، وكان ينهض لينسى هذا الشعور الخفى، ويفتح الكتاب أو يبدأ التجول في الغرفة، فإذا به ينشغل فى الحديث مع متهو وينادى على ننهى من أجل إعداد الشاي ويغنى قليلًا وعندما يأتي الخادم بصينية الشاي فيسأله مندهشًا :" الآن موعد الشاي، الآن الساعة

الثالثة " ..... وبعدما يرى قلق ننهى يبتسم ويتذكر معه أنه هو نفسه كان قد ناداه لطلب الشاي : " اوه" ، يبتسم : "حسنًا يا ننهى! ضعه على المنضدة ".

كان سعيدًا في هذا اليوم بشكل خاص لأن أمه قد أتت للعيش معه لأول مرة في حياته، من قبل قد توسل لأمه مرارًا أن تمشى معه، لكن الأم العجوز لم ترغب في الذهاب بعيدًا إلى هذا الحد، كانت ترغب أن تحضر لسليمان عروسًا جميلة، وأمنيتها تزويجه من فتاة هادئة، لهذا لم تكن راضيَة عن الذهاب بمفردها بعيدًا لهذه الدرجة، لم يوافق سليمان على الزواج فى الوقت الحالى، لأنه لم يكن لديه نقود، وأمه تريد أن يكون الزواج حافلًا ذا ضجة، ولم يكن يحب الاقتراض وليس من طبيعته الاحتفاظ بالنقود، في تلك الظروف لم يمكنه الزواج ولم يكن لديه شغف بالزواج على أية حال، في هذا اليوم كان سعيدًا أن أمه قد وافقت على العيش معه، لكن لم يكن يعلم أن الهدف من مجيء أمه فقط هو ترغيب ابنها فى الزواج بأي طريقة ممكنة، ومن أجل هذا الهدف استطاعت جمع بعض النقود.

في اليوم التالي فتح عينيه فى الصباح الباكر، سمع ضجيجًا فى المطبخ وشعر بالغضب منه، تمطى وكاد أن ينادى على ننهى ويسأله فإذا بأمه تظهر أمامه، وجه طويل مفعم بالتجاعيد كأنه صورة للعجز، كان هناك حزن عميق فى سلوكها، وكان في الصوت نبرة تذلل.

قالت الأم بتضرع : "ابنى سليمان تناول قليلًا من الفطور"، كان يوميًا فى الصباح يصرخ على ننهى، وعندما يحصل على الشاي يصرخ عليه أيضًا، اعتاد على أن يتأخر عن الكلية، لكن في هذا اليوم كان كل شئ جاهزًا في وقت مبكر، فقط كان هو متأخرًا في النهوض والجلوس، في الواقع كانت قد دبت الروح في المنزل، أراد أن ينهض ويعانق هذه الروح العظيمة.

أثناء تناول الشاي وقع نظره علي الببغاء الذي كان مشغولًا بتناول بعض الطعام من الوعاء بمتعة كبيرة، فقال لأمه : " أوه ـــ أنظرى يا أمى! العالم كله قد استيقظ مبكرًا جداً .... أنظرى قليلا كيف يأكل متهو! وكم صار سعيدًا بقدومك وإلا ما

وجد شيئا ليأكله، وكنت مضطرًا كل يوم أن أذكر الخادم مرارًا و تكرارًا بالطعام ثم يضعه في مكان ويحصل المسكين علي القليل لكن الآن قد تغير العالم .

بعد الانتهاء من تناول الشاي، بدأ يفكر فيما عليه أن يفعله الآن، لأنه قبل ذلك كان قد اعتاد أن يشرب الشاي ويتأخر عن الالتحاق بالجامعة، وكان يرتدى أى سروال من هنا وهناك، ويلبس معطفاً، ويستعد بسرعة، ربما لهذا السبب على الرغم من أن ملابسه تكون نظيفة لكن لا يظهر ذلك الأمر في هندامه، على كل حال الآن كان قد اعتاد ارتداء الملابس بلا مبالاة وكان يحب تلك الملابس التى يكون فيه لمسة براقة لا تحتاج إلى الزينة، على أية حال جلس على الأريكة، وقلب صفحات الكتاب، وظل ينظر للببغاء بإمعان : " لماذا يا متهو! استمتعت الآن وأنت غارق فى التفكير العميق؟، وقف بجانب متهو: " أنظر! هل تبدل العالم ؟ " وشرع يغير ملابسه أثناء الحديث مع متهو.

كان قد حمل المعطف ليرتديه فجاءت أمه : " أوه ! يا بنى أنت ارتديت الملابس، أنا فهمت ـــــ " قالت هذا واستدارت كما لو كانت عائدة .

نادى أمه : " ما الأمر يا أمي ؟ " وقال : " أنا لا أرتدى الملابس الآن، لماذا ما الأمر؟ " قالت الأم : " لا شئ يا بنى! كانت هذه الملابس متسخة بعض الشئ فقلت أنظفها وأحضرتها بعد تنظيفها "، فقال متفحصًا حلة الثياب :

" عجبا يا أمي ! " و صرخ بسعادة : " لقد أصبح نظيفًا للغاية "

على الرغم من أن حلة الثياب هذه لم تعجب سليمان وكان يتجنب ارتدائها، إلا أنه أخذها من أمه وقام بارتدائها، فى هذا اليوم بدت حلة الثياب جديدة تمامًا، وشعر كأنه ترك عبئًا هذه الحلة على الرغم من أنها كانت حلة جيدة .

جلست الأم تراقب طريق العودة من الكلية وكان الطعام جاهزًا.

"تأخرت كثيرًا يا بني" قالت الأم : " أنت تستغرق وقتًا طويلًا، كنت تقول أن كليتك تستغرق ساعة أو ساعتين فقط ـــــ" ، رأت سليمان صامتًا فقالت : " الآن اغتسل وأنا سأحضر الطعام، أنت لم تأكل شيئًا منذ الصباح يا بني " .

كانت نفسه تهفو أن يستلقى على الفراش باسترخاء كالمعتاد، ويخلع معطفه ويلقيه علي أحد الكراسي، ويحاول تعليق القبعة على معلاق الملابس وفى هذه الأثناء ينادى على ننهى ويوبخه على عدم إعداد الطعام ويشكو للببغاء من أن الطعام غير جاهز، اغتسل وكان سعيدًا بتناوله الطعام، لكن فى ركن ما فى قلبه كان يشعر بالأسف أن أفضل هواياته قد سلبت منه .

" هل اكتفيت ؟ " رأته أمه وهو يرفع يده من الطعام وقالت : " لماذا يا بني ؟ ألست جائعًا ؟ "، كان القلق واضحًا فى صوتها : "أنت لم تتناول شيئًا مع الشاي في الصباح" ، نظر إلى والدته في دهشة، حيث أنه كان يستطيع أن يقول بثقة أنه قد أكل بشهية كبيرة اليوم وبالطبع أكل أكثر من المعتاد، ومن ثم ابتسم، وضحك بعدما رأى القلق والانزعاج على وجه والدته.

" أنا أعرف أن هذا لم يعجبك " قالت الأم بصوت مفعم بالحزن ، وكان صوتها متذللا : " لماذا يا بنى ؟ "

ضحك: " لا يا أمي .... أنا آكل كثيرًا كل يوم، واليوم أيضًا قد أكلت كثيرًا، أنت فقط منزعجة يا أمي، نهض ضاحكًا ثم جلس على الكرسي .

كان كل شيء موضوعًا بدقة في الغرفة في ذلك اليوم، كل الكتب موضوعة في الخزانة، والكراسي في أماكنها المناسبة، وعلى المنضدة مفرش نظيف، لا أعلم لماذا شعر كما لو أن كل هذه الكتب بلا فائده وبعد الموت ربما تدفن في الخزانة أو تلقى في الغرفة بلا روح، على الرغم من أنه كان يشعر بالسعادة لنظافة الحجرة، لكن مع ذلك ظل يفكر كأن هذه الغرفة تخص شخصًا آخر، وكأنها ليس لها علاقة بسليمان، نهض والتقط كتابًا من الخزانة، كأنه كان يرغب أن يرى إن كانت هذه الكتب قد ماتت حقًا أم أنها لا زالت على قيد الحياة حتى الآن، بدأ يقلب أوراق الكتاب على سبيل المتعة.

سمع دبيب أقدام وبوغت بأمه واقفةً أمامه، وكأن صورة من الحزن والكآبة معلقة.

قالت الأم بتوسل : "يا بنى !" تناول الطعام الآن واسترح قليلًا، ليُميت الله تلك الكتب، لقد أنهكت روحك في القراءة استرح قليلًا يا بنى "

ابتسم بقوة :" هل أنا غير مستريح يا أمي ؟"

لا يا بنى، كنت أقول فقط أنك عدت للتو، ومن ثم يجب أن تستريح قليلًا بعد الطعام يا بنى، أنت رجل عاقل، ليحفظ الله عقلك وحكمتك، افعل الذى تهواه نفسك، أنا كت أقول مثل هذا الكلام ..... " اغرورقت عينا الأم بالدموع : " انظر كيف أصبحت هزيلاً، لا تأكل ولا تشرب بل تعمل وتعمل فليأخذ الله هذه الكتب" أشارت إلى الخزانة وقالت:" إذا كان هناك واحد أو اثنان فحسنًا، لكنك قد وضعت هنا سلة المهملات كلها"

ضحك :"عجبًا يا أمي! أنظرى هل أنا هزيل" فتح أزرار القميص وجعل أمه ترى، أترين لقد أصبحت مصارعًا، آكل وأشرب ثم أجلس طوال اليوم أضرب الذباب، وهذه الكتب أنا أقرأها فهى ليست كما تفكرين يا أمي !"

قالت : " في النهاية أنت ستقرأ هذه الكتب أليس كذلك .... ولكنك الآن لا تقرأ فماذا حدث، هذا ما حدث، وهذا يكفي ليجعلك مجنونًا، استغفر الله كم أن هذا كثير، حسنا يا بنى استرح قليلًا، إذا نمت لساعتين فهل سيصيبك ضرر؟ قالت الأم هذا بانكسار شديد .

قام سليمان رغمًا عنه ولزم الفراش، لكن فى هذا اليوم كأن عينيه بدت فارغتين تمامًا من النوم، لكنه اضطر أن يصمت حتى لا يؤلم قلب أمه، وبدأ يفكر كم تعتني بى أمى، المسكينة تظل تفكر كل ساعة بمصلحتى، لكن بالرغم من هذا كان قلبه يتوق أن ينهض ويتجول هنا وهناك، يتحدث مع متهو أو يغنى قليلًا، ثم يتذوق الشاي من يد ننهى، لكن فى هذا اليوم كان شكل الغرفة قد تغير، كانت نفسه تريد نثر الكتب هنا وهناك وخلط الكراسي؛ حتى تصبح هذه الغرفة غرفته .

لا يعلم إلى متى ظل تائهًا فى تلك الأفكار! ثم بوغت بعدما سمع صوت والدته : " لماذا يا بنى ؟ أنت لم تنم، هل أشعل المروحة ؟ "

"لا.. لا يا أمى، حتى لو كنت بحاجة إلى المروحة فأنا مستريح تمامًا" نهض وجلس : " لماذا أنت قلقة؟ "

" لست قلقة بنى! لقد جئت لأرى ما إذا كنت نائمًا أم لا، فقط سأذهب واسترح أنت "

ظلت تحدث نفسها وهى ذاهبة :" لم أسترح فى ظل هذا الظلم "

بعد ذهاب أمه شعر كأنه مريض، بعدما رأى أسلوب أمه شعر كأنه أصبح فريسة لمرض مميت وأمه فقط هي من تعلم بهذا السر، ابتسم على هذه الافكار : " هؤلاء النساء! لأى مدى يرتبطون بالأطفال والمرضى، كم يشغفون برعاية أي شخص عاجز"

"هل أنت مستيقظ يا بنى" لم يعلم كم من الوقت استغرقت عودتها، "هل أطلب الشاي"

"لم لا يا أمي " نهض سليمان : " أنا جالس في انتظار الشاي "

احتست الأم كوبًا من الشاي وشرعت تنظر لسليمان بإمعان، رأى سليمان هذا الحب والضعف فانزعج، لا يعلم لماذا تبدو أمه حزينة وعاجزة لهذه الدرجة، كان يعرف أن هناك مشاكل كبيرة جدًا قد اعترت حياة أمه، فهى وقعت فريسة للزواج الكثير، لكن على الرغم من تلك الأمور لم تكن هناك أي متاعب منذ فترة، فلم تكن في احتياج لأحد، لو يسأل أمه فسيعلم كما لو أن حزنها الحالي أكثر ألمًا من كل متاعب حياتها السابقة، فاستغناء سليمان عن الزواج كان أكثر شئ مؤلم بالنسبة لها، حيث كانت أمنيتها أن ترى ابنها مستقرًا فى حياته، على كل حال في هذا الوقت لم يكن لديه شجاعة للنظر ناحية أمه، لذلك بدأ يشغل انتباهه هنا وهناك حتى لا يمكنه النظر إلى والدته.

عندما أعد سليمان الكوب الثالث فقالت أمه : " يا بنى! ليس من الجيد شرب الكثير من أكواب الشاي، لاقدر الله ..... " أشارت ناحية الكوب الرابع وقالت : " تذوب كل دهون الجسم، لتنظر! تبرز العظام من وجهك "

" لا يا أمي .... أحتسى ستة أكواب ما المشكلة في هذا ؟ "

" حسنًا يا بنى! " تنهدت الأم وقالت :" مثلما تريد، لكن هذه الحرارة والجفاف ليس جيدًا لك، فأنت عاقل، وأنا مجنونة لأنى أقول لك مثل هذا الكلام "، في هذا

الوقت سُمع صوتها مغمورًا بالدموع، بدأ سليمان يتوجه ناحية الببغاء بقوة، كان يريد أن يتجنب تلك الانفعالات النفسية التي ظهرت على صوت أمه ووجهها الممتلئ بالتجاعيد.

من حسن الحظ أتى صوت ارتطام من المطبخ، قال سليمان بعدم اهتمام : " أنظرى يا أمي لا أعرف ماذا قد كسر ننهى"

بعد ذهاب الأم جلس سليمان صامتًا لساعة أو ساعتين، وكأنه كان مترددًا في احتساء كوب الشاي، ثم تجرأ وشرب بسرعة الكوب الثالث من الشاي، وبعد ذلك أعد الكوب الرابع بسرعة وشرع ينظر للببغاء ببراءة وكأن شيئا لم يحدث.

قالت الأم وهى تدخل الحجرة : " تفضل يا بنى لتأكل بعض الزبد "

" زبد ؟ " نظر سليمان ناحية أمه متعجبًا.

" نعم يا بنى" قالت الأم : " يكون من الجيد استخدام الزبد مع الكثير من الشاي، وإلا لا قدر الله تجف أمعاءك، سأضع العصير على البسكويت أو أعد الخبز المحمص"، في هذا الوقت لم يعلم سليمان لماذا تبدو قطع الزبد مخيفة له لهذه الدرجة، وبدأت نفسه تمتعض .

" لكن يا أمي ـــــ" توقف، ومع ذلك، فقد أدرك أنه ليس من الجيد إيذاء قلب والدته.

أخذ القطعة من يد أمه على مضض وقال : "لا يا أمي ما الحاجة للخبز المحمص " ووضع القليل من الزبدة على البسكويت .

" لتضع بعضًا آخر منه " قالت الأم متضرعة : " ماذا سيحدث من الكثير من الزبد ؟ " شعر سليمان كأنه لم يكن هناك في العالم سوى الزبد فقط التي كان ينفر منها كثيرًا، صار يتصبب عرقًا، ثم خطر بباله أن يحرك السكين كأنه يأخذ من الزبد، لكن كل الزبد نزلت على السكين، أخفى يده بالسكين تحت الطاولة، وعلى الفور أخرج البسكويت في لقمة واحدة، كانت الأم تجلس أمامه وهى تبتسم، لكنه كان يشعر كأنه خدع شخصًا بريئًا، كأنه لص، الخداع في مثل هذا الأمر البسيط، هذا الشعور بالخداع

جعل جريمته هذه أكثر قبحًا في نظره، أخذ يفكر أنه إنسان ضعيف، وليس لديه الكثير من الشجاعة أن يخبر أمه بما يدور فى قلبه.

بعد تناول الشاي شعر كما لو أن ذلك الخبز المحمص بعدما أخذ ينتفخ في معدته أصبح كارثة، في البداية ظل يتجول في الغرفة، لكنه لم يستطع أن يتناول قطعة الزبد هذه فشرع يقول لأمه :" أمي ! دعيني أمشى قليلا "

"حسنًا حسنًا يا بنى" قالت :" لتمشى قليلًا، لكن عد بسرعة وإلا سيبرد الطعام"

سيبرد الطعام، كان غاضبًا، قد إعتاد أن يسمع هذا الكلام ويضحك ساخرًا بشدة، هؤلاء النساء يعرفن جيدًا خدعة سيبرد الطعام، سيد نعيم! تقول زوجتك لا تتجول، وإلا ماذا سيحدث للطعام، وإذا برد فهل يؤكل أم لا؟ أسألك الصدق يا سيد نعيم أليس هدف زوجتك الحقيقى من تجنبك التجوال هو أن تعود سريعًا وتستطيع فعل ذلك من أجل زوجتك، مقولة سيبرد الطعام هى مجرد حيلة، والهدف فقط جذب الانتباه ناحيتها، ثم يضحك : "كم أن هؤلاء النساء ماكرات" ويضحك، لكن في هذا اليوم لم يستطع الضحك أيضا على كلام أمه.

بشكل عام لم يكن سليمان معتادًا أن يتنزه بالرغم من أنه كان قد تعود على الذهاب للسينما، لكنه كان يكره التنزه، لو يسأله أى صديق: " لم لا تذهب للتنزه يا سيد سليمان ؟ " فيضحك ويقول:" يا أخي، فقط من الضرورى أن أشعر أنني أعيش في مثل هذه المدينة التى يوجد فيها الكثيرمن المنتزهات فحينما وحيثما أريد أستطيع أن أذهب لكن سيرًا على الأقدام ....لا يا أخي لا أستطيع ذلك " لكن في هذا اليوم كانت نفسه ترغب فى أن يمشى كما لو كان شخص ما يلاحقه أو كأنه يهرب من خطر ما، لكن بسرعة أصبحت قطعة من الزبد عقدة في بطنه واضطر أن يعود بائسًا.

" هل ستتناول الطعام ؟ سألت الأم فى حيرة: " هل أنت بخير، لماذا أنت صامت لهذا الدرجة يا سليمان ؟ "

" أنا بخير يا أمي " قال هذا وقد تهالك جسده واضطر للذهاب إلى الفراش .

" انظر، كنت أقول لك، أليس كذلك؟ " قالت الأم فى ألم : " ليأخذ الله الشاى، فقط شاى شاى شاى، لا تأكل ولا تشرب، جفت أمعاء أعدائك "

كان سليمان غاضبًا، لكنه اضطر أن يلزم الصمت وكان يحاول ألا يستمع لحديث أمه، لكن هذا الكلام كان يدق فى رأسه مثل المطرقه، ثم قال بعد تفكير: " أمي أنت تفكرين بلا داعى، كنت قد ذهبت إلى نعيم وأطعمنى "

" أوه ! هذا هو الأمر" قالت الأم : " لماذا لم تخبرنى من قبل، على كل حال دعك من الطعام، لا يبدو لي أنك بخير"

في اليوم التالي فتح عينيه مبكرًا فرأى أن الأم قد نهضت من الفراش، وشعر بيدها على جبهته، في البداية انتبه، ثم شرع يتمطى .

قالت : " لا يا بنى لا تنهض، سأحضر الإفطار هنا، أنظر أصيبت رأسك بالحمى وأصبحت مثل الفرن، أنا أعرف أن صحتك ليست بخير" وضعت يدها مره أخرى على جبهته: " لا أعلم لأي درجه أصبت بالحمى "

"لا يا أمي" حاول فاشلًا أن يضحك، فى مثل هذا الجو الحار، أين الحمى؟ كانت نفسه ترغب أن ينهض ويتجول في الحجرة كالمعتاد، ويأخذ أي كتاب من هنا ويضعه هناك، ويُطير الببغاء مداعبًا إياه لكنه ظل غارقًا في أفكار أمه على الرغم من أنه كان يشعر أن هناك أشواك منتشرة علي الفراش .

ذهبت الأم بالإفطار وتوجهت ناحية الببغاء الذي كان جالسًا فى القفص يلتقط بعض الطعام، لا يعلم لماذا لم تبدو تلك الصورة الجمالية فى طريقة جلوس الببغاء، فبعدما نظر إليه فى أسلوب مطمئن فكر لأول مرة أن هذا الاطمئنان ربما يكون ظاهريًا فقط، وانتابه الشك بلا داعي أن الببغاء غير سعيد .

عندما بدأ في إعداد كوب من الشاي قالت الأم بتذلل : " ابنى سليمان ! أي ضرر سيلحق بك إذا لم تتناول الشاي اليوم، إشرب كوبًا من اللبن، وستصبح حالتك جيدة "

" لبن" بدأ يتغير مزاجه، كان يتقزز من اللبن، في هذا اليوم كانت نفسه تريد شرب الوعاء بأكمله بدون اللبن، بالصدفة ذهبت الأم لتأتى بالملح، ملأ سليمان فنجان القهوة ووضعه على الصحن وشربه ثم مسح فمه بسرعة، وجلس كأنه ينتظر أمه، ثم

غضب بشدة، كانت روحه تريد أن تأتى أمه ويضع الحليب أمامها ويصنع كوبًا ويشربه لكن بعد رؤية أمه، قمع رغبته وقرر من جديد عدم إظهارها.

فى ذلك الوقت رفعت الطعام مرة واحدة وقالت : " لا يا بنى! اليوم لن أعطيك هذا الطعام لا سمح الله كم هو حامض وأنت كنت تسعل طوال الليل "

جلس سليمان فى خجل ثم رأته أمه صامتًا فقالت : "حسنًا يا بنى ! مثلما تريد إذا من الضرورى أن تشرب الشاي فضع المزيد من الحليب، حتى لا تصاب بالجفاف " تأوهت قائلة: " الحليب يقلل من جفاف الشاي، لكن في هذه الأيام يعتبر الناس وضع الحليب في الشاي محرمًا، فقط يضعون منه بحيث لا يتغير للون الرمادي ويشربون "

شرع سليمان يضحك، ولكن بدى ضحكه مروعًا وقال : " حسنا يا أمي... أنظرى إلى هذا " ملأ نصف الكوب بالحليب : "هذا جيد أليس كذلك؟ "

" كما يحلو لك يا بنى! " ابتسمت الأم وقالت: " أنا سعيدة لسعادتك "

"لا ..لا " صرخ : " حسنًا ما تقولينه صحيح، فهل أنا طفل لدرجة أننى لا أفهم أن الشاي يصيب بالجفاف، وأنه لا ينبغى تناول مربى البرتقال بسبب السعال "

لا يا بنى، أنا أخشى أن لا تأخذ كلامي على محمل الجد "

هذا اليوم كان عطلة من الجامعة، أخذ سليمان الكتاب فمنعته أمه من القراءة، سئم من الاستلقاء ولم تأت نهاية اليوم بعد، كان يريد أن يكون هناك شيء آخر فيصرخ على ننهى من أجل أن يجلب له الشاي لكن يتوقف بسبب التفكير بأمه، يريد أن يغني قليلًا لكن لا يعلم لما لا يخرج الصوت من حلقه، ثم أخذ ينظر إلى الببغاء الصامت، لكن في هذا اليوم كان الببغاء جالسًا وكأنه يضحك ساخرًا منه، في النهاية بعد أن ضجر حمل الكتاب وأخذه، لم يعلم أي كتاب كان؟، وبدأ يقرأه ناظرًا إلى الصور الموجودة به.

سمع صوت الأم المفعم بالتذلل: " بني سليمان !"

نهض مضطربًا : " أف ـــــ!"

إنزعجت الأم :" لا.. لا يا بني أنت عاقل، إفعل ما تريد فأنا لدى مثل هذه العادة السيئة أنني أظل أقول لك ما فيه الخير لك، الذي تريده إفعله، ليحفظ الله عقلك"

قال مسيطرًا على نفسه: " ماذا على أن أفعل يا أمي، تعبت من الاستلقاء "

قالت الأم :" لا ..لا افعل ما فيه سعادتك "

" سعادتي " ضحك :" يا أمي أنا لست سعيدًا وليس لدى هدف، الذى أريده....." وصمت ، سألته الأم :" ما الذي تريده نفسك يا بني ؟ "

"هل أخبرك؟ " بدأ يقول مازحًا : " أريد الذهاب إلى غرفتي "

"إلى غرفتك؟ " رددت الأم فى حيرة : " هذه هى غرفتك ـــ ! "

" إنها هى ـــ ولكن لم تعد كذلك "نهض :" انظري يا أمي هل أريكِ غرفتي؟"

أخرج كل الكتب من الخزانة وقام ببعثرتها في أكوام هنا وهناك، وقام بقلب بعض الكراسي ورمى الوسائد في أحد النواحي، ثم سقط على الأريكه بحذائه، وبدأ يضحك :" أنظرى يا أمي، هذه هى غرفتي ! "

سمعت الأم نبرة الجنون في ضحكه، فصرخت بقوة : " سليمان ـــ ماذا حدث لك يا بنى، دعنى أرى رأسك " وضعت يدها على جبهة سليمان وقالت : " أنا أعلم، ارتفعت حرارة رأسك، يا إلهى! لتزيح جفاف هذا الشاي .... لماذا يا بنى! كيف أصبحتَ فى هذه الحالة "

صاح الببغاء كأنه يضحك على سليمان، شعر سليمان كأن الببغاء يقوم بطعنه، وبدأ يقول لأمه: " أمي ! أريد ـــ أن أُطير هذا الببغاء" نهض ضاحكًا وجلس، وبسرعة فتح باب القفص، رفرف الببغاء وظل جالسًا، ضربه سليمان بالمفتاح وقال محاولًا أن يطيره :" شي ..شي .. شي "

" يا سليمان! ماذا أصابك " قالت الأم فى خنوع :" ألا يحزنك أن تُطير مثل هذا الحيوان الأليف؟ أوه ! كم هو محبوب ـــ "

ضحك بجنون : " الأليف المحبوب ـــ الأليف المحبوب "

صرخت الأم فى خوف : " سليمان ـــ ! يا إلهى! ماذا حدث لابنى؟

" أليف محبوب " بدأ يضحك بحماس مجددًا ـــ " أليف محبوب ـــ !! "

٤ـ قطعة القماش

كنت قد جئت إلى فريد آباد بعد عامين، بمجرد أن وطأت المطار شعرت بعدة تغيرات قد حدثت في فريد آباد، أخبرت سائق التاكسي أن يذهب إلى فندق إليت، منذ عامين أيضا كنت قد أقمت في إليت، لم أكن أعرف أى فندق آخر.

بالصدفة وجدت نفس الغرفة في فندق إليت حيث كنت قد أقمت بها سابقًا، فتجددت ذكرياتى القديمة من جديد، فتذكرت رحيل راو.

كان رحيل راو مريضي الأول، فى هذا الوقت كنت قد عدت إلى الوطن بعدما درست في الولايات المتحدة، فى ذلك الحين كانت الممارسة المنتظمة لم تبدأ بعد، كنت مشغولًا فى تجهيز العيادة، وكان على القدوم إلى فريد آباد من أجل هذا الصدد.

عندما تلقيت مكالمة من راو في الفندق، كنت مندهشًا بشدة، كان شخص ما يقول : " دكتور، أريد استشارتك، الحالة مهمة جدًا، لا أعرف ماذا سيحدث إذا لم تأتنى على الفور"

اندهشت من هذه المكالمة فكيف عرف أنني طبيب نفساني وأقيم في إليت، على أى حال كنت قد استدعيت السيد راو .

كان السيد راو شابًا عصريًا نوعًا ما، بين الثلاثين والخامسة والثلاثين، متعلمًا، مثقفًا، مولعًا بالمجاملات، كان هناك شئ واحد غريب؛ فعلى الرغم من ولعه بالحركة، إلا أنه كان لديه القدرة على التوازن، على وجهه فزع، وكان عنصر التفكير أو القلق مفقودًا .

بمجرد أن جلس على الكرسي قال : " دكتور! أنا في ضيق شديد، أنقذنى من هذا المأزق، وإلا ـــــ وإلا فأنا لا أعرف ماذا أفعل "

فسألت : "ما الحالة ؟"

" قل لي أولًا، ما رأيك في الحب؟ "

بعد سماع اسم الحب زال توترى، فالحب ليس مشكلة كبيرة، في الغرب مفهوم الحب هو اللقاء الجنسى، أو الهوس بالاهتمام، وهذا كل شيء.

قلت: " أنا لا أفهم ماذا تعنى ؟ "

" أعنى، هل تعتقد أن الحب هو عاطفة صحية أم مرض؟ "

" لا أستطيع أن أقول شيئًا طالما أنك لم توضح الحالة "

قال : " دكتور، مشكلتي ليست الحب، فنحن البشر لا نعتقد أن الحب مشكلة، مشكلتي هى أنني أحب فتاتين في نفس الوقت"

زالت أهمية الحالة فى نفسى، ففي الغرب هناك أربعة أمور تجرى في نفس الوقت، ولا توجد مشكلة، ثم فجأة فكرت أن ربما يكون الإحساس بالذنب قد أحدث بداخله قلقًا واضطرابًا، ففي الشرق يعتبر الوقوع في حب فتاة واحدة عملاً يستحق الثناء، لكن أن تحب فتاتين في نفس الوقت أمر مثير للاشمئزاز .

" نعم، نعم" قلت للسيد راو : " لتستمر أنت في سرد القصة كاملة، ولا تتوقف "

" وكل من الفتاتين عكس الأخرى يا دكتور! " قال : " إحداهما هادئة، رطبة كالندى، والأخرى شرارة تتأجج وتشتعل، إحداهما الصباح، والأخرى الظهيرة، إحداهما صامتة والأخرى مثرثرة، إحداهما السكون والأخرى الحركة، إحداهما الطعام الحلو والأخرى الطعام المفلفل"، صار عاطفيا .

سألت :" نعم، ما هو رد فعلهما تجاهك؟ "

قال: " إيجابي يا دكتور، كلتاهما متاحتان لى"

سألت : " حسنًا! كيف ؟ "

قال : " إحداهما زوجتى والأخرى سكرتيرتى"

" أوه! إذن يجب ألا تكون هناك مشكلة "

قال : " بلى، يا دكتور! بلى "

" يمكن أن يكون الإحساس بالذنب "

"هو كذلك أيضًا، يا دكتور! أخشى دائمًا ألا تعرفان حالتي الذهنية، إذا حدث ذلك، فسيكون الأمر صعبًا، كلتاهما فتاتان مستقلتان"

" هل لدى إحداهما علم بالأخرى ؟ "

" لا، يا دكتور، يوجد شك لدى زوجتى امنا، وسكرتيرتى مونا تعتقد أن علاقتى بزوجتى علاقة رسمية وأما الحب فلها فقط، حتى مع ذلك تشك مونا أحيانًا أيضا"

سألت : " ما السبب ؟"

" السبب هو أنا نفسى " قال : "يا دكتور! أنا نفسى أكبر مشكلة في حياتي"

"عجيب !" قلت : " أليس لديك القدرة على إخفاء ذلك الأمر ؟ "

"جدًا، يا دكتور! أنا مؤهل جدًا؛ لكن الشئ الذى يحدث هو أننى أنا نفسى أكشف أسرارى الخاصة ـــ سأشرح لك" قال بحماس : " الحقيقة أنني عندما أكون مع مونا تنبثق في قلبي الرغبة في امنا وتبرز وتسيطر لدرجة أن مونا تتلاشى تمامًا، وتحل مكانها امنا، وبالمثل عندما أكون مع امنا تتلاشى امنا وتحل محلها مونا، دكتور! هذا خداع بصري كبير لا أستطيع وصفه ... كأنه سراب، لا يمكنك فهم ذلك يا دكتور! لا يمكنك فهم ذلك" قال بحماس : " وبسبب ذلك تتولد مشكلات كبيرة، مشكلات كبيرة، فكر قليلا يا دكتور! أنا أكون مع امنا فى خلوة وبوجهى مونا، وأنسى أن هذا وهم، على سبيل المثال، شعر امنا طويل، مستقيم، ذهبي، ومونا لها شعر مجعد غامق قصير، مرات عديدة أتوقف عن القول لامنا: حبيبتي، هذه المرة قصة شعرك أنيقة للغاية "

بدأت أدرك مشكلة راو، لكنه كان يتحدث غارقًا فى خياله: "على سبيل المثال، امنا هى قطعة قماش هل تعرف يا دكتور قطعة القماش ؟، اوه.. لا ! أنت لا تعلم، ليحفظك الله من قطعة القماش يا دكتور! ترتدى ثياباً بيضاء تبدو بسيطة، ليست فى حاجة إلى الزينة، ليست فى حاجة إلى مكياج، كأن يكون هناك مكياج لكن لا يظهر، يكون هناك اهتمام لكن يبدو كأن لا يوجد شعور بالزينة، البراءة براءة يا إلهي !" تنهد : " يادكتور! " قال:" زوجتى امنا قطعة قماش سادة ومونا ملونة، ملونة بالألوان، اللون هو نقطة ضعفها، لون على الخدين، ولون على الشفاة، ولون على الأظافر، وملابس تغرق فى الألوان كما لو كانت متجرًا للبقالة، على الرغم من أن لديهما نفس لون الغضب.

هكذا يخرج اللون من اللون تمامًا مثلما تخرج الكلمة من الكلمة في المحفل، تحب مونا اللون الأخضر بشدة، يا دكتور! ذات يوم عندما كنت مع امنا، لكن في الخيال كان هناك بساط أخضر بالأسفل، قلت: "عزيزتى! اليوم لا يغرد الكناريا فى فصل المطر والزرع، سمعت هذا وظلت صامتة لفترة، ثم قالت إن أعمى المطر يرى كل شئ أخضر، شعرت حينها بخطأى.

" وبالمثل، ذات يوم عندما كان الفضاء كله أخضر، لكنه فى الخيال كان أبيض كاللبن، فقلت: حبيبتي! إذن فأنت فى وقت الصباح الباكر، انعكس البساط الأخضر عليها، فانتبهت ورأيت مونا تقف أمامى، الفم منفوخ والعينان مشتعلتان، قالت: " إلى هذا الحد قطعة القماش مسيطرة ؟"

"على الرغم من أنني شديد الحذر، يا دكتور، لكن مثل هذه الزلات تحدث، من ثم تتولد الشكوك، ليس لدى قدرة على التحكم فى الخيال، يا دكتور! في معظم الأوقات، أضع النبيذ على الأسياخ وأحشو الكباب في الكوب، أخشى أن ينقلب كلا البساطين ذات يوم، فلن يكون أخضر ولا الصباح باكر ـــ ماذا سيحدث بعد ذلك يا دكتور؟ ستكون الحياة صعبة بالنسبة لى"

كانت حالة راحيل راو حالة غريبة!

لقد جئت الآن إلى فريد آباد في جولة احترافية، تم نشر خبر وصولي في الصحف، لم يكن لدى سوى ساعة ونصف، كنت مشغولاً بالتحضير قبل قدوم المرضى، لكن حان الوقت لترك الذكريات القديمة وراءً، كان راو جالسًا على مقعد أمامي، ويقص قصته الأسطورية، ذهبت خلسة إلى الحمام للتخلص من الذكريات القديمة، هززت نفسى وغسلت يدي وغيرت ملابسى وخرجت.

في نفس الوقت، انفتح الباب ودخل راو، كانت الريح تهب على وجهه، توقف هناك عند نفس الباب، قال فى لهجة حزينة جدًا : دكتور! انتهت اللعبة، الذى كنت أخشاه حدث "

سألت : "ماذا حدث ؟"

" لا فائدة من الحديث، يا دكتور، الآن لا يمكن أن يحدث شئ، لا شئ، لقد تركتنى كلتاهما ومشيتا "

سألت : " لكن لماذا ؟ "

" رُفع الحجاب وانكشف الأمر أمامهما " قال هذا وشرع يخرج، عدوت خلفه وأمسكت بذراعه.

قلت : " أخبرنى بأى شئ "

تنهد طويلًا بحسرة: "منذ حوالي خمسة عشر يومًا، كان عيد ميلادي، اشتريت هدايا لكلتيهما، العقد الأبيض لامنا من الماس، الزمرد الأخضر لمونا، لكن ارتكبت نفس الخطأ وأعطيت الماس إلى مونا والزمرد إلى امنا "سألت : " ثم ؟ "

"عندما ذهبت إلى المكتب، كانت استقالة مونا ملقاة على الطاولة، عندما عدت إلى المنزل كانت هناك رسالة من امنا: أنا ذاهبة إلى منزل والدىّ، ولا تحاول أن تقابلنى" بعدما قال هذا تحدث :" دكتور! حالتى ليست جيدة في الوقت الحالي سوف آتى مرة أخرى"

بعد مغادرة راو، دق جرس الهاتف، بوغتت كانت امرأة تقول: " دكتور، أريد استشارتك، هل آتى الآن؟ "

قلت: " لتأتى "

بعد فترة، دخلت امرأة الغرفة، صرت مشدوهًا بعد رؤيتها، كانت امرأة حسناء وجميلة للغاية، كان جمالها فريداً من نوعه، لم يكن فيها مرح، ولم يكن هناك قلق، ذلك الجمال الذي يولد في السكون، ليس في الحركة، خلال كل حركة كانت تتوقف بضع مرات، كأنها صورة متحركة توقفت فجأة، كل توقف لها يخلق وضعية تصلح صورة، كل سكون يمثل إطارًا فريدًا من نوعه، كان يبدو كأن لكل سكون لها جاذبية، لكن لم يكن فى أسلوبها عنصر الاستعراض، كان بسيطًا جدًا وطبيعيًا مليئًا بالهدوء .

قلت وأنا أفتح سجل تاريخ الحالة : " تفضل "

جلست .

سألت لأكتب تفاصيل الحالة : "ما اسمك؟"

قالت : " السيدة راو "

فوجئت : " راو "

قالت : " راحيل راو "

تفحصتها من جديد، كان شعرها طويلًا، منسدلًا مستقيمًا، كانت حقًا قطعة قماش.

سألت : " ما هى المشكلة؟ "

" فقدت اهتمام حبيبي يا دكتور ..."

"من هو حبيبك؟"

قالت : " زوجى "

" متى تم الزواج "

"منذ حوالي خمس سنوات"

" هل حصلت على الاهتمام من قبل "

قالت :"كثيرًا جدًا"،"لمدة خمس سنوات كان زوجى يضعنى فى عينيه، لقد منحنى اهتمامًا لم يمنحه رجل لامرأة "

"هل هناك امرأة أخرى الآن؟"

هزت رأسها نافية: "لا توجد امرأة أخرى في حياة راو، لكن المرأة التى كان يهتم بها لم تعد موجودة "

"عندما كانت موجودة كان الاهتمام منصبًا عليكِ، والآن بعد أن ذهبت فقدتِ الاهتمام، أمر عجيب ! "

قالت : " نعم "

" إنه أمر معكوس "

ابتسمت :" معكوس تمامًا"

"هل علمتِ بوجودها وقتها؟"

" كان هناك شك، لم يكن مؤكدًا "

" ما هى الأعراض ؟ "

" كانت أعراض غريبة يا دكتور!" قالت : " يظل راو يحدق في طوال اليوم، ينظر إلي كل تحركاتي فى دهشة، وكأنه اكتشف شيئًا جديدًا في داخلي، كثيرًا ما كان يقول لى : امنا! افعلى هذا الوضع الذي قمت به للتو مرة أخرى" ابتسمت، وتوقفت لفترة.

كانت النجوم تلمع في عينيها، ثم قالت : "عندما يكون فى الخلوة معى يتغير الوضع، يتوه، حتى أنه لا يشعر أنه معى، يصبح كأنه أجنبى غريب عنى" ـــــ صار صوتها مفعما بالحزن .

قلت فى صوت خافت : "حالة عجيبة"

" دكتور" قالت : "الحب هو البيئة بالنسبة لى، بيئة مملوءة بالاهتمام، الرفقة، القرب ،الخلوة فيها ليست مهمة، فليس هناك رغبة فى الخلوة، فقط القبول "

"أفهم" قلت: "هل الخلوة مهمة لزوجك؟"

قالت بعد تفكير :" نعم، لها أهمية خاصة"

"هل لهذا السبب كان زوجك على علاقة بامرأة أخرى؟" أقصد أنه ربما فكر فى أن يكون الاهتمام لك والخلوة لها"

" ربما " ابتسمت :" تلك المرأة بالتأكيد لم تعجبها الخلوة "

" كيف علمتِ أن راو كان على علاقة بامرأة أخرى؟"

" كان الدكتور شوكت قد أخبرنى، فى الحقيقة صدر من زوجى أمر ما بسببه صار شكى فيه قويًا، فابتعدت عنه وذهبت إلى منزل والدىَّ، تركت رسالة، كان مكتوب فيها : لقد عرفت، لن أعود، لا تحاول أن تقابلنى "

سألت : " هل قال راو بعد ذلك كل شئ للدكتور شوكت "

" التقى بى الدكتور شوكت، أخبرنى بسر راو وقال إن حالة راو ليست جيدة، هو لا يستطيع العيش بدونك، من الممكن أن يحاول الانتحار، بعدما سمعت هذا، انتابنى الخوف وعدت، لأننى أحب راو حبًا بلا حدود، كان البعد عنه صعبًا جدًا بالنسبة لى، عندما جاء الطبيب إلى هنا، عرف أن سكرتيرة راو قد قدمت استقالتها أيضا "

"هل أصبحت سعيدًة جدًا بذلك؟"

"قطعا لا يا دكتور! " قالت :" قطعا لا، على العكس من ذلك، أصبحت متوترة للغاية، بعد معرفة سر راو، كنت قد أدركت تمامًا أهمية مونا "

سألت متجاهلًا :"ماذا كان سر راو"

خجلت، وقالت بعد عدة ساعات : "عندما يكون راو فى الخلوة معى يعتقد فى خياله أنه مع مونا، وعندما يكون مع مونا يتخيل أنه يرانى ـــ بعدما عرفت هذا أدركت أن وجود مونا ضرورى جدًا، وبدأت أسعى فى البحث عن مونا"

سألت : " لكن لماذا ؟"

"لأن بعد مغادرة مونا، ظلت مونا هى مونا في خيال راو؛ وكنت أنا قد انتهيت، لهذا السبب كان لابد من إعادة مونا لاستعادة العلاقة نفسها "

"هل التقيت بمونا؟"

"نعم، لقد وجدتها في منزل في غولبرغ الذي لم تكن سمعته جيدة، وبصعوبة بالغة أقنعتها بالعودة، لكن لسوء الحظ، عندما كانت تأتي إلى هنا في السيارة، وقع حادث، ولم تستطع النجاة "

"هل علم راو بهذا؟"

"نعم، علم بهذا" قالت:" لكن مع ذلك، مونا تسيطرعلى خياله، لقد ماتت وغمرت خيال راو، وانتهيت أنا وصرت محرومة من حبه"

"انا!" قلت : "ولكن الآن ماذا تريدين؟"

"أريد أن أعيش يا دكتور، حبه هو الحياة بالنسبة لي " قالت : "لا أستطيع العيش بدون حب راو، هل ستعالج راو؟ ويعود حبه، سنأتى إلى لاهور من أجل هذه المهمة" أخذت تنظر ناحيتى لفترة .

قلت : " ليس هناك ضرورة لهذا "

ناشدتنى بطريقة مفعمة بالحسرة :" ألا تستطيع أن تفعل شيئًا ؟"

أجبت :" أنا! لا، أنت تستطيعين "

نظرت لى فى دهشة : " أنا ؟ "

" نعم، أنت " أجبت :" هل تستطيعين أن تبحثى عن سكرتيرة جديدة لراو ؟ "

كررت : " سكرتيرة جديدة ؟ "

قلت : " تلك التى تتوق للخلوة "

"فتاة من نفس المنزل في غولبرغ حيث وجدتِ مونا، هذه هى الطريقة الوحيدة للحصول على اهتمام راو"

صرخت : " أى مونا ؟ "

نظرت ناحيتها : " نعم، أى مونا "

كانت قد وقفت فى وضع جذاب، كان وجهها يتوهج من السعادة، كان قرص عسلى يطير فى العينين!

٥ـ حلم الوادى الأخضر

كان عددهم أربعة، كان الرابع قد أتى للتو وانضم إلى هؤلاء الأشخاص .

الأول كان على هيئة عفريت، كان شيخًا يروى حكايات قديمة، كان يقص على هؤلاء الأشخاص حكايات خرافية، كانت لحيته طويلة جدًا وعشوائية، كان شعره أشعث وطويل للغاية، كان يرتدى معطفًا حتى أسفل الركبتين ويمسك بقطعة خشب ملتوية في يده، ويبدو أنه هو نفسه أيضًا كان له دور في حكايته، عندما تحولت لحيته وشاربه إلى اللون الأبيض وانحنى ظهره، حزم الشيخ المسن أمتعته وبدأ رحلته نحو الوادي الأخضر الخصب، وبعد أن قطع مسافة استغرقت بضعة أيام تعبت يدا وقدما القاص المسن واضطر إلى اللجوء إلى كهف منحدر فى أحد الجبال وهناك أشعل ناره.

وبجانب نار الشيخ راوى الحكايات الخرافية كانت هناك نار الراوى الآخر، كان وجه هذا الراوى مشرقًا وشعره وشاربه وملابسه كلها مهندمة، كان يقص على هؤلاء الأشخاص قصصًا دينية، ذات يوم خرج أيضًا بحثًا عن أراضٍ جديدة ووادٍ أخضر نضر، فالتقى بالشيخ الأول، ثم أشعل ناره هناك أيضًا.

كانت هناك نار راو ثالث تشتعل بين الاثنين، كانت على رأسه قبعة مسطحة والتى كان الجزء الأوسط منها أحمر اللون، كان شاربه ولحيته وملبسه أيضًا لونهم أحمر، كان يقص على هؤلاء الأشخاص حكايات ماركس ولينين ورفاق حملاتهم، ذات

يوم خرج أيضا بحثًا عن الوادى الأخضر ووصل إلى الكهف السفلى للجبل، وهكذا جلس الرواة الثلاثة هناك يشعلون نيرانهم .

كانت حواجب وجفون الأول قد أصبحت بيضاء اللون وكانت جذوات دخانه قد بردت بالفعل، لكن حواجب وجفون الراويان الثانى والثالث كانت سوداء، وكانت نيران دخانهما من التمباكو تتأجج بكامل رونقها، كانت لكليهما رئتان قويتان، فى نفس واحد ينفثان كثيرًا من الدخان من النارجيلة ويوجهانه صوب فوهة الكهف .

والرابع الذي كان قد انضم الآن لأولئك الثلاثة كان مرتديًا ملبسًا بسيطًا وحلاقته نظيفة، أشعل ناره بجوار الثالث، ملأ ورق التمباكو ووضعه على نارجيلته وسحب عدة أنفاس طويلة، نظر إليه الرجل ذو القبعة المسطحة وقال:

"لقد روينا حكاياتنا بالدور، والآن حان دورك، لابد أنك ستأتى بقصة جديدة"

نظر الرابع صوب الثلاثة وأخذ نفسًا عميقًا من النارجيلة وأطلق كل الدخان فى الخارج قائلًا:

" أنا لست راويًا، لم أحك مطلقًا أى حكاية لتسلية قلب أحدهم، كنت قد خرجت فى رحلة بحثًا عن الوادى الأخضر، وبالمصادفة فقط قد التقيت بكم، لكن لدى حكاية؛ حكاية شاب وبالضرورة سأروى لكم تلك الحكاية، لقد عشت مع هذا الشاب لسنوات، كنت قريبًا منه للغاية لكننى لم أجعله يشعر أننى قريب منه إلى هذا الحد، ما يفكر فيه ذلك الشاب؛ ما يفعله؛ ما يأكله؛ ما يشربه؛ وما هو رأيه بشأن أحدهم، أنا أعرف كل شئ عنه، على الرغم من أننى أظل معه لحظات، لكن مرة واحدة، نعم مرة واحدة انكشف السر بأكمله"

توقف الرابع وأخذ نفسًا لفترة، ثم نظر ناحية الثلاثة، كان الثلاثة متحمسين ومنصتين، فشرع يستأنف الحديث مرة أخرى:

" ذلك الشاب بعدما تخرج وحصل على شهادته من الكلية كان يريد أن يفعل شيئا ـــ كان يرغب فى أن يكتب اسمه عاليًا علو السموات ـــ كان لديه عزيمة وهمة عالية مثل جبال الهيمالايا ـــ لديه الرغبة في تحقيق كل أحلام الوالدين دفعة واحدة ـــ بحصوله على شهادته العليا كان يشعر كأنه يطير فى السماء.

بمجرد أن وطئ بقدميه ميدان العمل تبعثرت كل أحلامه، شعر أن ما كان يفكر فيه أثناء حصوله على الشهادة كله خطأ ـــــ كانت التجاعيد المتزايدة على وجه الأب تحطمه من الداخل، أخذ يهرب فى المكاتب، فى المقابلات، فى المسابقات، الهروب والركض الطويل جعله كهلًا من الرأس حتى القدم ـــــ فى البيت الأم صامتة، والأب ساكت، يرى بوجه مجعد الابن يعود فاشلًا .

قبل أن ينكسر ذلك الشاب ويتشتت ترك نفسه حراً تماماً وبدا في الحال كما لو أن كل ركضه قد انتهى، استجمع كيانه المشتت فى صمت شديد، وفى سكون الليل عندما كان كل البيت يغط فى حضن النوم، نهض، وتفحص آخر مشكاة فى بيته، ووضع فيها شهادته، أضاء شمعة فوق الشهادة وأقسم أنه فى يوم ما لابد سيكتب اسمه أعلى السموات، لكن بدون مساعدة أحد حيث لن يستعين أيضًا بشهادته، ثم ألقى نظرة الوداع على أبيه وأمه وأخته وإخوانه وغادر المنزل فى الظلام.

دخل عالم العمل من جديد بهمة جديدة وحماس جديد وبدون مساعدة أحد، ظل يعدو ويركض من مدينة إلى مدينة، ظلت الفصول تتبدل، اتخذ القطرة أملًا فى الحياة الجافة، فى يوم ما نزل إحدى المدن، كانت الساعة الثالثة ليلًا وكان ينتظر حلول الصباح.

توقف الرجل الرابع ذو الحلاقة النظيفة لفترة، أخذ نفسًا من النارجيلة وبدأ يستأنف الحديث: "حل صباح الشاب فى هذه المدينة، والتقى برجل من هؤلاء الذي كان يبيع خيوط الحرير، كان رجلًا ضعيفًا، أخبر الشاب أنه سيعطيه خيوطًا من الحرير بربح قليل، ويمكنه بيعها في السوق بأي ثمن، سوف يأخذ منه ثمنها المحدد فقط، والباقي الذي يبيعه في السوق بأى سعر لا علاقة له به.

دخل الشاب عالم التجارة بحماسة وشجاعة بالغة، وشرع يبيع خيوط الحرير لأصحاب المتاجر بربح قليل، شيئا فشيئا ثبتت أقدامه، وتعاون معه أصحاب المتاجر فى السوق بطريقة جعلت قلبه وعقله الحساس ممنونًا بلا حدود لأصحاب المتاجر، وكان يشعر بأنه يريد أن يعطى هؤلاء الناس حتى دمه .

ظلت الشمعة تنصهر وتنتشر تدريجيًا على شهادته الجامعية، وفى السوق ظلت خطواته محكمة راسخة.

فى هذاالوقت لم يثبت ذلك الشاب أقدامه فى السوق بشكل كامل، وشعر أن التجار الذين كانوا يحبونه ويتعاملون معه بإخلاص الآن بدأت نظراتهم تتغير، وقل معدل بيعهم، فصار قلقًا، وفى النهاية سأل أحد التجار السنديين : ما السبب فى أن هؤلاء الناس لا يأخذون بضاعتى ولا يقدمون على بتلك المحبة والإخلاص؟ ـــ على الرغم أننى ممنون بشدة لهؤلاء الناس وأستطيع أن أضحى بحياتى من أجلهم .

أخبره السندى فى كلمات واضحة ومختصرة؛ إننا لا نرغب فى الروح ولا الشعور بالمحبة ولا التضحية ولا الإيثار، نريد فقط أقل سعر، نحن ندعم كل قادم جديد حتى يعطينا البضاعة بأقل سعر ـــ وهكذا لا تقتلعوا ريش الناس وإذا اقتلعتوه تسقطوا على الفور ـــ بعد سماع لهجة السندى القاسية شعر الشاب كأنه يسقط من السماء، لم يكن هناك أى تقدير لمشاعره، تحمل ونهض من متجر السندى، وبعدها سلك معه التجار الماروايين والبوهرين أيضًا نفس السلوك الذى سلكه السندى.

أصيب الشاب بألم نفسى شديد بسبب سلوك التجار معه، تمزع قلبه، لكن لم تفتر همته ـــ ومن أجل أن يحكم قبضته على الوقت لم يكتف بعدد من التجار بل نشر خيوط الحرير فى أرجاء البلاد الأربعة، وحصل على استجابة مرضية، وصعد سلم الرقى.

ظلت الشمعة تنصهر وتنتشر على شهادته وظل هو يتقدم ويرتقى ـــ

كان أصحاب المتاجر القدامى يذكرونه بإحسانهم إليه فى وقت الضيق، ويأخذون البضاعة بأقل سعر ويقذفونه بالإهانات والصدمات النفسية، وهو يفكر فى أنه يريد أن يعطى هؤلاء الناس حتى روحه، فلماذا إذن يذكرونه بإحسانهم إليه مرارًا وتكرارًا.

ذات يوم عندما كانت الوجوه الباهتة تندفع نحو مكاتبها، خرجت الآلة الكاتبة من غلافها، كانت الحروف الفولاذية ملقاة على صندوق الورق الأبيض وكانت تتخذ

شكل الكتابة عندما دخلت فتاة طويلة إلى مكتب الشاب، كانت تعابير وجه الفتاة وسلوكها تنم عن أنها ذكية وحساسة للغاية ـــ ومنحها الشاب وظيفة في مكتبه.

عبرت تجارة الشاب فى خيوط الحرير حدود البلاد، وبدأ الإقبال عليها يزداد فى البلدان الخارجية.

أصبح الشاب عطوفًا على هذه الفتاة السمراء طويلة القد، صارت الفتاة مضغوطة إثر أفضاله ـــ أحيانا كان ينظر إلى وجه الفتاة ويعدد أفضاله، فيحمر وجه الفتاة وتنكسر عيناها ـــ وتفكر أن أفضاله عليها كثيرة جدًا، فماذا تعطى مقابل تلك الأفضال حتى يقل حملهم بعض الشئ وتشعر أنها خفيفة الحمل .

كان الوقت يمر لطيفًا على الشاب وعلى الفتاة السمراء الطويلة ـــ صارت الفتاة أيضًا صاحبة بيت صغير وسيارة، ويظل الشاب يذكرها بإحسانه، وتظل الفتاة تتألم من الداخل، كانت ترغب فى الخلاص من هذا الأذى النفسى بأى شكل، كانت الفتاة ترغب أن تتصدق بكل شئ تملكه وتخفف من عبء إحسانه، حتى يستطيع عقلها التحرر من أسر هذا الشاب .

ظلت الشمعة تنصهر وتنتشر تدريجيًا على شهادته الجامعية، وظل هو يصعد سلالم الرقى ـــ

ذات مساء عندما حل عليه الليل المظلم، وبدأت قطرات الندى الخفيفة تتجمع على أوراق الزهور ـــ عندئذ دعت الفتاة السمراء الشاب إلى بيتها الصغير، وقامت بقطف إحدى زهور الورد الأسود المتفتحة بجوار المنزل ووضعتها في طوق معطفه، ثم أمسكت يده بهدوء وذهبت به إلى غرفتها، كان إيقاع الموسيقى يجوب الغرفة، والذى عليه شرعت هذه الفتاة السمراء تخلع ملابسها وهى ترقص رغمًا عنها، وعندما تبقى على جسدها الملابس الداخلية وحمالة الصدر احتضنت الشاب بين ذراعيها، وقالت له أن يفتح مشبك حمالة صدرها ـــ كانت مشاعر الشاب باردة للغاية، كان يرشد الفتاة أن تلبس ملابسها الملقاة جانبًا ـــ كان لدى الفتاة ماسة واحدة فقط ثمينة، أرادت أن تمنحه إياها اليوم مقابل إحسان الشاب ـــ لكن الصدمة التى تلقتها من الشاب أسرت الكهرباء فى جسدها، فلم تستطع الفتاة أن تتحمل هذه الإهانة، وأصبحت حرارة ذلك

الجسد مفعمة بالجرأة، فأسرعت الفتاة نحو الشاب مثل الصاعقة، وألصقت صفعة سريعة على خده، ثم التفتت إلى ملابسها بنفس السرعة واختفت من هناك .

ثم خرجتُ مع هذا الشاب، وسألته: لماذا سلكت مثل هذا السلوك مع هذه الفتاة؟ لماذا اضطررتها أن تصفعك؟ ربما أنك كنت تعتقد أن السلوك الذى كنت تسلكه معها هى غافلة عنه، وأنها لم يكن لديها إحساس بإحسانك إليها، لقد أخطأت الفهم تمامًا، حاولتَ دائما أن تؤثر على هذه الفتاة، ولم تتودد إليها، ولكى تؤثر عليها ظللت تضغط عليها بإحسانك إليها، وظل ضمير هذه الفتاة يؤنبها، وعندما لم تجد أى سبيل رغبت فى أن تعطيك جسدها ـــــ ليتك سعيت فى حبها.

كأن الشاب استيقظ من نوم عميق، صرخ ، لا .. لا .. ليس هكذا ـــــ ربما أننى قد نسيت، وبشكل غير شعورى سلكت معها ذلك السلوك الذى حدث معى، الصدمات النفسية التى لحقت بى قد ألحقتها بها بشكل غير شعورى، لكن الآن أشعر أننى أريد تلك الفتاة، أريد جسدها، أريد القرب منها، أريد كل شئ فيها.

من يعرف ـــــ أخبرت الشاب ـــــ أنه أيضا ربما خرج بعدما أشعل شمعة فوق شهادته فى مشكاة بالمنزل.

فقط منذ هذا غادرت تلك المدينة وخرجت منها بحثًا عن الوادى الأخضر، وبالمصادفة قد التقيت بكم .

روى الرجل الرابع ذو الحلاقة النظيفة قصته ونظر إلى الرواة الثلاثة ـــــ ما عدا الأول . الذى كانا حاجباه وجفناه بيضاوين . كان الراوى الثانى والثالث، والآن الراوى الرابع يشعلون نيرانهم فى كامل قوتها، أخذ الثلاثة نفسًا عميقًا واحدًا تلو الآخر وأطلقوا الدخان كله باتجاه فوهة الكهف.

٦ـ أهل الشر

قد انتشرت بعيدًا سلسلة من العشش على شكل ورق التنبول هنا وهناك، والتى في قبضتها أيضًا جبل صغير به كهف يعيش فيه كثير من كل الحيوانات السيئة، كان هناك اختناق غير عادي في كهف هذا الجبل

إحدى النساء التى لم يتزوجن ولدت طفلًا وماتت بمفردها، لم يدرِ بها الجيران مطلقًا لكن الضجيج بدأ على هذا النحو ؛

أولًا : بكى الطفل الوليد ،

ثم بكت أمه بعده ،

ثم بعدها شرعت كل النساء تبكين وعندما صرخ تمس بقوة نهض أيضًا الناس النائمون الذين ليس لديهم خبر مفزوعين مذعورين .

كان تمس يريد أن يمزق ساقي الطفل ويرميهما، لماذا؟

الأمر واضح تمامًا وهو أن تشندرنا ولدت ولدًا، خرج الولد كأنه ثعبان لدغ أمه قبل الجميع، والآن تمس الذي لديه قدمان نحيلتان من سيقتات ويطعمه ؟

ليس هناك ما يخبر كيف كانت تشندرنا تحصل على المال .

يهجم تمس على الطفل مرارًا وتدفعه دائي وكنتى مرارًا، فالتقط تمس صندوق تشندرنا، وألقاه بالخارج، تحطم الصندوق المتهالك تمامًا، وخرجت كل الأشياء الموجودة به :

أساور بلاستيكية

دمية مطاطية عادية

لؤلؤ أصفر ملفوف بخيط أسود،

زوج من الجوارب المطاطية والجوارب الصوفية،

نظر تمس إلى كل هذه الأشياء مثل المجانين ثم بكى مثل الطفل، وبعدها ضحك ضحكة اخترقت الفضاء مثل الخنجر .

مر عشر أو عشرون يومًا على هذه الحادثة، وتبدل حال تمس بعض الشئ، حتى أنه الآن لم يعد يتعرض لحياة الطفل الوليد، وانتهت الكراهية، وما كان يحدث حتمًا قد قل .

في وقت مبكر من الصباح، كان سكان العشش يخرجون بأكياس من الخيش لالتقاط الزجاجات الفارغة والعلب البلاستيكية والنعال البلاستيكية المكسورة، وكان

الأطفال ملوثين بالتراب، ويحدثون ضجيجًا مع صغار الكلاب والقطط والحيوانات السيئة.

تحمل كنتى التى يعتبرونها أختًا لتشندرنا الطفل وترضعه، وتنيمه في قطعة من القماش وتضعه في حجر تمس، ولابد أن تقول قبل أن تذهب:"اعتنى بهذا الطفل البرعم الوليد، سيكون هذا السهم مفيدًا في أيامك السيئة وأنت ملقى كالميت، وتعفن نصف جسدك، ويُفهم أشخاص آخرون أيضًا ذلك لتمس ـــــ وشيئًا فشيئًا استوعبت جمجمته هذا الأمر وهو أنه سيحصل حقًا على كنز في المستقبل، فعامة الناس يعطفون أكثر على الفتيات البالغات والأولاد حديثي السن، أمور لم تقم بها تشندرنا:

. العناية بطفلها

. التريض والتدليك اليومى

. الرضاعة في وقتها

. الأرجوحة

. الفيتامينات

. البودرة، لقاح الجدري، ولقاح شلل الأطفال وكل هذه المستحقات التي يحق للأطفال الحصول عليها، صار طفل تشندرنا محرومًا منها جميعًا،

. الشمس المحرقة

. البرد القارس

. مطر بومباى

الغبار، الطين والأوساخ، والجراثيم التى تضر بالأطفال، صارت جميعها من نصيب هذا الطفل لكن هكذا أيضًا بدأ يحرك يديه وقدميه حتى أن تشندرنا نفسها لو تراه ربما لا تعرفه .

الآن كان قد بدأ يتعلم الزحف، يظل يتجول طوال اليوم هنا وهناك، والشئ الذي يجده يضعه في فمه، والآن أيضًا بدأ يشعر بالجوع أكثر، فى بعض الأحيان يذهب عند تمس لكنه كان يعود بعد أن يزجره .

كانت كنتى عند ذهابها تربط حبلًا في قدميه، وتربط طرفه الآخر في السرير، ويظل الطفل يدور في دائرة مثل عامة البشر.

ذات يوم اندلعت أعمال شغب مروعة في المدينة، وغرقت القرية فيها أيضًا، يمكن قياس شدة أعمال الشغب فقط عندما يحدث أن الأعمى لم ينهض حتى من مكانه عند سماعه الضجيج وفى ذلك الوقت لا يخرج من فمه سوى كلمتان "ماذا حدث؟"، فى ذلك اليوم كانت المدينة بأكملها محاصرة بالنيران، ولم يكن أحد يعلم ما هذا، العديد من الرجال والنساء المسنين ينظرون أحيانًا إلى السماء بوجوه تملؤها التجاعيد وأفواه خالية من الأسنان، وأحيانا ينظرون إلى الأرض وهم يفتحون عيونهم ويغمضونها تائهين لا يعرفون فى ماذا يفكرون.

وكان الطفل مربوطاً بالحبل، وليس لديه أى وجهة يذهب إليها، كان جائعًا منذ ما يقرب من أربع ساعات، وظل يبكى حتى بُح صوته، وتحت السرير ـــــ كانت كلبة كنتى الأليفة قد صنعت حفرة فى الأرض الرثة وبسطت ساقيها مستلقية على الأرض ـــــ كان اللبن يسيل من ثديها الأحمر المائل للسواد، وكانت الحلمات الوردية في أفواه بعض صغارها والكلاب الصغيرة تتمايل وتتموج وتشرب الحليب، أخذ يحدق في المشهد بدهشة متعجبًا ـــــ كانت الكلاب الصغيرة تترك ثديًا وتمسك بآخر فى فمها ـــــ في البداية اقترب شيئًا فشيئًا وتوقف وبدأ يشاهد هذا المنظر، ثم فى لحظة اقترب تدريجيًا وكانت تجذبه رائحة اللبن العطرية، انحنى على ركبتيه وأمسك بفمه الثدى، وبدأ يرضع اللبن، التفتت الكلبة نحوه وصارت تنظر إليه ثم رفعت رأسها نحو السماء وشرعت تبكى.

عندما استمر حظر التجوال سادت الفوضى أيضًا في العشش والأكواخ، ثم عندما أصبح الوضع تحت السيطرة طبقًا لأخبار الصحف والإذاعة والتلفزيون فـ .....

لكن الطفل حينها لم يكن لديه أى قلق، فمتى يجوع يمكنه بلا تعب أن يرضع من ثدى الكلبة ويرتوى، وفي بعض الأحيان كان يحدث أن ينام الولد ليلًا عند كنتى، لكن في الصباح تجده نائمًا بين صغار الكلبة.

عندما كان تمس يراه أيضًا بين أبناء الكلبة كان يحملهم على غير هدى ـــ فتهرب الكلاب الصغيرة وهى تنبح لكن الطفل يقف مشدوهًا وتائهًا إلى أى ناحية يذهب .

ثم عندما أصبح قادرًا على المشي والتجوال أمسكه تمس فنجانًا في يده .

الطفل الذي كان قد صار فى ذلك الوقت مشهورًا باسم " داكى" أصبح يخرج ويمشي ليتسول وهو صامت، لكنه كان غالبًا ينسى الطريق وعندما يعود فيكون في فنجانه تذاكر أتوبيس بدلًا من النقود، أحجار ملونة صغيرة وكبيرة، أوراق خضراء، زهور برية، ومن ثم ينل ضربًا مبرحًا ـــ وبعد الضرب وشرح كنتى يبدأ في عمل صور غريبة من قطع الفحم والفخار، وبعدما ينظر إلى تلك الصور تبدو له أحيانا مثل الشمس اللامعة ـــ أو مثل العشش الصغيرة ـــ أحيانًا يرفض الذهاب للتسول فينل الضرب من تمس ويصيح ـــ لن أذهب، لن أذهب أبًدا ـــ لكن عندما تفهمه كنتى كان يذهب في صمت ـــ لكن لا يعرف لماذا لا يستمتع بالتسول بقدرما يستمتع بسماع توبيخات وسباب الناس له، فإذا أعطاه أحدهم عشر أو عشرين قرشًا ينتابه اليأس لكن لو لم يعطه أحدهم شيئًا فهو يتلذذ بأن يذهب خلفه وينل التوبيخ والزجر، كانت طبيعته عجيبة وغريبة.

ذات يوم علم تمس أن داكى بدلًا من أن يتسول يظل يلعب مع الكلاب فغضب غضبًا شديدًا، وذهب ليضربه وهو ينهال عليه بالشتائم .

كان داكى يلعب مع الكلاب وأطفال القرية ..... بعض الأطفال يقفون في جانب ما يضمون أيديهم ـ على طريقة الهندوس . وكانت وجهتهم نحو ناحية ما ـــ وعلى الجانب الآخر كان يقف بعض الأطفال عاقدين أيديهم على صدورهم على طريقة المسلمين . ووجهتهم كانت للناحية الأخرى ثم يتلوى بينهم طفل مثل الثعبان، يزحف ويقف ملتصقًا بأقدامهم، تنفتح أفواه الأطفال، وتخرج ألسنتهم، يلدغ الطفل الثعبان ألسنتهم مثل الثعبان، أيديهم المعقودة ـــ تنفتح، ثم يذهب إلى الناحية الأخرى وهو يزحف مثل الثعبان ويفعل معهم أيضًا نفس الشئ، تنفتح أيديهم المعقودة علي صدورهم ـــ ثم يصبح كل منهما أمام الآخر وجهًا لوجه ويقفزون، يصيحون، يتشابك

بعضهم مع البعض، ويعض بعضهم البعض، يجرحون بعضهم، يتململون ويتلوون، ثم يشمون الأرض،

أصوات موحشة

أنفاس متسارعة

عروق نافرة

نظرات متقلبة

كل شئ كان حقيقيًا وصادقًا للغاية .

أحاط بهم الناس من الجهات الأربعة، يشاهدون لعبهم وهم مسرورون، يصفقون لهم، ويشجعونهم بالنقود.

عندما رأى تمس هذا المشهد أُثلج قلبه.

خلال أيام قلائل ذاع صيت داكى كالشيطان، وأحبه كل الناس على اختلاف أعمارهم وأصنافهم، عندما يمر أطفال المدرسة من هناك في الأتوبيسات فيصيحون ويلوحون بأيديهم وينادون داكى، وهناك كان داكى يجلس على قمة الجبل فيرفع يده على طريقة الملوك ويبتسم لهم، ويرحب بحرسه الشرفي فتقفز الكلاب المرافقة له وتعود فى قدميه.

ثم حدث ذات يوم أنه في ذلك اليوم كان قد انتهى حظر التجول بشكل عادى، فى هذا المساء كان أحد الكلاب المصاحبين لـ "داكى" يعبر الشارع وفي فمه عظمة، وفجأة جاءت أمامه سيارة بسرعة البرق ـــ واصطدمت رأس الكلب بالسيارة وقفز في الهواء مثل الكرة المطاطية، وصدر صوت الفرامل المفزع، فوقفت السيارة على أثر الصدمة، تدحرجت الإطارات على شكل خطوط سوداء على الطريق.

لم يأت الكلب تحت السيارة بل اصطدم بها وسقط بعيدًا، نهض الكلب بعد دقيقتين أو ثلاث دقائق لكنه بدلًا من أن يذهب في خط مستقيم أخذ يدور مترنحًا في دائرة، وكانت العظمة قد خرجت من فمه، وظل يحوم ويدور في دائرة، رأى الناس حالته هذه وشرعوا يضحكون، وانطلقت ضحكات الناس المطلة من النوافذ، لم يتحرك الكلب للأمام أو الخلف، فقط ظل يدور في دائرة، كان الناس

يزدادون، والمشهد يزداد حدة، وضرب بعض الأطفال الأشقياء الكلب بحجر، وجاءت أصوات كثيرة :

" هيا تحركوا، ابتعدو، إحذروا منه، قد أُصيب الكلب بالصرع "

" الكلب المصروع خطير جدًا "

" الذي يعضه يصبح مصروعًا أيضًا "

" اضربوه "

" اقتلوه "

في نفس الوقت سقط حجران أو ثلاث، ثم ماذا حدث بعد ذلك، بدأت الحجارة تمطر عليه من جميع الجهات الأربعة ، دب .... دب.

بدأ الطوب والحجارة يتساقط كالمطر على جسد الكلب المصدوم، وهو ينبح في صوت مضنٍ بشدة، كان داكى يجلس على قمة التل ويرى كل هذا، نظر الكلب الجريح نظرة واحدة ـــ فقط نظرة واحدة نحو داكى بعيون ملطخة بالدم، لم يعرف داكى ماذا بدى في عينيه فقد بوغت وبدأت تتصاعد بداخله موجات من الثورة والغضب، بدأ يبذل أقصى ما في وسعه لإخراجها من داخله، وولد بداخله اضطراب، وبدأ القلب يشتعل، نهض وجلس، وقد ثبتت كلتا يديه على الأرض من تلقاء نفسها ـــ انتفضت عروق جسمه، تسارعت الأنفاس، وتغيرت عيناه،

زادت حدة النظرة، صارت عيناه مخيفتين،

فغر فاهه مثل الوحش، بدأت الأسنان البيضاء تبرز، أمتلأ الفم باللعاب .

ثم ـــ خرج من فمه صوت زئير حاد وطويل للغاية، ثم قفز داكى على الضاربين زائرًا مثل الأسد.

٧ـ العش

كان القطار يمر بمنطقة مهجورة ولم يكن هناك مكان للجلوس في المقصورة، وكانت محطته تقترب.

بداخل القطار أمسك أحدهم برقبته بوحشية قائلًا : "هل لك محطة يا قليل البخت".

كان الضغط يتصاعد، وبدأت الأنفاس تنقطع، نظر إليه الركاب الجالسون على مقربة منه في ذهول، وظنوا أنه مصاب بأزمة قلبية، وشيئًا فشيئًا فكر محاولًا السيطرة على أنفاسه أنه لا يوجد له مكان ولملايين الأشخاص مثله في هذا العالم كله، طوال الرحلة، ظل يفكر بشدة في شخصين؛ أحدهما الذى كانت تربطه به علاقة دم ـــــ والده ـــــ والآخر الذى لم تكن علاقته به من هذا النوع بل كانت علاقة غريبة غير مألوفة، التى مذاقها لا يزال يصنع موجة من الإحساس تجرى عبر شرايينه، والتى تذيب حرارة التفكير فى وجودها كيانه مثل الشمع، هؤلاء الناس كيف ستظهر الفجأة عليهم عند لقائهم، سوف يفقدون حواسهم أولًا، ثم عندما سيستعيدون حواسهم، سوف يعتقدون أنهم حصلوا على ثروة ثمينة جدًا.

كان قد توجه إلى هذا السفر دون أن يخبر أو يعرف أحدًا من أجل أن يفاجئهما،عندما توقفت القاطرة على الرصيف، نزل منها، وكان الظلام قاتمًا في الخارج وقد طغت على كل شئ حالة من الاختفاء الغامض الغريب المفعم بالأسرار، فسأل أحد المارة دون قصد : "من فضلك يا أخى منذ متى والضوء منطفئ "

"منذ أن زادت إمدادات الطاقة الكهربائية فى المدن الكبيرة تم تخفيض الحصة هنا.... وينقطع الضوء لفترة طويلة.... ولا تسأل عن حال القرى المجاورة لها.... فعلى الرغم من وجود خط كهرباء، إلا أن الجميع يتعطشون لشعاع من الضوء.... ولا يوجد إنتاج في أي مكان .....!"

تقدم وهو يشتم المدن الكبرى بشتائم بذيئة، لم يكن الليل طويلًا، لكن كان ليلًا ثقيلًا بسبب الظلام، كانت قد اصطفت عربات الركشا خارج الرصيف، كان جميعهم يقرعون أجراس عرباتهم بطرق مختلفة للفت الانتباه إليهم جميعًا، وكانت تخرج أصوات مختلفة من أفواههم، وفجأة تحرك المكان بأكمله بسبب ضجيجهم، شعر أن طائرًا قد نال النجاة من رحلة مليئة بالصعوبات ووصل على مقربة من عشه بعد فترة طويلة.

كان يشعر بخفة شديدة، تمطى بشدة ونفض غبار الإعياء والتعب عن جسده، وضع الحمال حقائبه على عربة الركشا، حدق به سائق العربة في الظلام، كانت عيناه تحترقان مثل الجمر، لم يستطع تحمل تلك العيون لفترة طويلة، فاندس فى المقعد.

"إلى أين أنت ذاهب يا سيدى ...؟"

" فقط امشى .... أنا لست من الخارج.... هذا جسد من هذا الطين ....امشى .... سأريك الطريق .... فقط حاليًا امشى إلى الأمام فى خط مستقيم .... لكن ليس بسرعة .... ببطء .... بعد فترة من المقدر أن أرى كل هذا، لذلك أريد استيعاب كل المشاهد على طول الطريق"

كان يعطي تعليمات حول اتجاهات الطريق وأخذ يجمع كل التوهجات شبه المظلمة فى نفسه.

" أنظر يا قليل البخت .... كل شئ قد تغير .... لن تتمكن من الوصول إلى وجهتك .... يبدو لي كل شيء غريبًا ومخيفًا جدًا .....حتى الآن كنت أنا أضايقك والآن أنت تغضب روحى "

لم ينتبه إلى هراء الرجل الذي بداخله وسأل سائق العربة :

" يا أخى صاحب الركشة! هذه هي المدينة أليس كذلك ؟"

"أى مدينة ...؟"

"هذه هى مدينتي ...!"

وسرعان ما مدَّ شخصٌ يده الناعمة بداخله، وكأنه يمسك برقبته فى قبضته.

" يا قليل البخت! أى مدينة لديك؟"

صار وجهه محمرًا، وكأن كل دماء جسده توجهت إلى وجهه، بدأت أنفاسه تتسارع، استلقى على مقعد العربة، اصطدمت قدمه بقدم سائق العربة، ولوى رقبته.

" يا سيد ... طبيعتك تبدو سيئة ... هل أتوجه إلى المستشفى في أى مكان؟"

كان ينظر إلي صاحب العربة فى عجز شديد، كأنه قد أصيب بالشلل، ولم يكن هناك صوت يخرج من فمه، أوقف السائق العربة ونزل وبدأ يهزه :

" يا سيد .... يا سيد ....!"

"نعم ..! " كان صوته يخرج من بئر عميق ـــــ

"أنا بخير يا أخى صاحب العربة ..... يحدث مثل هذا في بعض الأحيان .....الأمر يا أخى أننى لا أستطيع تحمل الصدمة .... وأنا مع ذلك آخذها.... ولكن كلبًا ما قبع بداخلي ..... لا يمتنع عن الشر ..... يطعن كلما سنحت له الفرصة ..... "

" من الكلب ؟ "

"دعنا نذهب يا أخى ..... دعنا نذهب ....لا أحد .... مثل ذلك الذى يتسبب لى فى المصائب .... إذا حدث شئ سيئ لى أنَّى له أن يتعذب .... لو أنا سبب مشاكلك .... أو أنت سبب مشاكلى ....فكل منا سيعتبر الآخر كلبًا...."

أدار صاحب العربة رقبته أثناء قيادة العربة :

"أنت وحدك يا سيدى ..... فمن الذي تتحدث إليه .....؟"

يا أخى صاحب العربة ..... لا تقلق ..... أنا رجل مريض ..... يقيم عندى بعض الثعابين وبعض الكلاب وبعض الخنازير ..... عندما يتعرضون للهجوم أبدأ أهذى فى الحديث ...."

نظر إليه سائق العربة محدقًا:

" أخبرني الآن يا سيدى! على اليد اليسرى أم اليمنى ....."

" اليد اليسرى ....! "

أجابه ثم شرع يتذكر العهد الماضى الذى يعتلج بداخله، كم كان والده عنيدًا ورجعيًا،لا يمكنه التخلص من عمليات المتابعة المنزلية، كم قال أنه قد تقاعد عن جميع مسئولياته، لكنه لا يؤمن بذلك، فهو لا يريد أن يترك أرضه ودهليزه، وعلى الرغم من التفسيرات المتكررة، قال إنه لا يريد أن ينقطع عن تقاليده، ففى مدافن أرضه تنبت براعم الحياة الجديدة، والذين انقطعوا عن جذورهم لا ينمون .... فكيف يقنعه أن التقاليد لا تنشأ في الأرض بل في القلب والعقل والروح؟.... وتسافر معهم .... المنزل والممتلكات ليست مدفنًا للتقاليد، ولكن أيضًا مذبح للتقاليد الجديدة.

في اليوم الذي قال فيه هذا الكلام علانية، قطع الأب العلاقات معه :

" تعلمنى ....أيها الجاهل ....."

"أين نذهب الآن ، يا سيدى! ...؟"

كان مشتت الانتباه :

"فقط .... فقط ..... فقط أبطئ .... انتظر ..... انزل هنا....!

نظر حوله فى حيرة، بعد كثير من التأمل، شعر أنه وصل إلى المكان الخطأ، حيث أوقف العربة معتقدًا أنه منزل الأب، كان هناك فضاء خال على بعد، بالضرورة هناك خطأ ما، بمجرد أن وصل إلى منطقته نزل من العربة غير مسيطر على سعادته بوصوله إلى المنزل، لكنه شعر الأن أنه قد نسى شيئًا وهو يرشد السائق إلى الطرق والاتجاهات، فجلس فى العربة :

" عزيزى سائق العربة .... أدر العربة.... يا أخى قد أتيت إلى منطقتى بعد زمن طويل .... ثم لا يوجد ضوء أيضًا.... لم أقدر الطريق تقديرًا صحيحًا فى الظلام ....سر الأن .... سأرشدك بحرص شديد ...."

" يا سيدى أخبرنى باسم منطقتك ....! "

" يا عزيزى ما الفائدة من الاسم .... أنا معك .... ما الذي يمكن أن يكون مخجلًا أكثر من أننى لا أستطيع الإرشاد والتوجيه إلى منزل أجدادي؟ .... نعم توجه إلى اليمين ....الآن إلى اليسار .... الآن إلى اليمين .... ثم انظر....التقاطع الذى أمامك، توجه نحو أضيق طريق متفرع منه ....."

هذه المرة أرشد سائق العربة إلى طريق جديد تمامًا وبمجرد أن وصل إلى وجهته المنشودة في الظلام، نزل من العربة مصدومًا ورأى أن المكان المنشود كان قفرًا خاليًا :

" أف ..أف .. لقد حدث خطأ مرة أخرى .... أدر العربة يا أخى ... "

غير الطريق مرة أخرى، ومضى هذه المرة في الظلام مختارًا طرقًا أخرى، وفى هذه المرة أيضًا انتهت الرحلة في نفس القفر القاحل، للمرة الرابعة تقدم وهو يرتعش فى مسارات جديدة، ثم إلى نفس هذا القفر القاحل، كان يعتقد أنه لابد من

وجود خطأ ما، لكن المناطق التى في الحي وتقع أمام منطقته كانت في مكانها وصارت هوية ودليل على منطقته، فقط هى منطقته ... لكن بيته كان مفقودًا من مكانه.

فى الأمام بيت العم رام ..... في هذه الناحية عمتي غيتا ..... وهناك عم شنكر ..... الجميع بيوتهم موجودة على حالتها الأصلية ..... كان تخمر العواطف بداخله لا يطاق ..... ترغب نفسه أن يذهب ويحتضن العم رام .... أن يسلم على العمة غيتا ويأخذ بركاتها ..... كم ستكون سعيدة ..... بعدما ترانى ..... ولابد أن شكنتلا قد كبرت كثيرًا الآن، ربما تكون قد تزوجت وصارت لديها حماة ..... في تلك الفترة كانت تبتسم فى خجل، وكأنها تفهم كل شئ عن أسرار الشباب ..... الآن ربما أصبحت صاحبة أولاد .... ربما لم تتزوج بعد.... هيا، أسأل هؤلاء الناس .... أين منزلى .... لا .... من الصعب التعرف عليهم وسط زحام المنازل في المدينة.... خيرًا أين يمكن أن يختفي منزلي ومنازل هؤلاء الجيران الرحماء آمنة... أنا أظل أنسى .... الذاكرة لا تسعفنى فى الظلام ..... الظلام فى كل مكان ..... ظلام دامس ..... كنا قد خرجنا من هذا الظلام في لحظة مجهولة..... في هذا الظلام لابد أن نضيع جميعًا..... سيصبح العم رام، عمتى غيتا، العم شنكر، شكنتلا، بابا ..... سائق العربة ..... سيصبح الجميع طعامًا للظلام .....

" يا سيدى! قلت إلى أين ؟

بوغت : " نعم! "

" كنت أبحث في جغرافية منزلي لأجد المسار الصحيح "

لقد غير مساره مرات لا تحصى وفي كل مرة في هذا الظلام كان يواجه مصيبة السهل الصخري القاحل، فكر هل جميع الطرق في المدينة تؤدي إلى الصحراء ـــ أين بيتي ومنطقتى ...؟

صار هناك هياج بداخله، وضغط أحدهم بشدة على رقبته:

"يا قليل البخت هل لك منزل ومنطقة ....."

أصبح كأنه أصيب بشلل، احمر وجهه، باغته سائق العربة وكسر صمته.

حقا أين منزلى ومنطقتى ....!؟

" لنذهب عن طريق المسجد هذه المرة !.... "

والنتيجة هي نفس القفر القاحل، طريق المعبد أيضًا يؤدي إلى القفر الترابى، حتى طريق الكنيسة لم يمكن أن يصل إلى أى مكان آخر غير هذا القفر الترابى.

شعر أن سائق العربة أسرع فجأة فى سير العربة، وكان ينظر للوراء مرارًا وتكرارًا

لماذا، ماذا حدث أيها السائق؟ "

كان سائق العربة يقود العربة بشكل أعمى، ينظر إلى الوراء مرارًا وتكرارًا غير مبالٍ بسؤاله.

" لماذا تتحرك بسرعة كبيرة أيها السائق! ولماذا تظل تلتفت وتنظر إلى الوراء ....؟"

أخذ سائق العربة استراحة من الصدمة، وشرع ينظر إلى الوراء بعينين خائفتين.

"ما الأمر أيها السائق؟" قال بنبرة متعاطفة للغاية، على الرغم من أنه هو نفسه قد أصيب بخوف شديد بعدما رأى ارتباكه.

" لا أعلم لماذا يا سيدى .... يبدو لي أحيانًا أن عددًا لا حصر له من الزوارق الثقيلة، التي تجري مثل حوافر الخيول، تطارد عربتي ..... إنها تطاردنى لتسحقنى وتدوس على ....."

"لا ... لا ... هذا وهم منك .... يبسط السكون ذعرًا وخوفًا على الطريق من هنا حتى هناك .... ينتابك مثل هذا الشعور بسبب القيادة المستمرة للعربة ....."

بدأ سائق العربة يمسح عرقه: " ربما يا سيدى ..... ربما ...."

بسبب المسافة الطويلة وأحاديثه المشتتة التزم سائق العربة الأدب، قال إنه لم يعد لديه القوة للمضي قدمًا، الزوارق الثقيلة تلاحقه والأفضل لو أنه يدفع أجرته ويتخلص منه.

" أنت لست متعبًا .... لكنك خائف.... أرى أيضًا من أين يأتي دبيب تلك الزوارق.... "

أجلس سائق العربة على المقعد وركب هو على المقعد الأمامى وشرع يسوق العربة بنفسه، ثم من خلال طرق جديدة وصل هذه المرة أيضًا بالقرب من نفس القفر الترابى القاحل، التفت إلى الوراء ونظر، كان سائق العربة منخرطًا فى البكاء.

جلس بجانبه : أيها السائق! لماذا تبكى؟

شرع سائق العربة يبكى بشدة، فقط استطاع أن يقول بصعوبة بالغة وهو يبكى:

"المنطقة التي تبحث عنها، القرية التي كنت تبحث عنها، تحولت مؤخرًا إلى قفر قاحل بواسطة الجرافات .... أنا أيضا كنت أتجول كالمجانين في المدينة بأكملها لأسابيع وأصل إلى نفس الميدان المقفر مرارًا وتكرارًا ..... اقتلعت الجرافات كل شيء .... تحولت القرى المستوطنة إلى تراب ثم صارت قفرًا قاحلًا .... متجري وبيتي وجميع أفراد عائلتي دُفنوا أحياء .... يا بنى كنت قد صبرت لكن بعدما رأيت اليوم هذا القفر الترابى مرارًا وتكرارًا تجددت جراحى .... يا سيدى .... يا سيدى .... هل تسمع ؟

هذه المرة، لم ينكسر صمت السيد أيضًا حتى بعدما نبهه سائق العربة مرارًا .

فى السماء البعيدة كان طائر صغير يطير نحو عشه بكل قوته.

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : المراجع العربية .

١ـ ابن منظور، لسان العرب، المجلد العاشر، ط١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٩١ م .

٢ـ احمد جعفر العلاق، الشعر والتلقي، دار الشروق، عمان، ط ١ ، ٢٠٠٢م .

٣ـ أحمد حيدوشي، الإتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، ديوان المطبعة الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ١٩٩٤.

٤ـ إيمان ملال، النقد النفسي في الخطاب النقدى العربي، وزارة التعليم العالى، الجزائر، ٢٠١٧ م .

٥ـ بوعون السعيد، يوسف عدوان، الهجرة الغير شرعية، قراءة أنثربولوجية سايكوباتولوجية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ١٣ ، ٢٠١٣ م .

٦ـ جان بيلمان نوبل ، التحليل النفسي والأدب، ترجمة : حسن المودن، المجلس الأعلى للتثقافة، القاهرة، ١٩٩٧ م ، ط٩.

٧ـ حاتم الصكر ، ترويض النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م .

٨ـ روجيه موكيالي، العقد النفسية، ترجمة : موريس شربل، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٨٨ م .

٩ـ سامى يوسف أبو زيد، تذوق النص الأدبي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٢ م .

ـ سيغموند فرويد:

١٠ـ الأنا والهو، ترجمة : محمد عثمان نجاتى، دار الشروق، ط ١، ١٩٨٢ م.

١١ـ الموجز في التحليل النفسي، ترجمة : سامى محمد عبد السلام القفاس، القاهرة، دار المعارف، ط ٢ ، ١٩٨٨م .

١٢ـ صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.

١٣ـ عبدالمنعم الحفنى، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ط١، مكتبة مدبولي، دار المأمون للطباعة، القاهرة ، ١٩٧٥ م.

١٤ـ عز الدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، بيروت، دار العودة، ط٤، ١٩٨١ م.

١٥ـ عزام أمين، سيكولوجيا المهاجرين "استراتيجيات الهوية واستراتيجيات التثاقف" دراسة تحليلية نظرية، مركز حرمون، ٢٠١٦م.

١٦ـ علاء فرغلى، المرض النفسي بين العلم والخرافة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٥ .

١٧ـ ليث الحيدري، الشعور بالنقص بين النظرية القرآنية وعلماء النفس، منشورات لسان الصادق، ايران، ط ١، ٢٠٠٥ م

١٨ـ ماجدة عبيد، الضغط النفسي مشكلاته وأثره على الصحة النفسية، عمان، ط١، دار الصفا للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨ م .

١٩ـ محمد السيد عبدالرحمن، دراسة مسحية لمشكلات الطفولة المتأخرة في محافظة الشرقية، مركز دراسات الطفولة، المؤتمر الثانى للطفل المصري " تنشئة ورعاية "، بحوث المؤتمر، جامعة عين شمس، المجلد الثانى، القاهرة ، ١٩٨٩ م .

٢٠ـ مجدى الدسوقي، قائمة ميكانزمات وآليات الدفاع، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،٢٠١٣م.

٢١ـ ميجان الرولى، سعد البازى، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربى، الجزائر، ط٥، ٢٠٠٧ م.

٢٢ـ وليد قصاب، مناهج النقد الادبي، دار الفكر، دمشق، لبنان ، ط ١، ٢٠٠٧ م.

٢٣ـ يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبى، جسور للنشر والتوزيع، ١٤٣٠ هـ .

ــ الرسائل العلمية :

٢٤ ـ ايمان القماح، أثر الحرمان من الوالدين على البناء النفسي للطفل، رسالة ماجيستير، كلية الأداب جامعة عين شمس، القاهرة ، ١٩٨٣.

٢٥ـ بدرية محمد العربي، أثر الحرمان من الوالدين على شخصية الطفل، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٨ م .

٢٦ـ بو خميس بوفولة، تصميم سلم السادية والمازوشية، دكتوراة فى علم النفس الإكلينيكى، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الأخوة منتورى- قسنطينة-، الجزائر، ٢٠٠٧.

٢٧ـ جزاء بن عبيد بن جزاء العصيمى، بعض المشكلات النفسية الشائعة لدى طلاب مراحل التعليم العام بمدينة الطائف، ماجيستير كلية التربية، قسم علم النفس، ١٤٢٩ هـ.

٢٨ـ عزة ذكى، المشكلات السلوكية التى يعانى منها أطفال المرحلة الإبتدائية المحرومين وغير المحرومين من الرعاية الوالدية، رسالة ماجيستير ، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٥ م .

ثانيا : المراجع الأردية .

١ـ ريحان حسن، ممتاز مفتى حيات اور ادبى خدمات، چيرمين ادبى كميٹى، پاكستان آرٹس كونسل كراچى، ٢٠١١ء .

٢ـ سليم اختر، نفسياتى تنقيد، مجلس ترقى ادب، لاهور، ط١، ١٩٨٦ء .

٣ـ شمشاد حسين، انسانی کردار (ایک نفسیاتی ومعاشرتی تجزیہ)، خدابخش اورینٹل پبلک لائبریری، پٹنہ،٢٠٠٠ء.

٤ـ شوکت حیات، گنبد کے کبوتر (افسانوں کا مجموعہ)، تخلیق کار پبلشرز، دہلی، ١٩٩٢ ء .

٥ـ صغرا مہدی، جو میرے وہ راجا کے نہیں، مکتبہ جامعہ لمیٹڈ، ط٣ ، ١٩٨٨.

٦ـ غلام حسین، اردو افسانے کا نفسیاتی مطالعہ، ایجو کیشنل پبلشنگ ہاوس، دھلی،١٩٨٠.

٧ـ محمد حسین، نفسیاتی زاوئیے، وی آزاد پریس ، لکھنو، ١٩٨٠ء.

٨ـ مسلم حسب حسين، الأدب والتحليل النفسي، " دراسات نقدية في النظرية والتطبيق "، دار كيوان للطباعة والنشر ، البصرة ، ٢٠١٩ .

٩ـ مشتاق مؤمن، رت جگوں کا زوال، نیورائٹرس پبلی کیشنز، بمبی، ط١، ١٩٨٤ء.

١٠ـ ممتاز مفتی، چپ، مکتبہ اردو، لاہور، ط١، ٢٠٠٠ ء .

١١ـ ممتاز مفتی، سمے کا بندھن، فیروز سنز لمیٹڈ، لاہور، ط٢، ١٩٩٣ ء.

١٢ـ نذیر احمد، فکشن نگار ممتاز مفتی، دستاویز مطبوعات،لاہور، ط١، ١٩٩٦ء.

١٣ـ ولی محمد چودھری، تپش (افسانے)، تخلیق کار پبلشرز، دہلی، ٢٠٠٥ ء.

ثالثا : المراجع الأجنبية ومواقع الانترنت .

1 ـCramer, Defense mechamisms in psychology today: further process for adaptation, Amircan psychologist, 2000 .

2ـEric Berne A Layman, Guide to Psychlatry and Psychoanalysis, Amrica , 1976 .

3_Vailiant, mechhanismrole in pensive psychology, Amircan Psychologist, 2000.

4_ Analyticalpsychologg.word press.com .

5 _www/.ts3a.com/majhool/العقد النفسية